أحمد رجب

أى كلام



كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة

سعيد سنبل

العدد ٣١٢ محرم ١٤١١ هـ
اغسطس ١٩٩٠ م
آب

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢

الاشــــتراكات

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والافريقى ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله
باقى دول العالم واوربا والامريكيتين وآسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٦ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

البلد	السعر	العملة
المغرب	٢٠	درهم
لبنان	٧٠٠	ليرة
الأردن	٧٥٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٠٠	فلس
السعودية	٧	ريالات
السودان	٩٠٠	قرش
تونس	١٤٠٠	مليما
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	١٤٠٠	ق س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	٨٥٠	فلس
سلطنة عمان	٧٠٠	بيسة
غزة	١٠٠	سنت
ج اليمن	١٠	ريالات
[illegible]	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الامارات	٨	درهم
قطر	٨	ريالات
انجلترا	١٢٥	بنى
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	٥	مارك

فى الخارج

البلد	السعر	العملة
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	روبية
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرونات
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	سنتا
كندا امريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك والشمال	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الغــلاف : مصطفى حسين
● الماكيت : محمد عفت

أى كلام .. وصورة من قريب !

●● يمكن ان تضبط ساعتك عند ظهور سيارته امام المبنى القديم لدار أخبار اليوم .

بالضبط .. تمام العاشرة ينزل من مقعده الامامى ، المجاور للسائق ، ثم يمضى مباشرة إلى المدخل ، إلى المصعد ، إلى الحجرة رقم ـ ٥٣ ـ التى يقول انه قضى نصف عمره بها ، لا يلتفت يمنة ولا يسرى ، واذا ما التقى به شخص ما . فإنه يتحاور معه بسرعة ، يجيب اجابات مقتضبة ، وكانه يعلن عن رغبته فى الانفراد .

اذ يدخل الحجرة التى تقع فى الطابق الثالث . حيث مكاتب مجلة آخر ساعة ، وقسم التصوير ، والمكتبة ، والارشيف ، طابق يضج بالحركة ، ومع ذلك يتوارى باب هذه الغرفة التى لا يمكن ان تدخل اليها مباشرة الا بعد اجتياز ممر قصير فى نهايته دورة مياه خاصة ، وإلى يمين الداخل باب يؤدى إلى الغرفة مباشرة ، مرتفعة الجدران ، مغلقة تماما ، يضيئها نور خافت ، غير مباشر مجرد مكتب ، ومكتبة ومقعدان فى مواجهة المكتب مباشرة ، ومذياع وجهاز تسجيل تنبعث منه طوال النهار موسيقى كلاسيك يفضلها .

بمجرد دخوله ، يتقدم ليغلق الباب الخارجى بالمفتاح .

هكذا تبدا عزلة احمد رجب اليومية ، لا يرد على الهاتف لا يستقبل احدا الا فيما ندر ، وبموعد سابق .

لا اعرف كيف يمضى احمد رجب وقته الذى يقع بين دخوله المكتب فى العاشرة صباحا ، وحتى انصرافه فى الثانية والنصف ، لا أدرى كيف يفكر ويكتب فى هذه الغرفة المغلقة عليه من الخارج ، لا ادرى من اين منابع خفية ،تستعصى على المنابع تتفجر هذه الطاقة الساخرة ، النادرة ، وتعبر عن نفسها فى اربعة محاور يوميا ، وباستمرار ورغم اية ظروف معوقة او طارئة تبرز على صفحات جريدة الأخبار ، لتبعث وتفجر الابتسامة من أغوار القلوب ، واستثارة الاحساس الساخر من الشعب المصرى امر فى حاجة الى طاقة خارقة ، لان المصريين

بطبعهم يتمتعون بحس نادر من السخرية والقدرة على توليد الفكاهة واللماحية ، وفى تقديرى ان تاريخهم العريق ، الطويل ، ومعاناتهم الطويلة ، اكسبتهم هذه القدرة .

يوميا . وعلى صفحات الأخبار ، يقدم أحمد رجب اربع لقطات ـ ان جاز التعبير ـ ساخرة ، اولها فى الصفحة الاولى ، مطرب الأخبار . هذه الشخصية النادرة الغريبة . التى استوحاها أحمد رجب من واقعنا المعاصر جدا .

وهذه الشخصيات التى تطل علينا من خلال الرسم اليومى للفنان مصطفى حسين ، كمبورة ، جنجح ، عزيز بيه الاليت ، الكوماندة ، وغيرهم من الشخصيات التى اضافها أحمد رجب الى واقعنا اليومى ، فكأنهم يسعون بيننا من لحم ودم . وثالثا ، هذا المحور الذى يتناوله أحمد رجب باستمرار فى كتاباته ، والذى يدور حول العلاقة بين الرجل والمراة . ويظهر على مستويين ، الاول يومى فى هذا الرسم الصغير فى الصفحة الاخيرة الذى ينشر تحت عنوان ثابت هو « الحب هو » وفى ذلك المقال الاسبوعى الذى يكتبه فى اخبار اليوم .

أما المحور اليومى الرابع ، فكلمته المركزة جدا ، والتى ينشرها تحت عنوان « نصف كلمة » تحوى نقدا اجتماعيا أو سياسيا لاذعا ، كل ما عرفته عما يجرى داخل الغرفة ٥٣ ، اثناء وحدته ، ان السطور الاربعة او الخمسة التى يكتبها يوميا يعانى فى صياغتها وكتابتها معاناة شديدة ، اذ يمزق ما يكتبه عدة مرات ، وخلال اتصالى به من اجل اخراج هذا الكتاب اكتشفت مدى الحذر الذى يصل الى حد الخوف الشديد من القارىء ، أو لنقل بمعنى أخر الحرص على احترام القارىء .

يقدم أحمد رجب أعماله بتواضع شديد ، ويعيد صياغتها أكثر من مرة .

يوميا ، يجتمع بالفنان مصطفى حسين ، حيث يمده أحمد رجب بافكار الرسوم اليومية الثلاثة ، وتلك علاقة نادرة فى تاريخ العمل الفنى والصحفى واظن ان الذى مهد لها هو المرحوم على امين . هكذا جمع بين عبقرية أحمد رجب الساخرة ، وموهبة مصطفى حسين النادرة

احمد رجب كما عرفته مثقف كبير ، قارىء جاد للاعمال الادبية ، متابع دقيق لاحدث ما يظهر من نتاج فكرى وادبى ، يكن احتراما عميقا للموهبة الحقيقية ويعمل على دعمها ، ينحاز الى الاجمل ، الى الاصدق ، مؤمن تماما بحرية التعبير ، والتفكير ، وفى الى حد نادر لاساتذته واصدقائه . رأيت ذلك فى علاقته بمصطفى امين .

سخريته فيها تامل وعمق وحزن تستمد مقوماتها من روح ساخرة ، وموهبة نادرة ، وثقافة عريضة ، واستناد الى تراث طويل ، طويل ، للشعب المصرى ، تراث يجعل الانسان المصرى أسيان فى ذروة فرحه ، فاذا ضحك طويلا ، أو من القلب ، يتوقف على الفور ويقول « اللهم اجعله خيرا .. » .

لقد اختار أحمد رجب لكتابه هذا عنوانا غريبا « اى كلام » وهذا العنوان بقدر ما فيه من سخرية ، بقدر ما فيه من أسى خفيف ، فالحقيقة ان الكتاب ليس اى كلام ، ولكنه كلام فى المليان جدا ، فى حياتنا اليومية ، فى الصحافة ، فى الثقافة ، فى علاقة الرجل والمراة ، هذا ما تحويه الصفحات التالية ، شذرات تبدو ولكنها فى الحقيقة تتضمن رؤية متكاملة ، رؤية ساخرة نفاذة .

ومعذرة لهذه السطور ذات الدم الثقيل ، التى نقدم بها احدث ما كتب الساخر العظيم .. أحمد رجب .

• جمال الغيطانى

أبوزيد ..
السلاح السرى لعلى أمين

فى الخمسينات . فصلنى على أمين عشرات المرات .
وانزلنى من نائب رئيس تحرير إلى محرر عشرات المرات .
وعشرات المرات أصدر قرارا بنقل بوابا لأخبار اليوم على
ان يحل محلى أبوزيد البواب نائبا لرئيس التحرير !
وقد كان أبوزيد هو الانسان السوبرمان الذى صنعه
على أمين ، ولم نكن نعرف مواهب هذا السوبرمان
الأبوزيدى إلا فى خلال ثورات على أمين من أجل الأكمل والأفضل . فإذا لم يعجبه
توضيب صفحة قال لسكرتير التحرير : أنا أجيب أبوزيد يوضب بدالك ، وإذا
افلت خبر من مخبر : أنا أجيب أبوزيد يشتغل مخبر بدالك . وإذا لم تعجبه
صورة : أنا أجيب أبوزيد يصور بدالك ، وإذا توقفت المكنة أثناء الطبع ، وتأخر
المهندس دقائق فى ادارتها : أنا أجيب أبوزيد يدورها بدالك !

وشخط فى مصطفى أمين

وعندما انضم إلى أسرة أخبار اليوم رسام يعمل مع على أمين لأول مرة . لم يكن
يعرف أن شخطات على أمين ـ من أجل الأكمل والأجمل ـ كلها فشنك فى فشنك .
ولابد أن تعقبها ابتسامة طفولية ولا كأن حاجة حصلت . فلما عرض الرسام رسم
وتوضيب قصة العدد على على أمين ، أعجبه الرسم ولكنه اعترض على طبع جزء
من كلام القصة فوق جزء من أرضية الرسم الزرقاء ، لأن الحروف عادة لا تظهر
فوق اللون بوضوح مما يتعب نظر القارىء . لكن الرسام بدأ يناقش على أمين فى
مبدأ هام من المبادىء التى أرساها على أمين فى توضيب المجلات . فصاح فى
الرسام : ده توضيب . عصر أفندينا .. اسمع أنا أجيب أبوزيد يرسم بدالك !
ووجدت الرسام ينتظرنى فى مكتبى ليخبرنى أن على أمين طلب أن يرسم أبوزيد
رسوم القصة . فلما أفهمته أن أبوزيد هذا هو بواب أخبار اليوم وليس رساما فى
الدار كما يظن ، غضب الرسام الشاب وذهب يشكو على أمين إلى مصطفى أمين ،
فقال له مصطفى أمين :
ـ ما تزعلش ، تتصور ان على أمين لسه شاخط فى حالا وقاللى أنا أجيب أبوزيد
اعمله توأم بدالك ..

واصطحب مصطفى أمين الرسام الى مكتب على امين . وما ان رآه بالباب حتى نهض من مكتبه واتجه نحوه يصالحه ويطبطب عليه . وبينما كان على امين يدعو الرسام على واحد ليمون يروق دمه من حكاية ابوزيد اللى بيرسم احسن منه . استدعانى ليرى صورة الغلاف التى اخترتها للعدد الجديد . فنظر إلى الصورة وقد لاح عليه الغضب ثم اقبل نحوى يندد بذوقى المتخلف فى اختيار صورة الغلاف . وانخلع قلب الرسام الشاب . فوضع كوب الليمون وهرب من المكتب لأنه غير متمرس على هذه المواقف الفشنكية . بينما امسك على امين بالصورة مؤكدا ان صاحبة هذه الصورة هربانة من التجنيد وأن ابوزيد البواب اجمل منها . ثم اصدر قراره قائلا : شيلها من على الغلاف وحط صورة ابوزيد بدلها !

السوبرمان فى السينما

هكذا تعاظم شأن السوبرمان الابوزيدى فاكتمل له الجمال بعد الكمال بقرار من على امين ! ولم يكن يدهشنا ان ابوزيد كان يبدى رايه فيما - لا يعجبه من كتاباتنا - وهو يمط شفتيه فى قرف شديد . بل كان يدهشنا حقا انه كان يستوقف على امين نفسه - صاحب الدار - عند البوابة ليعبر له عن رايه فيما يكتبه . احيانا بالاعجاب وحينا بالنقد . وكان يحيرنا فعلا ان على امين كان ينصت اليه باهتمام إذا انتقد . وذلك رغم الألفاظ الدبش التى يستعملها ابوزيد وكان شيئا له العجب أن يتحلى على امين بالهدوء الشديد وهو يحاول أن يتفهم وجهة نظر ابوزيد . وقد عزونا هدوء على امين الى انه ليس هناك ابوزيد اخر يهدد به ابوزيد بعبارته المأثورة : انا اجيب ابوزيد يقف فى البوابة بدالك !

لكننا ذات يوم عرفنا السبب . فقد اقترح على امين على انيس منصور ان يصحب معه ابوزيد الى السينما . وان يسجل تعليقات ابوزيد على فيلم « بنات اليوم » وفيلم « لواحظ » . وعرفنا أن على امين ينظر إلى ابوزيد باعتباره « رجل الشارع » الذى من حقه ان نستمع إلى وجهة نظره فى صحافة وسينما وإذاعة بلاده . وبالفعل . جاءت التعليقات التى سجلها انيس بلسان ابوزيد ذكية ورائعة وملاحة . تعكس ما فى أعماق الانسان المصرى البسيط من حضارة لسبعة الاف سنة .

الواد الحليوة

ثم حدث ما جعل على امين يكف عن تهديدى بابوزيد أو على الأصح يقلل من حدته . إذ أرسلت اليه مذكرة عن تاخر الأقسام الفنية فى أعداد غلاف العدد الجديد . ومع المذكرة صورة الغلاف الملونة من تصوير احمد يوسف . ونظر على امين إلى صورة الغلاف . فإذا بها صورة أبوزيد وعليها تعليق : ابوزيد معبود النساء . إقرا ص ٢٦ !

وضحك على امين واعتبرها نكتة . ورفع سماعة التليفون ليتصل بى . لكننى كنت فى مكتب اخر اتصل بعلى امين منتحلا شخصية رئيس الأقسام الفنية ومقلدا صوته . وقلت لعلى امين : أحمد رجب كتب فينا مذكرة وده غير صحيح يا فندم لأن غلاف ابوزيد جاهز !

وسمعت صوت قذيفة رهيبة هى هبدة يد على امين فوق المكتب متسائلا فى استنكار : غلاف مين ؟؟ فأكدت له بهدوء انه غلاف ابوزيد وان احمد رجب قال ان على امين لم تعجبه صورة فتاة الغلاف وامر بوضع صورة ابوزيد على الغلاف .

وتوالت قذائف على امين فوق المكتب وصوته يهدد معلنا لرئيس الأقسام الفنية - الذى هو انا - انه سيودعه مع احمد رجب مستشفى الأمراض العقلية . فعدت اقول ببرود شديد وهدوء اشد انه ليس هناك اى وقت لعمل غلاف جديد . ويمشى المرة دى يافندم غلاف ابوزيد .. والله يافندم ابوزيد طالع شكله لطيف وحلو ولا روبرت تايلور .

عند هذا الحد سمعت على امين يضع السماعة بعنف . وبعد قليل علمت انه يقتحم الأقسام الفنية بحثا عن رئيسها المجنون . فأسرعت اغادر الدار الى بيت على امين . إذ كنت مدعوا على الغداء معه !

مرفود × ١٠٠ مرة !

وعلى مائدة الغداء انذرنى على امين بانه سوف يفصلنى من العمل فى الساعة السادسة والنصف مساء اليوم ! فإن احد أصدقائه الحميمين من الأدباء القدامى كان قد كتب مقالا فى ٢٥ صفحة فولسكاب . وأعطانى على امين المقالة وطلب منى ان اختصرها فى خمس ورقات . فعلى امين لا يستطيع ان يدوس الفن الصحفى الذى علمه لنا : « احترم وقت القارىء . اكتب باختصار وتركيز . لا وقت عند القارىء للت والعجن . هناك ادوات حضارية تنافسك كالراديو مثلا فكن على مستوى المنافسة عندما تكتب . اكتب باختصار وكانك تكتب برقية ستدفع عن كل كلمة فيها قرشا » .

وكما لا يستطيع على امين أن يدوس الفن الصحفى من أجل صديقه . فهو لا يستطيع ايضا أن يغضب صديقه الذى يعيش فى تقاليد الصحافة القديمة عندما كان يحتل مقال الكاتب صفحة كاملة فى الجريدة ! .. لهذا عندما اتصل به صديقه بعد النشر معاتبا غاضبا على نشر المقال مختصرا . وعده على امين بإجراء تحقيق لمعرفة الفاعل المجرم ! وعادة فى مثل هذه الأحوال يسفر التحقيق - الذى لا يحدث ابدا طبعا - عن اننى الفاعل الأوحد !

فلقد نشر كاتب معروف مقالا بغير توقيعه . فاستدعانى على امين امام الضيف الذى جاء يحتج على المقال . وقال لى : انت مرفود !

ونشر خبرق جريدة أخبار اليوم التي لم أعمل بها أبدا . فاستدعاني على أمين وقال لى أمام ضيفه الجالس : انت مرفود !

وذات مرة استدعانى فجاة لأجد عنده ضيفا ضخم الجثة واضح جدا انه مصارع . وطلب منى على أمين ان اكتب تكذيبا للخبر الذى لا اعرف عنه شيئا والذى انا برىء منه بطبيعة الحال . واذا بالضيف يحتد على فجاة ويصبح على وشك استعمال عضلاته . فنهره على أمين بأدب وانهى المشكلة بفصلى من العمل وبدون مكافاة !

المهم انني بعد ذلك لمحت هذا الضيف المارد في أحد الأندية مرتديا بدلة التدريب . وما ان لمحنى من بعيد حتى استشعرت الخطر الرهيب فجريت خارجا من النادى وظللت أعدو حتى تقطعت انفاسى ولم ينقذنى إلا القفز إلى أحد الاتوبيسات !

ولقد تكرر رفدى بعد ذلك عشرات المرات . واليوم سافصل في الساعة السادسة والنصف مساء !

لكننى ـ يومها بالذات ـ اشترطت على على أمين أن أمثل دور المفصول بشرط ان يعطينى الأمل ـ مجرد الأمل ـ فى انه سيمنحنى اجازة ولو لبضعة أيام . فإننى لم احصل على يوم واحد أجازة من سنتين واعمل معه ١٨ ساعة فى اليوم حتى « انهديت » . ولم تعد طاقتى ـ وانا فى الخامسة والعشرين ـ تستطيع اللحاق بطاقته الخرافية فى العمل ! كنت بعد ان انتهى من عملى فى المجلة اعمل معه فى مشروعات التجديدات الصحفية التى لا تنتهى . وكان يفرد الماكيتات امامه ويندمج فى العمل لدرجة أن جرس التليفون رن بجواره مرة . فقال وهو منهمك فى العمل دون أن يرفع سماعة التليفون .. الو .. مين ؟؟

ثم قلبهـــا جـــد !

وجاء صديقه الحميم فى السادسة والنصف . واستدعانى على أمين . واشتغلت القذائف أو ضربات يده على المكتب : كيف أجرؤ واختصر المقالة ؟ كيف اتطاول واجرى بقلمى فيها شطبا وحذفا . ثم هبد يده الهبدة الختامية مع العبارة المأثورة : انت مرفود !

وفوجىء صديقه الأديب . وراح يرجو على أمين فى تخفيف العقوبة وبلاش قطع العيش . ولكن على أمين صمم . وانصرف الرجل وهو مستاء من هذه المصيبة التى حطت على دماغى . والمهم انه بعد انصراف الرجل سالنى على أمين : انت اختصرت مقالته فى كام ورقة ؟ قلت له : سبع ورقات . وهنا ثار بحق وحقيق ضاربا المكتب بيده : لكن انا قلت فى خمس ورقات .. انا اجيب ابوزيد يختصر بدالك !

البشـــرى العظيمـــة !

ثم جاء على أمين يزف الى بشرى سعيدة . فعلا انا مرهق ولابد ان استمتع بحياتى . لقد أعد لى مفاجاة وسوف يمتعنى بحياتى فعلا !

وانجلت المفاجاة السعيدة على انه اصطحبنى الى النادى الأهلى لنتغدى ثم فسحنى على النيل من كوبرى الجلاء الى كوبرى عباس الى كوبرى الملك الصالح وبالعكس . وبقى أن تعرف أن الجو يومها كان خماسينيا أصفر رسيب التراب !

وانتقاما من على أمين كتبت فى مجلة « أخبار الدار » التى كانت تصدر داخل الدار مقالا بعنوان : « على أمين متعنى بالحياة » وقلت فيه :

« قلت لعلى أمين : اقترح أن نعود الى الدار فالجو خماسينى ..

فرد على أمين : الا ترى زرقة السماء الصافية ؟

قلت له : بذمتك شايفها كده ؟

قال : طبعا ..

قلت له : طيب نتمتع بالحياة فى يوم غير ده .

قال على أمين : الا تحس بنسمة الربيع الباردة الحلوة ؟

قلت له : فين دى ؟

قال : الا تشم عبير الجو الربيعى الساحر ؟

قلت له : انا لا اشم إلا ترابا أصفر .

قال على أمين : مسكين . انت بائس لأنك لا ترى حلاوة الدنيا ؟

ثم رفع على أمين رأسه الى السماء وقال :

يارب ! امنحه القدرة على أن يرى حلاوة الدنيا ! ارفع من على عينيه نظارة الخماسين الصفراء وضع بدلا منها نظارة الربيع الزرقاء !

يارب : أصبه بزكام حتى لا يشم ما فى الجو من تراب . واجعله يتخيل أن مناخيره مزروعة بزهور الكريزانتيم والجلاديول والورد والريحان حتى يحس بحلاوة الدنيا فى الربيع !

يارب : ارفع درجة حرارته الى أربعين وشرطتين حتى يرتعش ويشعر أن هذا الهواء الخماسينى الساخن هو نسمات الربيع المنعشة ! إملأ قلبه بالتسامح مع الطبيعة حتى يتصور ان هذا التراب الذى يملأ فمه هو سكر بودرة . يارب : هذا دعائى لك من أجل عبدك البائس احمد رجب الذى لا يرى حلاوة الدنيا فى الخماسين » ..



الغـرفـة ٥٣ !

●● قضيت نصف عمرى فى الغرفة رقم ٥٣ بمبنى أخبار اليوم ! والغرفة ٥٣ غرفة تاريخية . فاول من اتخذها مكتبا هو توفيق الحكيم . ثم كامل الشناوى . ثم جلال الحمامصى . ثم موسى صبرى . ثم انيس منصور . ثم سعيد سنبل . ثم كاتب هذه السطور !

وقد اشتهرت هذه الغرفة بان من يقيم فيها لابد ان يغادر دار أخبار اليوم . إما للعمل الصحفى فى دار صحفية أخرى أو إلى بيته ليستريح فى اجازة مفتوحة . وكان تعبير اجازة مفتوحة فى تلك الايام هو اسم الدلع للفصل من العمل .

فقد ترك توفيق الحكيم الغرفة ليعمل مديرا لدار الكتب وخرج منها جلال الحمامصى ليؤسس وكالة انباء الشرق الأوسط وغادرها كامل الشناوى ليراس تحرير الجمهورية . وجلس فيها موسى صبرى فتم منعه من الكتابة مع اجازة مفتوحة . ثم صدرت الأوامر بنقله الى الجمهورية بشرط الا يظهر اسمه . ثم دخل انيس منصور الغرفة ٥٣ وخرج منها فى اجازة مفتوحة ايضا . والأجازة المفتوحة ـ كما عرفناها يومئذ ـ كانت بلا مرتب او معاش او مكافاة وذلك طبقا للاوامر الصارمة الصادرة من السلطات العليا فكان مصطفى امين يدفع سرا مرتب صاحب الأجازة من جيبه الخاص حتى بعد تاميم اخبار اليوم !

وجاء الدور على سعيد سنبل ليدخل الغرفة رقم ٥٣ . ورفض بشدة فى البداية . ولكن على امين الذى اشتهر بالقدرة على ان يعدى كل من حوله بالتفاؤل استطاع ان يقنع سعيد بالاقامة فيها . فدخل يتفحصها كانما يريد أن يستجلى سرها . وهداه تفكيره الى أن يغير وضع المكتب فنقله من الحائط الشرقى المواجه للباب إلى الحائط الغربى المجاور للباب لعل ذلك يكسر نحس الغرفة !

وبقى سعيد سنبل فى أخبار اليوم .

وفى منتصف الستينات جاء دورى لاقيم فى الغرفة ٥٣ .

ورغم معرفتى بتاريخ الغرفة إلا أن عملى الدائم مع على أمين علمنى التفاؤل . بل لقد وصل تفاؤلى الى اننى قررت إعادة المكتب إلى الوضع القديم . وجاء عمال الكهرباء والتليفونات ونقلوا الأسلاك من الحائط الغربى إلى الحائط الشرقى كما كان !

ومر يومان . وذهبت لاقبض مرتبى فلم أجد اسمى فى كشف المرتبات . وسألت صراف الخزانة عن السبب فمط شفتيه علامة انه لا يعلم . وهز مدير الحسابات كتفيه علامة انه لا يدرى . وحرك موظف المستخدمين كفيه يمنة ويسرة علامة انه

لا يفهم . وكان حديث الثلاثة بالاشارة معى دليلا على أن بركة الغرفة ٥٣ قد حلت على رأسى . وأننى أصبحت من المغضوب عليهم . وأن الكلام معى باللسان مكروه شرعا !

وبدأت أبحث عن حكام أخبار اليوم فى ذلك الزمان ولم أجد الضابط الصغير الذى فوضه الضابط الكبير فى حكم أخبار اليوم نيابة عنه بوصفه سكرتيره . وبحثت عن الصول سكرتير الضابط الصغير الذى يتولى تصريف الامور نيابة عنه فهو غير موجود ايضا . وبحثت عن الشاويش ضرغام سكرتير حضرة الصول الذى يحكم فى غيابه فقيل انه يضىء اللمبة الحمراء . وبحثت عن العسكرى أبواليزيد سكرتير الشاويش ضرغام فقالوا لى انه فى صالة تحرير الأخبار يراجع المانشتات التى كتبها مصطفى امين !

وإيمانا بنظرية سعيد سنبل . بدأت أغير من وضع المكتب لتكون النافذة من خلفى . وما أن استقر المكتب فى وضعه الجديد حتى دق جرس التليفون ليبلغونى أن اسمى سقط سهوا من كشف المرتبات وعاد موظفو الادارة يتحدثون معى باللسان بدلا من لغة الاشارة علامة انى غير مغضوب عليه والحمدلله .

وبقيت فى الغرفة ٥٣ . وظل أول ساكن للغرفة توفيق الحكيم يذكرنى فى كل كتاب جديد يهديه الى اننى اجلس فى غرفته « العزيزة » كما كان يصفها دائما . كانما يطلب أن أصونها وأحرص عليها . وكانت أخر الكتب التى تلقيتها من عملاق الفن والفكر كتاب « يقظة الفكر » الذى يقول فى مقدمته « لا أريد من كتابى أن يريح القارىء . أريد أن يطوى القارىء كتابى فتبدأ متاعبه أن مهمتى هى تحريك الرؤوس » .

وقد حرك توفيق الحكيم راسى وانا أحملق فى أجواء الغرفة ٥٣ واتساءل : كيف لم أحظ من هذه الغرفة بإشعاعات الفكر والفن التى تركها توفيق الحكيم فى هذا المكان فافكر مثله وابدع مثله ؟

وتبين لى أن السبب هو اننى غيرت موضع مكتبى من الغرفة حيث كان يجلس توفيق الحكيم ونقلته الى الجانب الآخر حيث كان مربط حمار الحكيم .

●●●

التميمة

في تمرينة رجاجية ببيت احد الأصدقاء وجدت ثوبا نسائيا في حجم أصبع اليد - منياتور - موضوعا على مانيكان خشبي بنفس الحجم !

ولا أعرف لماذا استهواني هذا الثوب الحريري ، ولا اعرف ايضا لماذا تفضلت باخذه فورا عندما قال لى الصديق : تفضل !

ومنذ ان استقر هذا الفستان في جيبي تغيرت حياتي تماما : أعطاني مصطفى امين علاوة ضخمة ، واصبح على امين يسخو على بالمكافات كلما أعجبه عدد من مجلة « الجيل » وبالصدفة، أصبح كل عدد يعجبه جدا وهو الذى كان لا يعجبه إلا الكمال - والكمال لله وحده .

ولم أنتبه في البداية لهذا الدور الذى يلعبه ذلك الثوب النسائى حتى انهالت العقود السينمائية لكتابة السيناريو والحوار وانهالت معها الفلوس ، وصدر لى اول كتاب - وكان من سلسلة كتاب اليوم - حقق أرقاما ضخمة في التوزيع افزعت مدير عام المؤسسة الذى أراد « استكرادى » فوقع معى عقدا بان يكون أجرى حسب النسخ التى يتم توزيعها وليس أجرا قطعيا كما يعامل بقية المؤلفين !

وعلى المستوى العاطفى ، كفت الفتاة التى كنت أحبها عن الخناقات والغيرة والهجر والخصام واصبحت ظريفة لطيفة مطيعة تقوم بدور العاشقة الولهانة واقوم أنا بدور سى السيد !

واصبح الثوب النسائى الحريرى - الذى لا أعرف سره العجيب - يحتل مكانا امينا في محفظتى ، واطمئن كل ساعة على وجوده !

وشكت لى مرة سعاد حسنى أن بعض المنتجين لا يدفع بقية أجرها عن افلام انتهت منها ، وحدثتها عن الثوب النسائى الذى أحمله وعن سره البائع ، وبمنتهى الشهامة اعرته لها لمدة يومين ، فطرق المنتجون بابها - وكأنهم على اتفاق - ليدفعوا لها بقايا أجورها !

وحدثنى عبدالحليم حافظ في التلفون : سلفنى الفستان « الزغنن » اللى معاك . عايزه ضرورى ، وغاب الثوب النسائى ثلاثة أيام عند حليم ثم طلب أن يكون معه ثلاثة أيام أخرى ، وجاء بعدها عبدالحليم ليحتضنى ويقبلنى شاكرا ممتنا والسعادة ترقص فوق ملامحه !

ولا اعرف للآن ماذا فعل الثوب النسائى لحليم !

وسمع المنتج حلمى رفلة بخبر الفستان المعجزة والح في طلبه لأنه مديون في السوق ويود أن يسدد ديونه . وبقى الفستان مع حلمى رفلة أسبوعا ، وكان هذا الاسبوع كافيا لتسديد ديونه !

واعرته لصديق عزيز كان يمر بأزمة نفسية وما أن حمل الثوب حتى صدر في اليوم الثالث ما فك أزمته : تعيينه رئيسا لهيئة كبرى !

واستعارته منى صديقة عزيزة ولم اكن أعرف انها تريد أن يكون هذا الفستان العجيب معها في أميركا حيث قررت الهجرة الى هناك .

وهكذا فقدت التميمة الساحرة ، وتبدل - بعد فقدها - حالى : أصبح على امين يقلب كل عدد جديد من المجلة وهو يصيح غاضبا : انا أجيب أبوزيد البواب يطلع المجلة بدالك !

وجف نهر الفلوس ، وادبرت الدنيا بعد اقبال !

ولأول مرة بدأت اتفاءل واتشاءم بالأشياء : قلم حبر ، كرافتة معينة ، حذاء محدد ، وذات يوم شعرت ببرودة شديدة تسرى في ساقى اليمنى لأكتشف ان الحذاء الذى اتفاءل به أصبح له ثقب في حجم المئة فلس !

والتفاؤل والتشاؤم أو التطير من النزعات الفطرية التى تسيطر على الأفراد والجماعات وقد أوحى إلينا الأوربيون مثلا بالتشاؤم من رقم ١٣ بينما لم ننجح نحن في أن نوحى إليهم بأن البومة طائر كريه لأنهم يتفاءلون بالبومة ويعتبرونها رمز الحكمة ، وفى بعض جزر الباسيفيك يعتبرون ظهور قوس قزح كارثة كبرى ويرى الانجليز أن القط الأسود يجلب الحظ ، ويعتقد بعض الناس انه اذا رأى هلال أول الشهر العربى من الجانب الأيمن فالمولود سيكون عظيم الذكاء ، وإذا راه من الجانب الأيسر فالمولود سيكون مؤلف مسلسلات !



الأصـــل والصــورة

من سنين ، استقبلوني بترحاب في احد المطارات العربية ، واندهشت بشدة لهذه الأهمية التي احاطوني بها منذ اللحظة التي امسك فيها الضابط بجواز سفري ، ولم تطل دهشتي ، فقد صحبوني الى غرفة بالمطار ، واتضح - دون أن أدري - أن اسمي كرابيت كركوريان واتني عميل اسرائيلي اتقن التنكر وتغيير مظهري وجوازات سفري ، واخر تغيير حدث لي هو انني غيرت لون شعري الكستنائي وازلت شواربي !

وصحيح ان اثبات شخصيتي استغرق بعض الوقت ، لكنه طال وكانه دهر ، وتلمست العذر حقا لرجال الأمن في المطار عندما ابرزوا لي صورة كرابيت كركوريان - أو جرجوريان لا اذكر - فقد ذهلت وانا اراه يكاد يكون توأما لي ، وسبحان الذي يخلق من الشبه اربعين !

وبسبب هذا الحادث شعرت بانزعاج عندما نشرت إحدى المجلات العربية صورة ضمن كتاب اخرين وكتبت تحتها اسمي ، ولم تكن الصورة لي ، بل لرجل حاد الملامح قاسي العينين معقوف الأنف وفي صفحة تالية وجدت صورتي منشورة مع تحقيق عن رجال المافيا وتحت صورتي كتبوا : جياكومو منجوزي رجل المافيا القوي .

وعادت المجلة العربية تنشر تحقيقا عن الذين يقومون بتحرير باب البخت في الصحف فنشرت حديثي ومعه صورة رجل المافيا جياكومو منجوزي ومكتوب تحتها اسمي !

وحاول مكتب القاهرة تصحيح هذا الخطا فنشرت المجلة اعتذارا أوضحت فيه ان لبسا قد حدث وأن هذه هي صورة الأستاذ فلان الفلاني وكانت الصورة لجياكومو منجوزي بينما كتبت تحت صورتي اسم جياكومي منجوزي !

واتصلت بمركز المجلة في بيروت استغيث من أن الاصرار على نشر صورتي باعتباري جياكومو منجوزي سوف يسبب لي متاعب في المطارات وقد يعرضني للمطاردة بالمدافع الرشاشة ، فوعدني مدير التحرير بتدمير كل كليشيهات وافلام جياكومو منجوزي ، فمزق ودمر كليشيهات صورتي انا وابقى صورة منجوزي مكتوبا تحتها اسمي !

ومقالب الصور لا تنتهي !

زمان كانت تصدر في القاهرة مجلة فكاهية اسمها البعكوكة ، وكان الشربيني افندي لا يغفر لأي تلميذ يضبطه متلبسا بحيازة البعكوكة ، فما أن يقع هذا التلميذ بين يديه حتى ينهال عليه بالقول : ياسوقي .. ياحثالة يافسل .. ياأرذل من خنيزع ويا احمق من هبنقة ، وما أن ينتهي من هذا الموشح حتى يامر التلميذ بأن يقلب ظهر يده - في عز البرد - ليتلقى عشرين مسطرة عقابا على حيازة البعكوكة .

ومن صور للشربيني افندي في رحلة مدرسية قصصنا صورة لوجهه وارسلناها الى مجلة البعكوكة وظهرت الصورة في صفحة مليئة بصور القراء وتحت الصورة الشربيني افندي من أصدقاء البعكوكة وكانت مذبحة كبرى للفصل ولا مذبحة المماليك .

وفي الأربعينات كان هناك ممثل اشبهه تماما اسمه فرناندو لاماس ، فكنت اشترى عشرين صورة له من الحجم الصغير واستخدمها في بطاقات الكلية واشتراك المواصلات وما إلى ذلك وكانت العشرين صورة بقرش بينما الذهاب للمصور يكلف عشرة قروش ، فسعدت كثيرا بهذا الممثل الذي كان يتيح لي أن اصرف الميزانية المخصصة للتصوير الفوتوغرافي في الذهاب الى السينما ، وظللت استخدم صوره لسنوات الى أن دق باب البيت طارق يقول : بوليس ..

-- لماذا كفى الله الشر ..

— مطلوب للنيابة ..

ووقفت امام وكيل النيابة متهما بالتزوير في أوراق رسمية إذ قدمت طلبا الى جهة حكومية مرفق به صورتي .

قال لي وكيل النيابة : هل هذه صورتك ؟

— طبعا صورتي ..

قال وكيل النيابة : مطبوع خلفها بالانجليزية فرناندو لاماس نجم مترو جولد وين ماير .. فهل تصر على اقوالك ؟

وحكيت الحكاية لوكيل النيابة .

واصبح وكيل النيابة الذي حقق معي من اعز الأصدقاء وهو المستشار ناصر مرسي السفير السابق بالخارجية !



التطـور العظيـم !

كنت من أكبر مشجعي نادى الزمالك ، ثم حدث ما جعلنى - فى ذلك الزمان البعيد - أكف عن هذا « التزملك » إذ تعرض النادى لسلسلة من الهزائم المشينة على يد أندية صغيرة مثل نادى فابريكة المكرونة ونادى شركة الدباغة ، الأمر الذى كاد يصيبنى بكافة أمراض الدم والأعصاب . وقد حدث أيامها أن أمسك المارة بشاب بجوار نادى الزمالك وظلوا يضربونه وهو يستغيث ثم توقفوا عن ضربه وأطلقوا سراحه عندما أقسم لهم أنه نشال وليس لاعبا فى الزمالك .

ثم جاءنى الأصدقاء الزمالكاوية لأعود الى حظيرة الزمالك مشجعا فبرقت فى راسى فكرة جديرة بالتنفيذ لماذا لا أساوم كما يفعل بعض اللاعبين بناديهم ؟ لماذا لا يدفع لى الزمالك مبلغا محترما حتى لا أنتقل الى ناد آخر أشجعه ؟ لقد حان الحين ليحصل كل مشجع على حقوقه ، فالمشجع يعد من أهم أطراف اللعبة وأبخسهم حظا ورزقا ، ثم انه معرض - أثناء المباريات - للاصابة بكافة الأمراض ابتداء من الضغط والسكر إلى الانهيار العصبى والسكتة القلبية ولابد أن يكفل له اتحاد الكرة حقوقه فيحصل على استغناء من ناديه مع دفع خلو رجل للنادى الجديد الذى عليه أن يتكفل بسداد جميع ديون المشجع وتوفير شقة متواضعة له على النيل وسيارة صغيرة مرسيدس ومعاملته معاملة اللاعب فى المكافآت والأجور . فمن المدهش حقا أن المشجع يتحمل التزامات مالية باهظة دون مقابل ، فهو يشترى المواد الضرورية لحضور المباريات الحساسة مثل الطوب والحجارة والزلط ، كما انه يضحى بالكثير من ماله الخاص فلا يفكر فى استعادة رهن الزجاجات الفارغة المتجهة الى دماغ حكم المباراة .

مثل هذا المشروع - كفالة حقوق المشجع - كان يمكن أن ينصف تلك الفئة البائسة التى تظل تعوى فى الملاعب وفاء وحبا فى النادى ولاعبيه ، غير اننى لم أجد أى حماسة من الزملاء المشجعين فاستقر رايى على عدم تشجيع اى ناد والاكتفاء بالتعاطف مع المنتخب القومى ، إلى أن وصل المنتخب الى نهائيات كاس العالم فعدت أمارس التشجيع ، غير أن الفريق القومى بدا يهز أعصابى فهو يوم فى العالى ويوم فى النازل ولا مستوى ولا مقياس ، وكثيرا ما ساءلت نفسى وأنا أرقب لعب الفريق القومى : هل تطورت الكرة عندنا عن زمان ؟ ؟

واكتشفت أن التطور الوحيد الذى حدث هو أن أسماء اللاعبين أصبحت قابلة للنشر إذ كانت أسماؤهم زمان من عينة السكران والعضاض ولوفا وخيشة وابوجلمبو .

وفى الرعيل الأول لكرة القدم كان اطلاق اسم على اللاعب يتم لسبب وجيه ، فمختار التتش مثلا أطلق عليه المدرب الانجليزى هذا الاسم لانه كان ضئيل الجسم يقفز برشاقة مثل كرة مطاطية ، واطلقوا على محمد حسن حلمى اسم زامورا عندما سدد الكرة فى شبكة أشهر حارس مرمى وقتئذ وهو الأسبانى زامورا . وتقليدا لحلمى والتتش . بدأ كل لاعب يبحث عن اسم غريب لأن الأسماء الجميلة ، لا تصلح للملاعب . وفى الخمسينات مثلا عرضوا على احد اللاعبين هذه الأسماء الأهتم - قلاية - الجربوع - الابوظيا - جعيصر - الرفاس - طريشة - غير أن اللاعب راى أن كل هذه الأسماء لطيفة وشيك وانتهى به الأمر الى أن يسمى نفسه كاللو ..

• • •

فى مسألة الغلط !

إذا رأيت غلطة مطبعية فى بعض ما أكتب أتذكر ما كنت أعانيه عندما كنت مسئولا عن الأخطاء المطبعية ، فقد اعتاد مصطفى أمين أن يقلب صفحات النسخ الأولى الصادرة من المجلة وعلى الفور تقع عينه على الغلطة المطبعية وسط مئات السطور . كيف ؟ لا أعرف غير أن المرة التى لا أنساها هى عندما أشار مصطفى أمين الى سطور وهو يتساءل : ما هذا ؟ وقرأت سطرا يقول : ورئيس الوزراء يفضل رياضة المشى فى ساعة الأصيل ويكره تقشير البطاطس .

وأسرعت الى المطبعة لأصحح هذا الخطأ الذى سوف يتسبب بالتأكيد فى أن أقشر أنا البطاطس بعد اعطائى أجازة مفتوحة بلا مرتب ، وكانت الأجازة المفتوحة هى الموضة فى تلك الأيام .

وفى العدد التالى من مجلة الجيل أمسكت بماكيت المجلة وفتشت سطورها بعناية حتى لا يقشر وزير بطاطس أو يخرط ملوخية . وزيادة فى الاحتياط رأيت أن أعرض الماكيت على مصطفى أمين الذى قلب صفحات أخبار الاسبوع السياسية ، ليسألنى بعد لحظة : ما هذا ؟ وأشار إلى سطور تقول : وقال داج همرشولد أن المحادثات كانت ودية بين الجانبين وأعلن أنه يكره تقشير البطاطس .

ما الحكاية ؟ ومن أين تأتى هذه البطاطس ؟؟

أسرعت أتصل بالمصحح لأسأله : ياسيدى كيف تترك هذا السطر الذى يعلن فيه همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة أنه يكره تقشير البطاطس ، فوعدنى

بتصحيحه فورا . وطلبت بروفة جديدة للمراجعة لأجد ان المصحح قد وفى بوعده وصحح العبارة كالآتى : واعلن داج همر شولد انه لا يكره تقشير البطاطس !

والأخطاء المطبعية درجات . فهناك الغلطة الفادحة وهناك الخطأ البسيط الذى يمكنك من إدراك المعنى مع سياق الكلام . وعندما تصبح هذه الأغلاط فى العناوين الرئيسية فهى لا تغتفر . لأن العنوان الرئيسى او المانشيت لا يمكن ان تخطئه العين فى بروفات الصحيفة ومع ذلك فقد ظهر فى احدى صحف ولاية بنسلفانيا الاميركية هذا المانشيت العريض : « مساجين يهربون من السجن بعد اعدامهم » .

وفى صحيفة لانسينج ستيت جورنال ظهر هذا المانشيت العريض « اتخاذ الاجراءات فى الولاية لاعدام جميع المواطنين فوق ١٧ سنة » وفى جريدة تكساس : ضباط نبراسكا احسن لصوص بنوك » وفى جريدة جالفستون بتنيسى « كلب فى الفراش يطلب الطلاق » وفى صحيفة نورث فورت ورث نيوز سقطت كلمة « ثور » من العنوان فاصبح كالتالى مستر فلان يمتلك اكبر قرون فى تكساس .

اما عن الأخطاء بين السطور . فقد جاء فى جريدة بوسطن بوست : وبعد حفل الزفاف ودعت العروس عريسها لتقضى شهر العسل . وفى صحيفة تيبتونفيل بتنيسى : يجتمع نادى الحدائق فى الثانية والنصف يوم الأربعاء القادم للمحافظة على السراويل الداخلية !

وفى صحيفة فوكس فيل بتنيسى : وفى حفل الزفاف عزفت اوركسترا الكنيسة للعروسين نشيد الآن بدات الحرب . ومن الأخطاء المطبعية فى الاعلانات : سوف تحب هذا النوع من البوربون عندما تشربه . ثم اتصل برقم ٢١٧٠٠ حانوتى هينس .

وهذا الاعلان : اطلب محلات ويزرز لتحصل على فطيرة فاكهة صناعة منزلية من خشب الماهوجنى المتين .

وفى صحافتنا نشر هذا الخبر عن ضيف يزور مصر : ثم انتقل سيادته إلى مثواه الأخير فى هيلتون .

وعندما كان المرحوم انطون الجميل رئيسا لتحرير الاهرام كتب هذه التاشيرة على نعى فى الوفيات : ينشر ان كان له مكان . فظهر النعى فى الاهرام كالآتى : اسكنه الله فسيح جناته ان كان له مكان !

● ● ●

النشـــال !

●● قبل ان يمتد العمران الى شارع الصحافة . كانت عشش الترجمان تحيط بدار اخبار اليوم . وكانت عشش الترجمان هى مساكن القرداتية والنشالين الذين يغطى نشاطهم كل القاهرة !

وعرفنا من جيراننا عظماء النشالين الذين يسرقون الكحل من العين مثل : العقرب والشفاط وريشة وخلقة ربنا ـ اسمه كده ـ والبسه وبمبو ومنخر والنملة وتهتوهة !

وكان جيراننا فى منتهى الشهامة والحق يقال . إذا نشل صديق او قريب لواحد منا فما عليه إلا ان يتوجه الى عميد النشالين ليدلى بالتفاصيل عن زمان النشل ومكانه . وبعدها يستعيد المحفظة كاملة الفلوس ومعها أسف عميد النشل بعشش الترجمان !

ومضت السنون وازيلت عشش الترجمان من وسط القاهرة ونقل شاغلوها الى مساكن جديدة ولم يعودوا جيرانا لنا .

ودق موظف الاستقبال التليفون الداخلى فى مكتبى ليقول لى ان نشالا يطلب مقابلتى . وخطر ببالى ان الزائر مادام لم يذكر اسمه وقدم نفسه بصفته نشالا فلابد انه واحد من جيراننا الاوائل : ريشة أو نملة او العقرب جاء ـ فيه الخير ـ لزيارتى . وتمنيت فى سرى الا يكون القادم هو تهتوهة إذ انه مصاب بلعثمة ينطق معها كلمة ازززيك فى ربع ساعة .

وقلت لموظف الاستقبال دون ان اساله عن اسم النشال انى فى انتظاره .

غير ان الزائر كان وجها جديدا لا أعرفه . قدم نفسه قائلا :

— محسوبك عبدالفضيل نشال محافظ وعندى ٣٩ سابقة .

— وطلباتك ؟

— جئت اتوب على يديك .

لابد انه قريب واحد من جيراننا القدامى وصف له الطريق الى مكتبى . وقبل ان اساله راح يستحلفنى وهو يحتضننى ويقبل اكتافى الا ارده خائبا . ثم ما لبث ان اعتدل ليقول انه نشال شاطر لا يشق له غبار وانه يستطيع ان يستمر فى المهنة التى ياكل منها « بقلاوة » لكنه قرر ان يتوب على يدى بعد ان اكفل له عملا شريفا . ثم قدم لى محفظتى التى نشلها من جيبى الداخلى ليثبت لى انه نشال ممتاز ولا يريد الحرام .

ولم يستغرق هذا كله ثوانى معدودات :

اخذت منه محفظتى ووضعتها فى جيبى ووجهى لا ينكر الدهشة من خفة يده ثم

سألته ماذا يتقن من أنواع الحرف فقال : النشل . انه لم يتعلم حرفة فى حياته ـ منذ الصغر إلا النشل .

واقتنع احساسى بعزم عبدالفضيل على التوبة دون مبرر منطقى فاتخذت كل الاجراءات الروتينية اللازمة لعودته الى الحياة الشريفة كرفع دعوى رد الاعتبار وما الى ذلك بوصفه من اصحاب السوابق العتاة . وما ان انتهت هذه الاجراءات حتى اتصلت تليفونيا بالمهندس عثمان احمد عثمان ورجوته ان يعين عبدالفضيل ساعيا أو فراشا بـ « المقاولون العرب » ولم أقل له انه صاحب ٣٩ سابقة نشل بل قلت له ان ظروف حياته تقتضى سرعة إلحاقه بعمل . فاستجاب المهندس عثمان احمد عثمان مشكورا وقال : ارسله فورا ..

بعد اسبوع سألت المهندس عثمان احمد عثمان : ما اخبار عبدالفضيل . فقال لى : تمام .. بيبوس أيديك !

وكنت التقى بالمهندس عثمان احمد عثمان فى مختلف المجتمعات فاسأله عن عبدالفضيل ليقول : تمام .. بيبوس ايديك !

وفى كل مرة ادعو فى سرى الا يسود عبدالفضيل وجهى مع الرجل الذى كفل له عملا شريفا

وجاءنى عبدالفضيل يقول ان ابنته قد اصيبت بشلل الاطفال فارسلته الى الدكتور احمد خالد استاذ العلاج الطبيعى بكلية طب القاهرة الذى رفض مشكورا أن يتقاضى أجرا اعجابا بتوبة عبدالفضيل حتى تم شفاء البنت . وبلغت الأمانة بعبدالفضيل انه أعاد مائتى جنيه الى ادارة المقاولون العرب كانت صرفتها له لعلاج ابنته !

ثم جاءنى عبدالفضيل ذات مرة فى زيارة روتينية من زياراته لأسأله : مبسوط ياعبدالفضيل فى شغلك ؟ وقال لى خبرا غريبا جعلنى أصرخ بأعلى صوتى : يانهار اسود !

واسرعت اتصل بالمهندس عثمان أحمد عثمان .

ماذا جرى ؟

انى اترك المهندس عثمان احمد عثمان يروى الحكاية فى كتابه « صفحات من تجربتى » فيقول عن عبدالفضيل فى صفحة ٥٥٥ :

« واصدرت قرار تعيينه . وعندما التقيت بالرجل حكى لى عن كل جوانب حياته بما لها وما عليها فأحسنت معاملته عندما عرفت ظروفه وتاب الى الله وأدى فريضة الحج » .

ثم يقول المهندس عثمان أحمد عثمان : وكان ان اتصل بى أحمد رجب بعد فترة لكى ينبهنى الى ما له من سوابق .. وفوجىء باننى عرفت كل تفاصيل حياته .. ولكن المفاجأة الكبرى كانت لأحمد رجب عندما عرف ان هذا النشال اصبح احد الأمناء على خزائن المقاولون يمسك بيده عشرات الالوف من الجنيهات !

● ● ●

جليـل البنـدارى

■ كان جليل البندارى من أبرز الظرفاء فى ليالى القاهرة . وكان أكبر وأشهر صحفى فى الوسط الفنى ولطول لسانه قيل انه كان لا يغسل يديه قبل الأكل . بل يغسل لسانه . بينما اطلقت عليه تحية كاريوكا : جليل الأدب !

وكانت خفة الدم التى تمتزج دائما بطول لسانه هى التى تغفر له دائما كل شىء . وقد رأيت مرة ـ مثلا ـ فريد شوقى ثائرا هائجا فى بيت جلال معوض . يتوعد جليل بالقتل لأن لسانه طال عليه فى احدى المقالات . وقد تصورت أن وحش الشاشة سوف يفتك بجليل فتكا عندما يراه . ورحت أهدئ من ثورته وعصبيته . وبعد قليل دخل جليل البندارى وانفجر فيه فريد شوقى ثائرا وإذا بلسان جليل كالمدفع الرشاش . واذا بوحش الشاشة الثائر يكاد يقع على الأرض من الضحك !

وبقدر ما كان لسان جليل حادا ورهيبا . كان بالغ الطيبة الى حد السذاجة . الأمر الذى كان يغرينا دائما بتدبير المقالب له .

ذات مرة سأل جليل زميلنا توفيق بحرى عن الحبر الذى يستعمله . فقال بحرى انه حبر لا يباع إلا فى الصيدليات . فارسل جليل فى طلب الحبر من الصيدلية . واتبع تعليمات توفيق بحرى لملء القلم بالحبر فنقع مسحوق الحبر فى الماء وظل طويلا ينتظر تحول الماء إلى حبر كما قال له بحرى لكن الماء ظل على بياضه دون ان يعرف جليل ان المسحوق المنقوع فى الماء هو الكويكراوتس غذاء للأطفال ! وقال له بحرى أن الماء لن يصبح حبرا إلا داخل القلم . فملأ جليل قلمه الشيفرز الثمين بماء الكويكراوتس وباظ القلم !

وسألنى مرة جليل عن الحبر الأسود الذى أستعمله وصدق جليل عندما قلت له : انت تعلم اننى عائد لتوى من بلغاريا وقد ملأت قلمى من البحر الأسود .

وفى اخريات ايامه كان جليل البندارى يهوى جلسات تحضير الأرواح . وكان يعهد بذلك الى رجل اسمه ابوالوفا . وكان ابوالوفا يقوم بتحضير الروح المطلوبة فتاتى روح اخرى تقوم بتكسير الأكواب والأطباق ثم يتضح انها روح هتلر . فقد كان ابوالوفا يتواطأ معنا لعمل المقالب فى جليل .

ومرة أعلن أبوالوفا ان الروح حضرت وانها روح مستر تشرشل . وطلبت روح تشرشل حضور انيس عبيد ـ الذى يقوم بكتابة الترجمة على الأفلام ـ ليقوم بترجمة كلام تشرشل ! فلما اكتشف جليل تواطؤ ابوالوفا معنا لجأ لمحضر ارواح اسمه الحاج طلبة . ليقوم بتحضير الست شوق البولاقية التى هام بها نابليون

بونابرت غراما خلال وجوده في القاهرة أيام الحملة الفرنسية . وكان جليل بصدد كتابة أوبريت غنائي يحكي غرام نابليون بفاتنة بولاق ورأى أن تحضير روحها سوف يمكنه من كتابة الأوبريت بتفاصيل تاريخية صحيحة .

ولأمر ما تغيب الوسيط فاختار الحاج طلبة وسيطا آخر وراح يجري طقوسه في الغرفة المعتمة . وما لبث أن سرت همهمات غامضة قال بعدها الحاج طلبة : السلام عليكم وردت روح شوق البولاقية السلام وقدمت نفسها قائلة : أنا شوق بنت عديلة وكانوا يدللونني باسم شواشي ، بينما كان نابليون يناديني شير شو .

وقالت شوق البولاقية انها تعرفت بنابليون في بيت مندور الكحكاوي وانه اعجب بها اعجابا شديدا . وروت شواشي أو شوق تفاصيل كثيرة عن غرام نابليون بها وكيف أغراها بالسفر معه الى فرنسا وكيف بكى على كتفها عندما حطم نلسون الأسطول الفرنسي في ابي قير وكان نابليون يقول في بكائه : نلسون ابن الحرام كسر لي الأسطول يا شو ..

وقد صدمت شوق صدمة فظيعة عندما اكتشفت أن نابليون كان يريد ان يستولى على مصاغها خصوصا خلخالها الدهب .

وكان جليل يكتب كل هذه التفاصيل .. وبقي أن أقول انني كنت الوسيط الذي قال كل هذا الكلام الفارغ .

● ● ●

ينشر أو لا ينشر ؟

■ هل من حق الصحافة أن تنشر الأخبار الشخصية عن نجوم المجتمع ؟

إذا اختلف زوج مع زوجته خلافا حادا ثم تصالحا بعيدا عن الشرطة والنيابة لما شعر بهما احد ، إذ ليس من صفات الصحافة الفاضلة انتهاك حرمات البيوت . اما اذا أشعل هذا الزوج النار في باروكة زوجته وهي على راسها وضربت هي بالصوت الحياني فاسرع ينزع الباروكة من رأسها ليلقي بها في منور العمارة واندلعت النار في المنور ، فالأمر قد وصل بذلك الى النيابة والمحكمة واصبح الزوج والزوجة - سواء كانا شخصين عاديين او نجمين معروفين - خبرا في صفحة الحوادث يهم كل سيدة عندها باروكة وكل رجل يريد ان يشعل النار في باروكة زوجته او يتمنى ذلك .

واذا احتفلت الفنانة فتكات رمش العين باقترانها بالزوج الرابع عشر ثم تقدمت ابنتها الصغيرة تطلب الى العريس الجديد أن يوقع في دفتر الزيارات الذي تحتفظ

به لمثل هذه المناسبات ، فإن نشر الخبر على هذه الصورة قد يحمل اساءة الى العروس ، كما يمكن تكذيب الخبر بسهولة اذا كانت الصحيفة تكذب وتزعم انه الزوج الرابع عشر مع انه الزوج الثاني عشر .

واحيانا يكثر الفنان فلان من الظهور مع الفنانة علانة ، ويقول فلان ان ليس بينه وبين علانة اى شيء غير الزمالة والود والاحترام . وتقول علانة ان ليس بينها وبين فلان غير الزمالة والود والاحترام ثم يتزوجان بعد قصة الحب التي يعرفها الجميع وينفردان هما بنفيها ، ثم يصرح كل منهما بأن ليس بينهما غير الزمالة والود والاحترام بعد الطلاق ..

والواقع ان الفنانين كثيرا ما يرحبون بالأخبار الشخصية من باب الدعاية لفيلم جديد أو من باب الدعاية عموما . وهوليود هي التي ابتكرت فبركة الأخبار الشخصية ، وأجهزة الدعاية فيها هي التي فبركت خبرا تناقلته وكالات الانباء عن روبرت متيشوم الذي تم ضبطه في غرزة حشيش ، بل ان لكل نجم ونجمة هناك مدير أعمال يتولى فبركة الأخبار الشخصية وتسريبها الى الصحفي . وقد سئلت احدى ممثلات الصف الثاني في هوليود عن سبب طرد مدير أعمالها فقالت لأنه ضعيف الذاكرة ، إذ طلقني من ازواجي سبع مرات بينما هو زوجني خمس مرات فقط .

ومنذ سنوات زارني ممثل معروف وقال لي انه قرر الانفصال عن صديقته الفنانة المعروفة وهو يريد سببا وجيها غير السبب الحقيقي للانفصال حتى يتخذ منه مادة للدعاية لفيلمه الجديد الذي تشاركه هي فيه البطولة .

وتهلل وجه الممثل المعروف وهو يستمع الى اقتراحي ، إذ اشرت اليه بأن يقول ان سبب عدم اتمام الزواج هي بطاقة الدعوة لعقد قرانهما ، إذ أصرت هي - اسوة بإعلانات الأفلام - أن يكتب اسمها أولا بينما صمم هو على كتابة اسمه قبل اسمها

● ● ●

.. على الرصيـــف !

■ هل صحيح أن الفنان لا يستطيع أن يبدع إلا في برج عاجي ؟؟

توفيق الحكيم ـ الذي أشغل غرفة مكتبه بأخبار اليوم ـ كان يكتب انتاجه العظيم في تلك الغرفة التي تطل على خمس ورش حدادة ، واذا دارت المطبعة ـ أسفل الغرفة مباشرة ـ أصيب المكتب وكرسي المكتب والجالس فوق كرسي المكتب برعشة متواصلة ، وكان على أمين يكتب وسط أجراس التليفونات والداخلين والخارجين من المحررين ، فإذا اندمج في الكتابة ودق جرس التليفون بجواره استمر في الكتابة قائلا دون أن يرفع السماعة : الو .. أنا على أمين !

ويستطيع مصطفى أمين أن يكتب وسط ضجيج مائة وابور زلط ومهما كان مكتبه يموج بالزوار والمتحدثين وموسى صبري يغلق مكتبه بالمفتاح حتى لا يزعجه احد مع أن غرفة مكتبه بالدور الاول تطل على ورش الحدادة الخمس ، وبينما اصوات المطارق الحديدية تملأ غرفة مكتبه نجده يستدعي الساعي ليحكم اغلاق صنبور الماء لأن النقط تزعجه !!

ويستطيع أنيس منصور أن يكتب في أى مكان دون أن يضع النقط فوق وتحت حروف المقال وبعد أن ينتهي من الكتابة يأخذ المقال الى مكان هادىء يرش فيه النقط على الحروف (ملحوظة : هذه ليست نكتة) وعندما التحق الكاتب الساخر احمد بهجت بمجلة « الجيل » كان يدوختني بمطاردته لارتباطي بمواعيد الطبع ، إذ كان من عادته ـ عند الكتابة ـ أن يخلع حذاءه وجواربه ويضع امامه اكواب الشاى وعلب السجاير ويقضي ساعات وساعات حتى اضررت الى الجلوس بجواره ذات ليلة الى الثانية صباحا ولما لم ينته غافلته وحملت حذاءه وجوربه وانصرفت ليعود الى بيته حافي القدمين !

والموسيقار الكبير الامبراطور عبدالوهاب يمكنه أن يصنع الحانه الساحرة وسط الناس جميعا دون أن يشعر أحد انه مشغول بالصنعة ، وبينما كان منهمكا ذات مرة في لحن هان الود وهو يجلس في لوبي هيلتون تقدمت منه سيدة تصافحه وتعرفه بنفسها قائلة : أنا خديجة رمزي اخت المرحومة زينات رمزي ، فقال عبدالوهاب بترحاب شديد : أهلا يا خديجة هانم .. ازيك وازى المرحومة زينات هانم ؟؟

وذات صيف بعيد كنت اجلس مع عبدالوهاب في شرفة منزله بالاسكندرية عندما اقترح أن نذهب الى قصر المنتزه لأنه يريد أن يتجول في غاباته الهادئة وقت الغروب ، وفي الغابة الجميلة التي لم يعد لها وجود الآن سرت الى جوار الموسيقار الكبير وقد انشغل تماما عن الحديث بتلحين اغنية « بفكر في اللي ناسيني » ، وشيئا فشيئا علا صوته باللحن : وادور ليه على جرحي .. وصاحب الجرح مش فاكر واقول ياعيني ليه تبكي مادام الليل مالوش آخر ، ثم تسلطن الامبراطور تماما وانطلق يغني وكأنه في حفل عام : واقول ياعيني ليه ليه ليه تبكي ، وراح يبدع في ترديدها باشكال مختلفة ، ثم فجأة قال لي : تعال نجيب العود من العربية ، وعلى الرصيف جلست الى جواره وهو يحتضن العود ويردد : عذاب الجرح يحرمني من الدنيا اللي انا فيها وطول الليل يرجعني لدنيا كنت ناسيها .

لم استمتع بالفنان العظيم مثلما استمتعت به في تلك الامسية ولم يقطع متعتي إلا سائح اوروبي تقدم منا ونحن على الرصيف ودس في يدى « شلن » افتكرنا شحاتين !! ..

• • •

أطبـــاء

■ ما هي العلاقة بين الطب والأدب ؟

ان ابرز ادباء العالم من الأطباء : انطون تشيكوف أعظم من كتب القصة القصيرة ، وجورج ديهاميل وسومرست موم وسير آرثر كونان دويل ـ مبتكر شخصية شرلوك هولمز ـ ويوهان شيلر وبريخت والشعراء كيتس وشيلر وروبرت بريدجز !

وفي ادبنا العربي نجد طابورا طويلا من الأطباء : ابراهيم ناجي صاحب الشعر العذب الرقيق ، ويوسف ادريس عملاق القصة القصيرة ، والمفكر مصطفى محمود والدكتور سعيد عبده والدكتور حسين فوزي ومحمد كامل حسين صاحب قرية ظالمة التي نال عنها جائزة الدولة في الأدب !

وباستثناء محمد كامل حسين الذى كان رائد جراحة العظام في مصر ونال جائزة الدولة ايضا في العلوم كطبيب ، نجد اطباءنا الأدباء لم يضيفوا شيئا الى مهنة الطب ، وإن كان مصطفى محمود ـ تخصص امراض جلدية ـ اعتقد مرة اثناء عملية تشريحية انه اكتشف رئة ثالثة في الانسان ثم اتضح انه نسى نظارته في البيت .

وكان كامل الشناوى يقول ان يوسف ادريس ومصطفى محمود من خريجى كلية الطب الجميلة ، وهى غير الكلية التى تخرج فيها على باشا ابراهيم وانور المفتى . ورغم نصيحة كامل الشناوى لى بالا استشير مصطفى محمود اى استشارة طبية إلا اننى أعترف أن مصطفى صاحب فضل كبير لا يمكن ان انساه . فمن ربع قرن كنا متجاورين فى المسكن ، وحدث ان مرضت ذات ليلة ، وبحثوا عن جارى د. مصطفى محمود فى منتصف الليل ، واصبحت بعد تلك الليلة ادين له بحياتى ، إذ اتضح انه كان مسافرا وبذلك نجوت بأعجوبة من الموت على يديه !

لا يزال السؤال قائما : ما هى العلاقة بين الطب والادب ؟

ان أحد مشاهير الأدباء الأطباء ـ سومرست موم او جورج ديهاميل لا اتذكر ـ فسر ذلك بان الطبيب يرى الانسان ـ فى حالة المرض ـ عاريا عن كل غرور وكبرياء ممدودا فى استسلام والام الأمر الذى يدفع الطبيب الى التفكير فى لغز الحياة والمصير !

ولو صدق هذا التحليل لكان بين الادباء والمفكرين كثير من الحانوتية !

والامر كله فى اعتقادى يعود الى موهبة ادبية فذة لا يرقى الى مستواها الاكتساب ـ إكتساب الدراسة الطبية ـ إلا ان الذى لاشك فيه ان الاشتغال بالفكر والادب يجعل الطبيب انسانا مرهف المشاعر ، فقد كان يوسف إدريس مثلا وهو مفتش صحة السيدة زينب شديد التعاطف مع الناس ، يفحص من يلتقى بهم دون ان يطلبوا منه ذلك ، فكان يوسف يمرض السليم اما المريض فالفاتحة على روحه ..

واذكر ان يوسف ادريس دخل علينا ذات ليلة كافتيريا هيلتون يسالنا ماذا يسمى ابنه البكر الذى ولد فى تلك الليلة فاقترح كامل الشناوى على يوسف أن يسمى ابنه « الدكتور » حتى يكون اسم الولد الثلاثى الدكتور يوسف ادريس فيتحقق بذلك أمل يوسف ان يكون طبيبا !

● ● ●

فى الصـــالون !

أكره الحلاقة جدا !

الأرجح أن السبب حادثة مرت عليها عشرات السنين يوم ذهبت أحلق شعرى وانا فى المدرسة الابتدائية فدخل رجل صالون الحلاق وفى يده ابنه فى مثل عمرى ، فقص الرجل شعره وحلق ذقنه ، وجاء دور الولد الصغير فاجلسه الحلاق على منضدة ليقص له شعره بينما ذهب الأب الى الحانوت المجاور بعد ان نفدت سجائره ، وجن جنون الأسطى رشوان عندما اكتشف ان الرجل ليس ابوالولد الصغير ، وإنما اصطحبه من الطريق ليتركه رهينة عند الحلاق باعتباره ابنه ويفر دون ان يدفع الأجرة !

ولم يكتف الحلاق بضرب الولد المسكين الذى لا ذنب له ، بل امسك بى انا ايضا وهو يصيح : وانت كمان ابوك فين ياولاد النصابين ؟ ولم ادر فى مقاومتى اننى كسرت قصرية زرع فتحول الحلاق الى القصرية المكسورة وتحولت انا الى الشارع أسابق الريح

من يومها أصبت بما يمكن ان يسمى بـ « رهاب الحلاقة » او الخوف من الحلاقة او « الحلاقة فوبيا » مثل الكلوستروفوبيا اى جنون الخوف من الأماكن المغلقة والساينوفوبيا ـ جنون الخوف من الكلاب . وقد دفعتنى تلك « الحلاقة فوبيا » الى عدم الانتظام فى الحلاقة او تحديد حلاق معين . فكنت اترك شعرى الى ان يصبح منظرى غير مقبول فارغم نفسى على التوجه الى أول حلاق يصادفنى . الى ان انتقلت من الاسكندرية الى القاهرة واستقر بى الأمر عند الأسطى محمد حلاق أخبار اليوم الذى كان له صالون فى قلب الدار يتردد عليه مصطفى امين وعلى امين وتوفيق الحكيم واحمد الصاوى محمد ومحمد عبدالوهاب وغيرهم من عمالقة الصحافة والأدب والفن . وعندما قامت ثورة يوليو أصبح الأسطى محمد حلاق جمال عبدالناصر وضباط الثورة .

وذات مرة كنت أدردش مع الأسطى محمد وقلت له اننى انوى القيام بخبطة صحفية فاجرى حديثا مع جمال سالم الذى لم يفلح صحفى واحد فى عمل حوار معه . وقال لى الأسطى محمد هذا صعب جدا . لأن جمال سالم يكره الادلاء باى حديث صحفى كما انه شديد العصبية وأخشى ان يسىء اليك وقلت للأسطى محمد سوف اجرى حديثا صحفيا مع جمال سالم وما عليك إلا أن تساله ان يحدد لى موعدا .

وكبرت المسالة فى راس جمال سالم : كيف يجرؤ صحفى على طلب حديث معه ؟ وتطورت المشكلة عندما رفضت الذهاب اليه . فارسل سيارة بوليس حربى لضبطى وإحضارى فهربت من اخبار اليوم ثم من القاهرة كلها الى الاسكندرية ولم يخلصنى من هذا المأزق إلا على امين الذى كان صديقا حميما لجمال سالم . ومات الأسطى محمد صاحب صالون اخبار اليوم وعادت حيرتى من جديد مع شعرى ثم استرحت كثيرا الى الفنان محمود لبيب . وهو رفيع الذوق ويتعامل معه كل نجوم القاهرة فى الفن والأدب . ولانه فنان يساير التطور اولا باولا فهو يقص دائما وفق الموضة الجديدة . وعندما جاءت موضة الشعر القصير جدا خرجت راسى من تحت يديه وهى شبه . قرعة . ولما ضربت الجرس كادت زوجتى تغلق الباب فى وجهى لانها لم تتعرف على لاول وهلة ثم ما لبثت ان صاحت فى دهشة : همه جندوك فى الجيش امتى ؟

وجربت الأسطى « فلان » لكنه كان كثير الكلام إذ تبين انه على خلاف ايدولوجى مع جميع ساسة العالم وهو حريص على شرح هذا الخلاف . وقلت له فى النهاية اننى اعتدت ان افكر اثناء الحلاقة واكون شاكرا لو تركتنى لافكارى دون ان تقاطعنى . وقد بر الأسطى « فلان » بوعده فلم يقطع افكارى بل قطع ذقنى وجرح رقبتى وطلبت منه كوب ماء حتى اتبين موضع الثقوب التى سوف يخر منها الماء اثناء الشرب .

ولا تزال زوجتى تطاردنى بالعبارة التى اعتدت سماعها على مر السنين مش ح تروح تحلق ؟

اخيرا اشتريت المشط الموسى وساحاول ان احلق به لنفسى . وفى كل مرة يبدو شعرى غير مهذب الأطراف وكاننى احلق بالتسعيرة فى صالون وزارة التموين .

● ● ●

قــراءة جــديــدة .. فى أمثــال قديمــة

ظل السجع موضة الكتابة عصورا طويلة :

حتى عنوان الكتاب كان لابد ان يكون مسجوعا مثل « دليل الحيران فى ركوب مترو حلوان » و « العقد النفيس فى انفجار ماسورة رمسيس » و « المعذبون والحيارى بالتليفون والحرارة » . ولم يكن السجع فى تلك العصور وقفا على الكتابة الادبية . بل امتد ايضا إلى لافتات المحال : « راجى عفو الخلاق الأسطى بهلول الحلاق » و « كل كشرى بالهنا والشفا واقر الفاتحة لسيدى ابوالوفا » . كذلك حملت اقوال المنجمين والمشعوذين الطابع السجعى : حدرجة بدرجة من كل عين زرجة . ورقيتك واسترقيتك ومن عين الحسود خبيتك . كما سيطر السجع على الفزورة والحزورة : اد الكف ويقتل ميه والف . واد الفيل ويتصر فى منديل ..

وإذا كانت موضة السجع قد انقرضت ولم يعد باقيا منها إلا تلك الاقوال المأثورة المنقوشة على التاكسيات « يا ناس يا شر بطلوا ار » . إلا ان النزعة السجعية لا تزال تعيش بداخلنا وتستميلنا إلى قول العبارة المسجوعة . فالعبارة المسجوعة تؤثرها الذاكرة فى الحفظ على غيرها . وهى ايضا الأكثر سهولة فى الترديد خاصة فى المهرجانات الموسمية حيث تتردد : يا زمالك يا مدرسة . وبيب بيب اهلى . والله زخى الثانى جى .

لكن هذا السجع جنى ـ للأسف ـ الجناية الكبرى على أمثالنا العامية التى نشات فى العصر السجعى فان جانبا كبيرا من هذه الأمثال لا تستهدف اية غاية من قولها إلا وجه السجع نفسه ..

مثلا .. خذ هذا المثل العامى الذى يقول

« كل حمارة سايبة ودوها بيت أبو ثابت »

اشمعنى بيت ابو ثابت ؟

ان ابو ثابت هذا شخصية وهمية طبعا . فلا هو كان تاجر حمير مسروقة يتجهون اليه بكل حمارة سايبة . ولا هو اشتهر بعطفه على الحمير الضالة وتقديم البرسيم اليها مجانا . ولا كان ابو ثابت صاحب ملجا خيرى للحمير ..

ثم لماذا « الحمارة » فقط دون الحمار هي التي يذهبون بها إلى بيت ابو نابت ؟
هل كان ابو نابت يتمتع بجاذبية خاصة لاناث الحمير ؟ هل كانت كل حمارة تهرب من اصحابها تسعى مشتاقة إلى رؤية ابو نابت وعلى بيت ابو نابت ودينى زاد وجدي والبعد كاوينى ؟ المسالة كلها انها يجب ان تكون حمارة حتى يمكن ان يقال الحمارة سابت ليستقيم التسجيع مع ابو نابت . كما ان السر في اختيار اسم ابو نابت هو ان الحمارة سابت فاذا ما تركنا ابو نابت وملجاه الخيرى للحمير ، وجدنا هذا المثل العامي الشائع :

« فرح عديلة .. هد .. هد بلا نيلة » ..

من تكون عديلة هذه ؟

ولماذا يحرض هذا المثل العدواني بقوة والحاح على هد الفرح فوق دماغها ليلة زفافها ؟ ان ورود اسم عديلة هكذا مجردا من اى لقب ، يشعرنا للوهلة الأولى ان عديلة هذه شخصية من شهيرات التاريخ ، تماما كما يقال اسم كليوباترا مجردا ولا يقال كليوباترا بنت بطليموس الزمار لكن صفحات التاريخ ليست فيها اية ملكة اسمها عديلة الأولى أو عديلة الرابعة ، ولم يذكر التاريخ مثلا ان هولاكو التتارى دخل مملكة عديلة غازيا ليلة زفافها وقال

فرح عديلة هد .. هد بلا نيلة ..

فمن تكون الآنسة عديلة إذن ؟ ولماذا اختصها المثل بالتحريض على هد فرحها وتكسير الكلوبات على دماغها دون أن يسوق المبررات لهذا العدوان عليها في احلى ليلة في عمرها ؟ الحكاية ـ ببساطة ـ ان سوء حظ هذه البنت جعلها تحمل اسم عديلة الذي هو على وزن نيلة وتاتي بعد الآنسة عديلة : الآنسة « طيطة » غير ان طيطة اسعد حظا بلا شك من عديلة ، إذ يقول المثل الشائع عن طيطة :

« نومه وتمطيطة احسن من فرح طيطة » ..

فالمثل هذا يكتفي بالدعوة إلى مقاطعة فرح طيطة مفضلا عليه النومة والتمطيطة ..

مسكينة طيطة !

فالأرجح ـ كما يدل المثل ـ ان طيطة بنت رجل حط به الحال بعد العز والثروة ، فالأصدقاء الانذال الذين عرفوا انه فقد ثروته اعتبروا النومة والتمطيطة أحسن من فرح بنته طيطة ، اما الأصدقاء الذين حضروا فرح البنت ، فهم لا زالوا اوفياء لأنهم ـ أكيد ـ لم يعرفوا بعد انه فقد ثروته !

.. وهذا فرح ثالث العريس فيه اسمه « يحيى » وأنت تستطيع ان تستنتج الحالة المالية لوالد العريس من المثل الشائع :

« نموت ونحى في فرح يحيى » ..

الكل هنا مشغول بفرح يحيى ، الكل يروح ويجيء ويصحو وينام ويموت

استعدادا لفرح يحيى ، ان هناك احتمالا قويا بأن الذين ابتدعوا هذا المثل وذاعوه ونشروه هم بنو همبكة ، وفي هذه الحالة لابد ان يكون والد عريسنا يحيى وزيرا او نائب وزير او رئيس هيئة او وكيل وزارة او مدير عام ، هنا تتحول الادارة كلها إلى خلية نحل من اجل يحيى وفرح يحيى ، وهنا تزخر اعمدة الاجتماعيات في الصحف بالتهاني الحارة قبل واثناء وبعد فرح يحيى ، وهنا نقرا مثل هذه السطور التى تتفجر اخلاصا وولاء في مناسبة فرح يحيى

عبدالله الابنظى وكيل إدارة التنقيب عن البترول بالهيئة العامة لحفر شوارع القاهرة الكبرى يضرع إلى الله ان يسرع بشفائه ويخرج من غرفة الانعاش حتى يتمكن من التشرف بحضور حفل زفاف فخر الشباب الأستاذ يحيى نجل السيد يحيى يحيى ..

وفي فرح يحيى ، وفي كل فرح فخيم مثل فرح يحيى ، لا تهمل امثالنا العامية ما يتردد في هذه الأفراح من اراء وملاحظات يرددها المدعوون ، وهي اراء وملاحظات نافعة حقا كان يمكن ان يفيد منها والدة ووالد العريس لولا انهماكهما في الفرح ، الأمر الذى لا يتيح لهما سماع هذه الآراء التى منها مثلا هذا الراى :

« الفرح والمعمعة والعروسة ضفدعة » ..

وهذا راى اخر :

« جوزوا مشكاح لريمة ما على الاتنين قيمة » ..

وهذا راى ثالث فيما قالته أم العروسة عن جمال بنتها وحلاوتها وهى جالسة في الكوشة :

« خنفسة شافت بنتها ع الحيط قالت دى لولية في خيط » ..

وهذا راى رابع في بياض بشرة العروس :

« الفلفل بالوقية والجير بالقنطار » ..

وهذا راى علمى في العروس يهم المشتغلين بنظرية داروين

« يا واخد القرد على ماله ، يروح المال ويفضل القرد على حاله » ..

وهذا راى لاحدى المدعوات ، إذ تخاطب العروس التى لا تسمعها لبعد المسافة بينهما :

« بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا سمرة » ..

وهذا راى مدعوة تعلق على الراى السابق :

« ايش تعمل الماشطة في الوش العكر » ..

ولعل من اغرب امثالنا التى يتحكم فيها السجع وحده هذا المثل الذى يقول :

« نينى نينى لما ييجى الأهبل يشتريني » ..

وهو مثل يضرب في السلعة الكاسدة الفاسدة التى لا تجد من يشتريها إلا الاهبل ، ولا تحاول ان تجهد تفكيرك في معرفة معنى « نينى نينى » فالأرجح

انها اللغة التى تتكلم بها السلع الكاسدة فى المخازن والمحلات ومن سوء حظ الانسان الأهبل - أو غيرالأهبل - انه جاهل باللغة السلعية ، وإلا كان يسهل عليه وهو يدخل محلا ان يسمع السلعة الكاسدة تقول لباقى السلع فى ابتهاج نينى نينى .. الأهبل جاى يشترينى ..

خذ مثلا ذلك الموظف التموينى الفخيم الذى سافر مرة على رأس وفد إلى كاشكاوانيا لعقد صفقة لحوم معلبة لزوم المجمعات الاستهلاكية . لقد دخل سيادته إلى مخازن المورد الأجنبى فى كاشكاوانيا لاختيار الصنف ، ولو كان سيادته ملما باللغة السلعية لسمع المعلبات التى وقع عليها اختياره تقول كلها فى نفس واحد .. نينى نينى .. الأهبل جه يشترينى ..

فقد كانت المعلبات التى اختارها نصفها لحوم فاسدة والنصف الآخر معلبات خاصة بأكل القطط والكلاب ، ولقد وزعت هذه المعلبات على المجمعات الاستهلاكية فعلا ثم تم سحبها . وادركت تلك المعلبات فيما بعد ان الموظف الفخيم الذى تعاقد عليها لا هو اهبل ولا بريالة ، وانها كان يجب ان تقول وسيادته يدخل المخزن ويختارها : نينى نينى .. ابو عمولة جه يشترينى !

فإذا تأملنا هذا المثل الآخر الذى يقول

« تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى » ..

لاحظنا على الفور أن المثل يحمل نفس اللغة التى تتخاطب بها السلع ، ذلك ان تيتى تيتى قريبة جدا من نينى نينى فى المثل السابق ، والمثلان - فيما يبدو مرتبطان ببعضهما البعض ، إذ ما ان تزول عن الأهبل اعراض الهبل ويتكشف له مدى الظلم الذى سوف يلحق به من ضالة العمولة حتى يعدل عن عقد الصفقة ، فتعود السلعة الفاسدة إلى مخزنها لتقابلها باقى السلع قائلة : تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى ..

فإذا ما مضينا مع الأمثال المسجوعة صادفنا هذا المثل

« نهق الحمار طلع النهار » ..

هنا يحار الانسان حقا فى العلاقة بين نهيق الحمار وطلوع النهار ، ولعلها علاقة فلكية ، يعنى إذا طلع النهار فلابد ان حمارا ما قد نهق فى نصف الكرة الأرضية الذى اشرقت عليه الشمس ، أو يجوز ان الحمار لا ينهق إلا مع طلوع النهار لسبب تكنولوجى وهو انه يستمد قوته النهيقية من الطاقة الشمسية ، أو من المحتمل ان تكون رابطة الحمير على مستوى عال من السلوك الحضارى فحرمت على اعضائها النهيق فى الليل منعا لازعاج الناس الذين تكفيهم بلوى مكبرات الصوت البشرية ..

وقد يقصد المثل بطلوع النهار ظهور الحق ، فهم يشبهون احيانا ظهور الحق بانبلاج الفجر ، وقيل فى ذلك : الحق واضح ابلج ، فهل معنى المثل ان الحمار هو من يقول الحق ؟؟

على اية حال ، لنقرأ ماذا يقول هذا المثل النهارى الآخر :

« مكتوب على ورق الخيار من سهر الليل نام النهار » ..

هنا ندرك أن ساهر الليل لا ينام النهار لحاجته إلى النوم ، بل امتثالا لذلك الأمر المكتوب على ورق الخيار ، والظاهر ان الكتابة على ورق الخيار كان لها مفعول سحرى غامض فى توجيه مقدرات الانسان الوجهة التى يريدها الكاتب على ورق الخيار ، ولهذا كانت الكتابة على ورق الخيار سرها باتع فى شئون العشق والغرام ، تشهد بذلك الأغنية القديمة التى تقول : ح عملك حجاب .. على ورق الخيار .. اسهرك الليل .. واجننك بالنهار ..

وتكشف الأمثال التى ابتدعها اجدادنا انهم كانوا يميلون إلى الكتابة على انواع غير مألوفة من الورق ، إذ يقول مثل آخر :

« مكتوب على ورق الحلاوة ما محبة إلا بعد عداوة » ..

هذا يدل بلا شك انهم كانوا على درجة عالية من التقدم فى صناعة الورق ، فقد تفردوا - دون العالم كله - بالكتابة على ورق الخيار وورق الحلاوة ، ولعلهم ايضا كانوا يكتبون على ورق البامية وورق الكوسة ، ولم يقتصر هذا التقدم على التكنولوجيا الورقية ، فقد انتشروا فى الأرض وهاجروا وتاجروا واغتربوا ، ورأوا بلادا - كما تدل آثارهم الامثالية - لم يرها ابن بطوطة فى رحلاته ، فهذا مثل يقول :

« ما نبنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا » .

هكذا ارتحلوا إلى بلاد كل من ذهب اليها عاد منها عوجة ، ضبته بالذات ، فما يكاد صديق يلتقى بصديق قديم له فى الشارع حتى يعانقه قائلا : اهلا يا فلان .. حمدا لله بالسلامة .. شايف ضبتك عوجة .. رجعت امتى ؟

وإذا كان من العسير علينا الآن معرفة اسم البلد الذى عوج ضبة كل مغترب فيها ، فان الأشد عسرا هو الوقوف على سر العلاقة بين خراب بيت الحلاق وبين اكله للملوخية بالعيش الطرى ، إذ يقول المثل

« ملوخية وعيش لين يا خرابك يا مزين » .

هنا يراودك شعور بالأسف على رعونة هذا الأسطى الذى تهور واكل الملوخية بعيش طرى رغم علمه بالعواقب الوخيمة لتناول هذه الوجبة للاسطوات الحلاقين ، فما كان اغناه عن خراب بيته لو انه تعقل واكل الملوخية بعيش ناشف ، ولكن النفس دائما امارة بالسوء .

ولسوف تأتى اجيال وتذهب اجيال إلى يوم الدين دون أن تكتشف البشرية السر فى تحريم اكل الملوخية بالعيش اللين على كل مزين !

بل ان جانبا كبيرا من الأمثال المسجوعة سوف يظل مستعصيا على الفهم والتفسير ، اليك مثلا .. هذا المثل الشائع الذى يقول :

« يا قلبى يا كتاكت ياما انت مليان وساكت » ..

هنا يقف الذهن البشرى حائرا أمام هذا القلب الكتاكت . ترى ماهو القلب الكتاكت ؟ لابد ان كتاكت هذه لها علاقة بالامتلاء . امتلاء القلب بالهموم . فهل كتاكت هذه وحدة مكاييل للسوائل كاللتر والجالون ؟ هل يقال مثلا هذه امراة قلبها كتاكت اى قلبها سعة خمسين لتر هموم ؟ وإذا كانت كتاكت وحدة مكاييل . فلماذا لم نسمع ان رجلا دخل محطة بنزين بسيارته وقال للعامل : كتاكت سوبر من فضلك ؟

ان المسالة تزداد تعقيدا عندما نجد امامنا في الأمثال طرازا آخر من القلوب :

« يا قلبى يا كتكت اسمع الكلام واسكت » ..

هذه حيرة جديدة امام ذلك القلب الكتكت . ولا حدود لحيرتنا عموما امام امثالنا المسجوعة . فهي في حاجة إلى مذكرات تفسيرية لنا تكشف غوامضها . فانت إذا سمعت المثل الشائع الذى يقول :

« بين حانا ومانا ضاعت لحانا » !

استعصى عليك الالمام بالظروف الغامضة التى ضاعت فيها لحية ذلك الرجل بين حانا ومانا . وهل حاناومانا رجلان ام امراتان ؟ وإذا كانا رجلين فهل هما مدرسان خصوصيان ؟ وإذا كانتا امراتين فما الذى اوقع هذا الرجل بين ايدى حانا ومانا وماهى البواعث التى دفعت بهما إلى نزع شعر لحيته ؟ هل هما ضرتان اتفقتا عليه ؟ وهل وجدت كل من حانا ومانا في « تقليع » شعر لحيته تسلية تعوضها عن سخف برامج التليفزيون ؟

ثم هذا المثل :

« كنت مرتاحة جت لى حاجة » ..

نحن هنا امام اسم غريب وغير مالوف لسيدة تخصصت في قلة الراحة . ولا احد يعرف الأسباب والملابسات التى دفعت بوالدها إلى ان يقيدها في سجل المواليد باسم حاجة . غير اننا يجب ان نطرح كل هذه التساؤلات جانبا لانها لن تؤدى بنا إلى نتيجة . فان عالم الأمثال يحفل باسماء غريبة جدا لا وجود لها في عالم الواقع . كاسماء هذا الثلاثى المرح في المثل القائل :

« جايب لى زعيط ومعيط ونطاط الحيط » ..

وهذا ثلاثى آخر :

« شنح وجنح وحبل غسيل . ثلاثة مالهمش مثيل » ..

هذا الأخ « زقزوق » الذى زوجوه من ظريفة . كذلك من اشهر اخبار الزيجات التى تتردد على السنة الناس جيلا بعد جيل هو خبر زواج « مشكاح » و « ريمة » . ولقد ظلت « ريمة » موضع اهتمام خاص من النساء . فكن يتعقبن اخبارها ويتلصصن على اسرارها . حتى صحت الدنيا ذات صباح وكل امراة تهمس في اذن الأخرى :

« رجعت ريمة لعادتها القديمة » ..

وما ان تهمس المراة هذا السر الخطير حتى تدق الأخرى صدرها بيدها وهي تشهق . ومن هذه الشهقة الممتزجة بالدهشة البالغة نستطيع ان ندرك . اهمية ذلك الخبر الخطير الذى لا يزال الناس يتناقلونه عن رجوع ريمة لعادتها القديمة كذلك من الشخصيات الشهيرة في دنيا الأمثال - ولا مثيل لاسمها في دنيا الواقع - السيدة « ردا » التى أخذوا عليها - بعكس ريمة - انها لم تغير ابدا عادة من عاداتها لا القديمة ولا الجديدة . فكانت تتلقى مكالمات تليفونية من أصوات مجهولة تعيرها قائلة

« طول عمرك يا ردا وانتى كده » ..

ومن الأسماء التى نلتقى بها في الأمثال : مرجانة ..

يبدو انه اسم فني . اسم شهرة : فاتنة الرقص الشرقى مرجانة . يبدو انها ايضا راقصة هرمية الجنسية من شارع الهرم . موهوبة في اجتذاب الزبائن وجمع النقوط فوق صدرها المرمر . إذ يقول عنها المثل :

« كل من جانا يحب مرجانة » ..

.. وهذا « عبدالله » .. رجل ثقة شديدة والظاهر انه « بياع مزاج » :

« خد من عبدالله واتكل على الله » ..

وهذا اسم لرجل ليس محل ثقة : بندق السيد الوزير بندق . واضح من المثل انه وزير وانه كثير التصريحات :

« سيدى بندق ما اصدق » ..

.. وهذا « زعرب » .. ولا احد يعرف على وجه التحديد ماهى الخطيئة الكبرى التى ارتكبها هذا الزعرب حتى ذهب كفره مثلا :

« كفر زعرب » ..

وهذا « أبو راضى » .. عميد أسرة يؤمن بالحكمة المأثورة المنقوشة على التاكسيات : يا ناس يا شر بطلو أر . فالمثل الحسودى يقول عن أسرته :

« زى عيلة ابوراضى المشنة مليانه والسر هادى » ..

وهذه « زهرة » .. الظاهر انها من ممثلات الاغراء العاريات ويصعب عليك التعرف عليها إذا صادفتها في الطريق وهى ترتدى فستانا :

« من قلة عقلك يا زهرة خليتى لك في البلد شهرة » ..

.. وهذا بعجر :

« زى بعجر اغا ما فيهش إلا شنبات » ..

.. وهذه « ام عامر » التى قضت العمر وهى تمسك بين يديها بمنخل . ماذا كانت تنخل ؟ الله أعلم . المهم انها كانت تتلقى من الرائح والغادى هذه العبارة تشجيعا لها على مواصلة النخل ..

« انخلى يا ام عامر » ..

اما الأخ « عاشور » فمن الصعب الاحاطة بأسباب الألاطة الشديدة التى كان عليها حتى قال فيها المثل :

« طظ يا عاشور » ..

وهذا مرزوق .. والمثل الذى يحمل اسمه يكشف لنا عن طموح الرجل وعظيم صبره وقوة احتماله فى طلب المعالى . فيعلو فعلا فوق مقعد فريد فى نوعه :

« زى مرزوق يحب العلو ولو على خازوق » ..

.. وهذا اسم جديد جدا اسم « اوريجينال » يشخرم :

لماذا لا نعدله إلى : « بعد الجوع والقلة بقالك مرسيدس وفيلا » ..

كذلك المثل القائل : قيراط بخت ولا فدان شطارة » ..

إلا يصبح اكثر وقعا لو عدلناه إلى : « قيراط كوسة ولا فدان شطارة » ..

فإذا كان التعديل فى الامثال غير جائز لمقتضيات تراثية تتطلب الاحتفاظ بنصوصها التى قيلت بها ، فلماذا ـ وهذا هو السؤال الثانى ـ تقتصر امثالنا على ما قاله الأجداد ؟ اليس من حقنا ان نضيف اليها امثالا عصرية جديدة ؟

اعتقد ان هذا من حقنا .. فلماذا إذن لا نجتهد ونبتكر امثالا مودرن مثل :

— بعد العدس والفريك بقالها بوتيك ..

— مالك مهموم دى الهمة . قال ابنى فى الثانوية العامة ..

— الكل خدام مطرح ما اروح مادام باشاور بالللحلوح ..

— ايه عملك حصان اصيل يا جحشى قال مشيت فى سكة القرع والمحشى

— غبت فين سنة يابو النسر قال الورق كان ناقصه ختم النسر ..

— يابو السر هادى والبال راضى وممنون . قال عقبالكم لما تبيعوا التليفزيون ..

— اربع ولاد وعشرين درس خصوصى يا خراب بيتك يا خلوصى .

— بعد اكل المدمس ولبس الهلهولة بقالك عمارات وسراية مهولة عقبالنا ياعم يا بتاع العمولة ..



الكلاميـــون

الوعود المعسولة او التصريحات موجودة فى كل بلاد الدنيا للمزايدات الحزبية غالبا . ولكنها ليست على الصورة الحادة التى ننفرد بها . ولعل ما يشجع على كثرة الادلاء بالتصريحات هو طاقة استيعاب الذاكرة عندنا . فلا يمكن لذاكرتنا ان تستوعب تصريحات قيلت على امتداد القرون والسنين . ولو جئنا باعظم كمبيوتر فى العالم لنخزن فى ذاكرته كل تلك التصريحات لانهارت ذاكرة الكمبيوتر : تصريح للوزير حار ـ حوتب عن وضع خطة عاجلة لحل مشكلة النظافة فى مدينة منف ـ تصريح الوزير ابوهلال الفاطمى عن الثورة الادارية وتيسير الاجراءات على المواطنين . تصريح الوزير القاسم بن طولون عن الاجراءات التى ينوى اتخاذها لتحسين رغيف العيش ـ تصريح الوزير كتخده بك عن ترشيد الانفاق الحكومى . وهو التصريح الذى ادلى به وهو يركب بغلة آخر طراز مستوردة من استراليا ..

وإذا كان الكمبيوتر يعجز عن استيعاب هذا كله فكيف يتسنى لمخ بشرى ان يلاحق ويتذكر ما يقال له ليل نهار منذ سنين طويلة ؟ .. اليس صحيحا إذن ما يقال اننا بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين الصحيح ان كمية التصريحات والنوايا الطيبة والوعود التى قيلت على مر السنين يستحيل أن تستوعبها مراكز ذاكرتنا فى الرؤوس !

ورغم الحضارة القديمة إلا اننا لم نسمع ـ كما يحدث فى الدول المتحضرة ان « حور ـ حوتب » قد اقيل من منصبه مثلا لانه كذب على الشعب فكل ما نعاقب به اى مسئول كذاب هو أن نتعجب لكذبه كما يشرح ذلك المثل القائل : اسمع كلامك اصدقك اشوف امورك اتعجب !

وما من شك ان امثالنا الشعبية تزخر بمواقفنا وارائنا تجاه الكلاميين من المسئولين . والأرجح أن هذا المثل الشعبى الآتى عن التصريحات قيل ايام الحاكم بأمر الله عندما كانت دواوين الحكومة تعمل ليلا والتصريحات تقال ليلا ، إذ يقول المثل : كلام الليل مدهون بزبدة يطلع عليه النهار يسيح ..

ولاينبغى ان نعفى انفسنا من المسئولية إذ اننا نشجع المسئولين من الكلاميين على قول التصريحات إذ اننا متسامحون ترضينا الكلمة الطيبة مهما كان الكذب فيها واضحا . فيقول المثل الشعبى : « الكلام الطيب ينخى » . اى يحمل الانسان على القبول والسكوت والرضا ـ والمثل الآخر يقول : « كلمة حاضر تريح التعبان » ..

غير ان هناك عشرات الأمثلة التى تدين قول التصريح مثل : « كتر الكلام

خيبة » ـ كثر القول قلة عقل » . ويقول الشاعر القديم : زيادة القول تحكى النقص في العمل ..

وواضح جدا من الأمثلة الشعبية أن حق الكلام طوال عصور القهر كان وقفا على الحكام . إذ تلوح في امثالنا عاقبة الكلام او مناقشة الحكام مثل : « اللسان عدو القفا » و « لولاك يا لساني ما انسكيت ياقفايا » !

● ● ●

في عيد الحب !

في عيد الحب سالتني صحفية شابة : كيف تفسر هذا التناقض انتم اباؤنا الذين تقيمون عيدا للحب .. وانتم اباؤنا الذين تحاربونا إذا احببنا !

قلت لها : نحن لا نحارب الحب بدليل احتفال الآباء بعيده . لكن بعض الآباء علمتهم التجارب الخوف على القلوب الشابة من الاندفاعات العاطفية او لعلهم ـ بناء على تجربة شخصية مرة ـ يعرفون ان الحب قد تكون له غالبا خاتمة مروعة هي الزواج !

لقد قطع الحب شوطا طويلا للاعتراف به على مستوى الأسرة . وبعيدا عن اتهام الآباء بضرب الحب اقول لك انه كنت هناك خصومة مستمرة بين الناس جميعا وبين الانسان العاشق . فحتى الذين مارسوا الحب عفيفا طاهرا لم يسلموا من السنة الناس إلى يومنا هذا : فقيس بن الملوح مجنون رسمي ، وقيس لبنى مضطرب العقل . وكثير عزة ملتاث . وجميل بثينة مختل . وفي العصر الحديث وقف الناس والدولة ضد حب الملك ادوار ومسز سمبسون . وفي العصر القديم وقفت روما بحد السيف ضد حب كليوباترا وانطونيو !

وفي المقابل ، وقف العشاق موقف النفور الشديد من الناس ، إذ ترى قصائد الشعراء واغاني العشاق تندد بالناس : اللائم منهم والعاذل والشامت . فيقول شوقي : يالائمي في هواه والهوى قدر ويقول ايضا : ما بال العاذل يفتح لي باب السلوان واوصده . وتعبر الاغاني عن دسائس الناس تجاه الحبيب والمحبوب فيقول عبدالوهاب : أحبه مهما اشوف منه ومهما الناس قالت عنه . ويقول عبدالحليم : قالولي الناس هواك حيرة . ويصرخ فيهم فريد الأطرش : يا عواذل فلفلوا . وتعبر أم كلثوم عن راى العشاق جميعا في ان البعد عن الناس غنيمة بعيد بعيد انا وانت .. بعيد بعيد وحدينا !

وجائز جدا ان تكون سر هذه الخصومة بين الناس والعاشق هو حسدهم

للمحبين إذ يقول عبدالوهاب حسدوني وباين في عنيهم . ويقول عبدالوهاب ايضا متقمصا شخصية قاسم السماوي : يصعب عليا اشوف غيرى عاش متهنى . وناقص يقول جتنا نيلة في حظنا الهباب !

والعاطفة التي كان ينبض بها قلب إنسان العصر الحجرى ما تزال هي العاطفة التي ينبض بها قلب إنسان عصر الليزر . فلا يتغير من الحب على الزمان غير اساليب التعبير ووسائل اتصال المحبين فلو وجد روميو التليفون لما استعمل السلم الحريرى . ولو كان في عصر الحرملك اختلاط لما ظهرت وظيفة المرسال الذى كانت تتحدث عنه الاغاني القديمة : وابعث لك مرسالى واقولك يا غزالى من فضلك تعالالى . وفي كل عصر يثبت الحب انه قوة داهمة تصنع المعجزات وتنتصر على العقبات وتكتسح امامها كل الاعتراضات . ولا ادل على قوة الحب من ان الرجل يقبل عليه رغم معرفته الاكيدة بان الحب وجبة شهية لذيذة يعقبها عسر هضم رهيب اسمه الزواج !

● ● ●

قراقوش !

في ذكرى العندليب الراحل عبدالحليم حافظ طالب البعض محافظة القاهرة باطلاق اسم عبدالحليم على الشارع الذى كان يقطن به في الزمالك ويحمل اسم : شارع بهاء الدين قراقوش .

وقراقوش حظى بشهرة خاصة بين المصريين على مر السنين . فقد قدم نجيب الريحاني مسرحية اسمها « حكم قراقوش » . وعندما تضيق زوجة بالاوامر الصارمة من زوجها فانها تستغيث قائلة : ولا حكم قراقوش وعندما يضيق مرؤوس من استبداد رئيسه يصيح فيه : انت قراقوش ! وهكذا اصبح قراقوش رمزا للحاكم المستبد الظالم .

مع ان قراقوش مظلوم . فهو ليس رمزا لجنون الحاكم . لكنه في واقع الأمر نصب تذكارى تاريخي للسخرية الشعبية المصرية عندما يشهرها المصريون سلاحا فتاكا في وجه حاكم لا يرضون عنه ..

قال المصريون عن تخلفه العقلى ان صقرا هرب من قراقوش فامر باغلاق باب زويلة حتى لا يجد الصقر منفذا للفرار من القاهرة . هل من المعقول ان يكون قراقوش بهذه العقلية الغبية وهو الذى كان موضع ثقة صلاح الدين ومن ابرز قواده . وإذا كانت لفظة قراقوش اصبحت تثير الضحك فان معناها بالتركية ليس كذلك . إذ ان « قرة قوش » تعنى « النسر الاسود » .

في عهد صلاح الدين اقترن تغيير مذهب الدولة باضطرابات داخلية إلى جوار

الخطر الخارجي وهو التصدى للصليبيين . فاذا اضفنا إلى هذا كله سوء الحالة المالية ومعاناة الشعب استطعنا أن نتخيل حجم سخط الناس . ولكن لأن صلاح الدين كان بطلا اسطوريا ، فقد ارتفع عن كل نقد فى عيون المصريين . واتخذوا من قراقوش هدفا لغضبهم إذ كان ينوب عن صلاح الدين فى حكم مصر وكان شديدا وحاسما وعادلا ورجل دولة يمسك بالزمام أمام الفتن الداخلية للفاطميين . وبقدر ما نزه المصريون صلاح الدين عن اى خطأ ، مرغوا قراقوش فى الوحل وصورته السخرية المصرية احمق يثير الضحك حتى غلب سيرة جحا واشتق الاتراك من اسمه اسم « القره جوز » او الاراجوز ..

وقد جاء فى كتاب ابن مماتى - الذى اضاف اليه المصريون الكثير جيلا بعد جيل - أن مدينا تقررت محاكمته لانه يسوف فى تسديد دينه فشكا المدين إلى قراقوش انه يريد تسديد دينه ولكنه لا يعثر على الدائن فامر قراقوش بحبس الدائن حتى يسهل على المدين معرفة مكانه .

هل من المعقول أن رجلا يثق فيه صلاح الدين كل هذه الثقة يفكر هذا التفكير الأحمق ؟

ثم تذهب خفة الدم المصرية فى السخرية إلى أقصى مداها فيقولون عن بهاء الدين قراقوش - الرجل المتزن العاقل - ان امرأة جاءت اليه تشكو جنديا من جنوده ضربها فاجهضها ، وهنا استشاط قراقوش غضبا وامر الجندى بأن يعيد المرأة إلى زوجها حاملا كما كانت !

• • •

أم شناجر

فى مجال العمل التقيت باشخاص لهم أسماء غريبة مثل : دعبوس . وفناشى . وليت . وهنطش . وشناجر . والفسل . ويزيد الامر غرابة انها الأسماء الاولى وليست اسم الأب أو الجد . كذلك صادفتنى اسماء نسائية تثير التساؤل مثل افتكرنى . وقلاقل . ويشوكها !

وقد نستنتج من اسم افتكرنى ان احد الوالدين كان يمر بحالة عاطفية دفعته إلى اطلاق هذا الاسم على المولودة وقد تعنى قلاقل ما معناه يا عواذل فلفوا . كما ان الذى سماها « بشوكها » قصد ان تكون البنت وردة جميلة لكنها شائكة الملمس لكل طامع . غير ان الذى يحيرنى كثيرا . كيف يذهب أب إلى سجل المواليد ويسمى ابنه هنطش او فناشى او شناجر ؟

ولقد اشتد فضولى ازاء هذه الأسماء . فاستفسرت من بعضهم عن أصلها . وتبين ان ليت اسموه فى سجل المواليد ليث - أى أسد - لكن الموظف وضع شرطة

على الحرف الأخير فانقلبت من ليث إلى ليت . وصممت المدرسة على التمسك بالاسم الرسمى فشاع وذاع اسم ليت . بمد الياء وليس بتسكينها . أما شناجر الذى لا يعرف لاسمه معنى فى أى قاموس فيحكى ان اباه كان قد انفصل عن والدته وتزوج من اخرى فصمم ان يسميه شناجر حتى يصبح اسمها أم شناجر .. فاهاها .. ويفطس الاب من الضحك لهذه النكتة التى كان يرويها فى كل مكان انتقاما من زوجته السابقة !

وكشف الفسل عن سر اسمه الغريب فقال انه جاء بعد خلف خمس بنات ، فاراد ابوه أن يقلل من شانه وقيمته خوفا من الحساد فاسماه الفسل . والفسل باللغة العربية الدارجة تقترب من معنى الصعلوك وفى اللغة الفصحى الفسل هو الرذل !

والحمد لله ان أبى لم يكن متأثرا بعادة قدماء المصريين الذين اخترعوا الأسماء القبيحة للذكور حتى يرفعوا عنهم شر الحسد ، وشكرا لله انه لم يسمنى السنكوح او صرصار الحيط ..

وكثير من الناس يطلقون أسماء على اولادهم وبناتهم دون أن يعرفوا معناها ، فلا احد يعرف معانى الأسماء التى انتشرت ايام ستى مثل بنباقادن وبنباكتر وناظلى شاه وجلفدان وماهيفيش وناظكتار وترنديل وشيفيكار ..

ولا يزال الناس يطلقون الأسماء العربية دون ان يعرفوا معناها ايضا . فقد قال لى صديق انه اطلق اسم عفراء على ابنته لأنه سمع أسمهان تقول فى مجنون ليلى عفراء تعالى نقضى حقا وجبا خذى وعاء واملئيه لابن عمى حطبا والواقع ان كل الأسماء العربية ذات معان جميلة . فعفراء مثلا معناها بيضاء واميمة تصغير أم ومياده ومايسة اى التى تمشى تتبختر . ومها هى البقرة الوحشية التى اشتهرت بسحر العيون وجمالها . وسهيلة من سهيل وهو النجم . والسهى اسم ابعد كوكب ورباب : سحاب وسحر هو وقت ما قبل الفجر ومنه السحور والمسحراتى . ونهلة من احلى الأسماء العربية . فهو مشتق من المنهل اى ينبوع الماء الصافى . ووائل اى من يلجا اليه الناس . وهيثم وهو فرخ النسر وزياد ووليد وطارق وياسر . كذلك انحسرت موجة الأسماء القبيحة التى كان يروج لها لاعبو الكرة وهم يتسمون بها مثل لوفة وخيشة واللالى والعجران والسكران . وكان الاطفال يتعلقون بهذه الأسماء البطولية فى عالم الكرة وتصبح امنية كل منهم ان يصبح اسمه الجردل أو الجربان ولم يعد باقيا من هذه الأسماء إلا اسم العضاض وهو اسم الشهرة الذى انتشر بين بعض مؤلفى المسلسلات ..

• • •

فوازير لغوية

زارني مستشرق أوروبي ذات يوم بصحبة الصديق الأديب جمال الغيطاني ، قال انه متخصص وباحث في اللغة العامية المصرية ولكنه لا يفهم لغة كمبورة في كاريكاتير مصطفى حسين بالأخبار ! وقلت للمستشرق ان كمبورة يمثل شخصية مرفوضة ويتحدث بلغة خاصة تنتمي إلى نوعيته ، وهي اللغة التي اطلقت على ورق البنكنوت الاستك والباكو والأرنب : أي مليون جنيه ..

وقلت ردا على سؤال له ان القارىء يسهل عليه معرفة معنى اللفظ لان اللغة العربية تتميز بانها تحفل بتخصيص الفاظ لمختلف الأصوات مثل ازيز وهدير وزئير وصليل ، فالحروف صوتيا ـ تعطي المعنى والمدلول ، وان هناك حروفا إذا اجتمعت مع بعضها اعطت معان متقاربة في مختلف الكلمات ، فإذا جمعت مثلا حرف « ش » و « خ » وجدت معنى التصدع والتشقق مثل شاخ وشرخ ، وشخرم وخشرم !

وإذا جمعت « ق » و « ط » اعطتك معنى واحدا مثل قطع وقطش وقطر وقطف !

وفي كتاب دلالة الألفاظ للعالم اللغوي د . ابراهيم انيس أورد المؤلف الفاظا عربية مهجورة هي اشبه بالفوازير ثم عرض هذه الالفاظ على مجموعة من طلبته بكلية دار العلوم وعددهم ٢٤ وسأل كل طالب ان يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة في ذهنه ..

وهذه الفوازير اللفظية او الالفاظ المهجورة هي بالترتيب : الهبلع ـ الجرفاس ـ الخيتعور ـ النعثل ـ القهبلس ـ القذعملة ـ الطربال ـ الشنعوف ـ العثلط ـ القفندر ..

جرب انت ايضا ـ مع الطلبة ـ معنى هبلع وخيتعور والقهبلس لقد جاءت التفسيرات كالتالي :

١ ـ الهبلع : فسرها تسعة من الطلبة على انها الابله العبيط ، وفسرها اربعة على انها الضخم المهول وفسرها ثلاثة على انها القصير ..

٢ ـ الجرفاس : أجاب ١٤ طالبا ان معناها القوي الضخم والشجاع الخشن ..

٣ ـ الخيتعور : اجاب ثمانية من الطلبة بانها : الذليل الضعيف الجبان الكسلان ..

٤ ـ النعثل : لم يجب على هذه الكلمة سوى ١٣ طالبا فسروها على انها الهادىء النائم الوديع ..

٥ ـ القهبلس : فسرها عشرة طلاب بانها المرأة الضخمة البدينة ..

٦ ـ القذعملة : فسرها ١٤ على انها القصيرة القميئة ..

٧ ـ الطربال : فسرها ١٧ طالبا على انها البناء الضخم العالي الشامخ ، ووصفها ٣ بانها المتهدم المنهار ..

٧ ـ الشنعوف : فسرها ١١ طالبا بانها قمة الجبل وقال ٣ أسفل الجبل ..

٩ ـ العثلط : اجاب ١٧ طالبا بانه اللبن المتجمد المتخمر ..

١٠ ـ القفندر : قال ١٢ طالبا انها صفة للجميل ، وقال ٨ من الطلبة انها صفة للقبيح ..

وهذه هي حلول هذه الفوازير اللغوية او معناها باللغة الفصحى ..

١ ـ الهبلع : معناها اللغوي الأكول النهم ..
٢ ـ الجرفاس : الضخم ..
٣ ـ الخيتعور : الخداع المخاتل ..
٤ ـ النعثل : الشيخ الأحمق ..
٥ ـ القهبلس : المرأة الضخمة ..
٦ ـ القذعملة : القصيرة القميئة ..
٧ ـ الطربال : البناء الضخم الشامخ ..
٨ ـ الشنعوف : القمة ..
٩ ـ العثلط : المتجمد المتخمر ..
١٠ ـ القفندر : القبيح المنظر ..

وكل فوازير لغوية وانت طيب ..

الكوسة !

سألتني صحفية شابة من أين جاءت كلمة كوسة ؟

وقلت لها نحن قوم كوسيون من قديم الزمان ، فالكوسة فيما مضى كانت شيمة طيبة فينا قبل ان تصبح آفة وقبل ان تغدو لفظة عصرية بغيضة ربما يتولاها المجمع اللغوي بسك المشتقات اللازمة منها مثل : كوس يكوس تكويسا ، ويقال هذا رجل كواس وهذا مكواس وهذا مكووس وهذا أمر تمكوس ـ بفتح الكاف ـ أي دخلت فيه الكوسة ..

ونحن قوم يحس افراده بالانتماء إلى بعضهم البعض ، فهناك مثلا منظر مألوف في الدرجة الثالثة بالقطار رجل يجمعون له ثمن التذكرة في منديل والركاب ـ على حاجتهم ـ يدفعون عن طيب خاطر دون أن يعرفوه ولكنه الانتماء وهذا شاب يعاكس فتاة في الطريق فننهره ونزجره لاننا نشعر ان هذه البنت ـ دون ان نعرفها

تنتمي الينا ، وهذه سيارة تتعطل فى الطريق فيسرع المارة بتقديم المساعدة ، والممثل او الممثلة او مذيعة التليفزيون لا تحقق نجاحها الجماهيرى إلا بقدر ما تشعر كل إنسان بانتمائها اليه : اخته ـ ابنته ـ ابنة اخته ـ واحدة من بيوتنا ..

وكوسة زمان هي وليدة الانتماء خاصة فى الريف ، فالكبير فى القرية ياخذ بيد الصغير ، وكل أسرة كبيرة فى القرية يشغل افرادها مناصب فى البندر او العاصمة مطالبة ـ بحكم تقاليد القرية ـ بتوظيف ابن أى فلاح فقير نال شهادة صغيرة أو كبيرة وإذا لم تفعل فهذه عيبة كبيرة فى حق الاسرة تدين اقطابها بالخسة والنذالة . فمن اخلاق القرية نبعت الامثال الشعبية التى تعبر عن الارتباط والتعاطف مثل « زيتنا فى دقيقنا » و « زى قواديس الساقية المليان يكب على الفاضى » . وتصبح الادانة اكبر إذا اهمل كبير فى القرية مطلبا لفلاح من قريته وحقق نفس المطلب لفلاح اخر من خارج القرية . من هنا جاءت كلمة كوسة . فالكوسة . نبات من الفصيلة القرعية . والقرع دائما يخرج عن خط زراعته ويمتد فارشا إلى خارجه . لذلك يقول المثل الشعبى : « زى القرع يمد لبره » . والمثل ـ كما هو واضح ـ يدين من يخدم الغريب قبل القريب ..

غير ان الكوسة الحميدة التى يفرضها الانتماء إلى الأهل والمكان تطورت مع الزمن إلى كوسة خبيثة . ليس مبعثها الانتماء لكن دافعها المصلحة الشخصية وعشق الفلوس وارضاء ذوى النفوذ . بل اننا حققنا انجازا تكنولوجيا مذهلا عندما فتحنا بطن الكمبيوتر سنة ٧٤ وزرعنا فيه الكوسة . فقام هذا الكمبيوتر بتوزيع شقق عمارات الأوقاف على الوزراء فقط . إذ برمجوا ذلك الكمبيوتر بحيث لا يعطى الشقة إلا لكل من يحمل صفة وزير . وقد دهش يومها المسئولون عن توزيع هذه الشقق عندما أعطى الكمبيوتر شقة لموظف فى الدرجة الخامسة بجمرك الاسكندرية ، ثم تبين ان الكمبيوتر كان فى منتهى النباهة ولم يخطىء فقد كان الاسم الثلاثى لهذا الموظف عبدالله حسن الوزير !

● ● ●

○○

تحيا الستات

حوصرت باكثر من ثلاثين سيدة تتطاير من اعينهن الشرر ظنا منهن اننى اعادى المراة . وذلك بعد ان استدرجنى بعضهم إلى ذلك الفخ على شاطىء البحر خلال اجازة قصيرة .

واكدت لهن اننى لم اكتب ابدا ان المراة لاتصلح رئيسة عمل . بالعكس . طول عمر الرجل تحت رئاستها وليدا رضيعا فى حجر الام . ثم طفلا فى حضن مشرفة الحضانة . ثم مراهقا تتلقفه بنت الجيران . ثم شابا يريد دخول الدنيا . ثم زوجا دخل الآخرة .

ولا عجب ان تحسن المراة ادارة عمل . فهى بحكم استعدادها كربة بيت تراها موهوبة بالفطرة فى فن الادارة . كما انها اكثر مقدرة من الرجل فى علاج المشاكل الاقتصادية . واذا قيل ان المراة مبذرة فهذا افتراء . إذ ثبت أن المراة تحرص كثيرا على المال الذى تكسبه من عملها ولاتبعثر إلا فلوس الزوج لا لمجرد الرغبة فى التبذير . ولكن لاعتبارات استراتيجية عليا متعلقة بامنها الشخصى وطبقا لقواعد الامن والسلامة الموروثة عن جدتها : قصقصى طيرك لايلوف بغيرك .

ثم ان المراة اقدر على التعامل مع الآخرين بالسياسة والحيلة والقدرة على المناورة والاقناع ولعلنا نذكر فى هذا المقام حادث التفاحة الشهيره .

والمراة بطبيعتها بشوشة الوجه . فهى ارئيسة فى العمل لن تطالع مرؤوسها بوجه متوتر اللهم إلا إذا كان هذا المرؤوس زوجها .

وهى ـ كرئيسة عمل ـ ليست اسيرة عواطفها كما يزعم البعض . ففيما عدا عاطفة الأمومة . فإن المراة تستطيع ان تتجرد بسهولة من كل عواطفها . وان تاتى اعمالا يعجز الرجل عن القيام بها كالسيدة تاتشر السيدتين ريا وسكينة .

وقد يتصور البعض ان السيدة تاتشر اختراع جديد من النساء . ابدا . فالتاريخ ملىء بالسيدات الحديديات . ذلك ان كل امراة تتوافر لها ظروف السلطة والقيادة تراها شجنح إلى ممارسة القوة واحيانا القمع . ويتجلى ذلك واضحا فى الزوجات .

وهى تلجا إلى ممارسة القمع والعنف لتغطية احساسها بالضعف من ناحية التركيب الجسمانى . ودفعا لاعتقاد الآخرين بانها مخلوقة هشة يسهل التغلب

عليها . وقد ثبت أن عقلية المرأة تتميز بعمق الادراك ، يساندها فى ذلك جهاز عصبي مدرع ، أقوى وأشد متانة من جهاز الرجل ، والطريقة التى تفكر بها سيدة مثل اجاثا كريستى فى كيفية ارتكاب الجريمة والقاء الغموض والظلال على الشخوص تكشف بوضوح عما تتمتع به عقلية المرأة من القدرة على التخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم فى الخلاص من جثة الزوج .

• • •

مساء الخير أيها الأزواج

قرأت احصائية عن متعاطى المخدرات كشفت عن أن الرجل المتزوج يمثل النسبة الكبرى فى قائمة المدمنين على الحشيش ، يليه الأعزب ، فالمطلق ، فالأرمل

ولاشك أن هذه الاحصائية قائمة على الدراسة الميدانية وليست على الفراسة كأيام زمان ، ففى الماضى كانوا يخلطون بين مظهر الزوج ومظهر المدمن لشدة التشابه بينهما فى تقوس العمود الفقرى وتهدل الكتفين وطأطأة الرأس والبصر الزائغ ، فكان رجال الشرطة إذا اشتبهوا فى شخص صحبوه للتحرى وفى قسم الشرطة يتضح أنه زوج مزمن لا مدمن .

ولعل سبب ارتفاع نسبة الادمان بين المتزوجين يكمن فى أن الزواج نظام قهرى كأى نظام سياسى ديكتاتورى فلا يختلف الزوج عن أى شخص تحت الحكم الشمولى ، فحرياته مصادرة ، وجيوبه مؤممة ، والمشاكل تحاصره ، والضغوط الاقتصادية تحيط به من كل جانب ، فتنشأ بينه وبين الواقع الخارجي خصومة حادة ، ولايبقى له مهرب ـ فى تقديره إلا الجوزة حيث يفتعل خلق حالة من البهجة الكاذبة والسلطنة !

والحشيش يخلق لمثل هذا الزوج المقهور احساسا متضخما بالعظمة والأهمية لا وجود لهما فى واقع الأمر داخل البيت ، كما يؤدى الحشيش الى انحسار الاحساس بالمسؤلية والخجل والتحفظ مما قد يتسبب فى استئساد الزوج وطول لسانه ، وبالتالى احتمال نقله إلى عنبر الكسور .

والمفروض أن يصبح الأعزب فى آخر قائمة المدمنين ، لكن ظروف العصر جعلته التالى فى الادمان بعد المتزوج ، فإن تفكير الأعزب فى الزواج أشبه بمحاولة عبور طريق مسدود ، والحشيش هنا يشيع احساسا مؤقتا بتهوين المشكلة وقبولها والتعايش معها والأمل فى حلها

ثم طبيعي جدا أن تنخفض نسبة التعاطى بين الرجال المطلقين ، فالمطلق كان يواجه مشكلة عسيرة وصلت عقدتها إلى الذروة حتى تولى حلها مولانا المأذون

وإذا كان الأرمل صاحب أقل نسبة فى التعاطى ، فلأن الأرمل لم يعد فى حاجة إلى مخدر ، إذ تم فض الاشتباك برحيل الزوجة ، ولم يعد يقلق ذلك الأرمل إلا اكتشاف جريمة القتل التى انتهت برحيل الزوجة !

• • •

بوليصة الحب !

إن كل حبيبين يجمعهما الرباط المقدس يساورهما فى شهر العسل قلق عظيم يكمن فى هذا السؤال : هل يستمر غرامهما ـ كما بدأ ـ قويا حارا مدى العمر ؟؟ السؤال قديم جدا وهو يجرنا غالى سؤال آخر : هل تقبل شركات التأمين أن تؤمن على مثل هذا الحب ولو لصالح الزوجة ؟

إن هذا سوف يسعد ألوف الزوجات بقبض بوليصة التأمين بعد غياب الحب ، لكن من المؤكد أن شركات التأمين لن تقبل هذه المغامرة إلا بعد اجراءات وشروط خاصة ، لعل أولها الكشف الطبى العقلى على الزوج ، فهذه الشركات تعرف بالطبع أن اقدام الرجل على الزواج لايحتاج الى أى عقل ، فاذا ثبت بعد الفحص الطبى أنه استرد قواه العقلية وبدأ يدرك الأمور على حقيقتها بندم اليم ، فلا بوليصة تأمين طبعا .

فاذا كان لايزال مختلا فتلك بشرة خير ، ذلك أن الحب الغرامى المتوهج هو ألطف وأجمل أنواع الخبل العقلى حتى ولو صاحبته ميول انتحارية تدفع الانسان إلى القاء نفسه فى بيت الزوجية . كذلك سوف يتعرض الزوجان ـ قبل التأمين ـ لجهاز المراقبة السرية من جانب الشركة للوقوف على ترمومتر الحب : هل يعاملها كما لو كان يلتقى بها لأول مرة ؟ هل هو ـ فى المطعم ـ يمسك بيدها ويهمس ، أم يجلس إلى المائدة مخروسا شأن كل الأزواج ؟ ففى أى مطعم تستطيع دائما أن تميز العشاق من المتزوجين .

ففى الحب تنشط مراكز الكلام فى مخ الرجل فلا يتوقف عن الحديث اليها ، كما أن تعبيره عن حبه يكون بالصوت والصورة ، إذ تظهر على ملامحه معالم الهيام كما تظهر أيضا فى حركات يديه التعبيرية

كذلك لن يخلو الأمر من امتحان عسير على جهاز كشف الكذب مع اسئلة من هذه العينة . إذا كسرت الزوجة شيئا ثمينا او خبطت السيارة الجديدة مثلا فهل تقول لها « فداكي ياحياتي ولا يهمك » أم تقول لها طول عمرك شعنونة ومجنونة ؟

كما ينشط قسم التحريات في شركة التامين حيث يعمل جواسيس الشركة خدما داخل بيت الزوجية لكتابة التقارير عن الحالة العاطفية داخل البيت .

ففي الحب مثلا تتعطل مراكز الادراك في المخ فلا يعرف كل من الجانبين السبب الذى يحب من اجله الآخر ، وفي اللاحب تعمل مراكز الادراك في المخ بكفاءة فتبدأ المشاكل عندما لايجد كل من الطرفين سببا وجيها لزواجه من الآخر .

وفي الحب تظهر على الرجل بوادر الكليتومانيا العاطفية فيسرق منها القبلات في البيت . وفي اللاحب يشتد داء جنون السرقة عند بعض الأزواج فيسرق القبلات من الشغالة .

• • •

كيميا .. !

افسد العلم خيال الشعراء والرومانسيين عندما صعد الانسان إلى القمر واكتشف ان وجهه المضيء من بعيد هو مجرد صخور وجبال واخاديد ، ومن فوق القمر رأى رواد الفضاء كوكب الأرض مضيئا وهو يواجه الشمس فبدا كالقمر . ولو كان في القمر سكان لقال الحبيب لحبيبته : شايفه الأرض بالليل .. وشك زى الأرض يا روحي !

حتى الحب حوله العلماء إلى كيمياء .

فلوعة الحب التى تحرق كيان العاشق اصبح تفسيرها العلمي : افرازات كيميائية ، فالمراكز العصبية العليا هي التى تتحكم في العواطف والأحاسيس وتؤثر على غدة الكظر فوق الكلى ، فتفرز الادرينالين ، وافرازات الادرينالين والكورتين عمليات كيميائية ترجمتها الانسانية أو السلوكية « مش قادر على بعدك ثانية ابدا يا حبيبي » .

وافرازات التستوستيرون وجزيئات محددة النسب من الكربون والايدروجين هي التى تحدث الجوى وعذاب الشوق والحنين ويا حياتي انا كلي حيرة ونار وغيره وشوق اليك !

والقبلة : افرازات كيميائية في الأعصاب تسبب السعادة والنشوة .

ولو ان عاشقا كتب رسالة غرامية يصف مشاعره باسلوب العلم لقال لها في الرسالة : « ياحبيبتي ان حبك يسلمني إلى جو يشقيني .. انني احس في هدوء الليل الآن بفيضان من التستوستيرون يملأ جسمي الضامر الذى أضناه الهوى ، بل اكاد ارى الادرينالين يندفع من غدة الكظر بداخلي لينفذ من جلدي ويكسو بشرتي كلها مع الكورتين ياحبيبتي » .

ومادام الحب كيمياء فإن اسخف ما سوف يفعله العلم في المستقبل هو انتهاء عصر متعة عذاب الحب والسهد والوجد ودموع الليل ، إذ ما أن يتعاطى العاشق حقنة خاصة حتى يلعن المحبوبة ويفطس من الضحك على هبله لأنه يحب هذه البنت الهايفة .

ويبذل العلماء الآن جهودا متواصلة للسيطرة على المخ الانساني كيميائيا ، ونجحت التجارب في كبح السلوك العدواني للمجرم ، وهذا يبشر باختراع تعامل كيميائي آخر مع مخ الانسان يمنعه من العدوان على الناس بتأليف المسلسلات .

بل ان التعامل الانساني الكيميائي مع المخ الانساني تجاوز مرحلة التجارب في نواح معينة إلى مرحلة طرح العقاقير تجاريا ، فامتلأت مخازن الأدوية في أمريكا بمركبات كيميائية متنوعة : فهذا عقار السعادة وهذا عقار يعين على تحمل الصدمات النفسية ، وهذا عقار يبث الشجاعة عند الرجل في مواجهة زوجته .

واصل هذه العقاقير كلها اكتشف مصادفة في الخمسينات ، ففي مستشفى لأمراض الصدر بامريكا ، لوحظ ان مرضى السل يتركون فراشهم ويرقصون في العنابر وهم يتصايحون في مرح شديد ، حتى اكتشف الأطباء ان هذه السعادة تنتابهن بعد جرعة دواء من ادوية السل اسمه « ايزونيازيد » وهذا الدواء هو الذى قاد العلماء إلى التوصل إلى مجموعات العقاقير المستعملة الآن ضد مرض الاكتئاب ، وهو مرض ينتشر في الغرب وانتقل إلى بلادنا بعد دخول التليفزيون .

• • •

الـوالـدان

سالونى هل كانت أمنا حواء شقراء أم سمراء ؟ وما شكلها العام . وكيف كان فى تصورك والدنا آدم ؟ ولا أظن ان أمنا حواء كانت شقراء ، فمن المؤكد ان حواء - بعد الخروج من الجنة - لم تستقر مع آدم فى استكهولم او كوبنهاجن ، بل استقرت فى ارض الشرق ، ومنذ فجر التاريخ وحفيدات حواء فى هذه المنطقة سمراوات بشعر اسود وعيون كحيلة . فلا تمكن ان تكون الجدة إذن شقراء ولايمكن ان تكون قد غيرت لون شعرها من الاسود إلى الاصفر لاستحالة الحصول على الصبغة التى تحول الشعر إلى ساندريه وارجنتيه . واعتقد ان حواء - فى الجنة - كانت فى منتهى الرشاقة . إذ كانت تعيش على ريجيم مدهش . فهى تفطر فواكه وتتغدى فواكه وتتعشى فواكه . ولاشك ان هذا الريجيم الطبيعى انعكس على مظهرها نضارة وسحرا وانوثة . لكننى اشك فى انها احتفظت بهذا القوام الجميل بعد الخروج من الجنة . إذ بدات تعرف البتلو والكندوز ولحمة الراس والفتة بالكوارع ففسد الريجيم بنهاية عصر الفواكه وبداية عصر المسبك والرمرمة

ولاشك ان حواء فقدت نضارتها ونعومتها بعد الاقامة فى الارض . إذ كانت مضطرة إلى مساعدة آدم فى العمل فامتلات يداها . بالكاللو . وقدماها بالشقوق وتجعد وجهها قبل الاوان من التعب والهم وخلف قابيل وهابيل والخناقات مع آدم .

اما عن والدنا آدم فاظن انه كان يكبر حواء فى السن . فلا يمكن ان تكون حواء قد خرجت من ضلعه وهو طفل أو هو صبى . إذ لابد انها خرجت وهو مكتمل البنيان . ففارق السن الكبير محتمل جداً ويؤيد ذلك الانقياد العاطفى الذى ابداه والدنا انتهى بكارثة التفاحة الشهيرة !

ولا أظن ان حواء قد اغرت والدنا بقطف التفاحة لتاكلها او تطبخها كومبوت او تعملها مربى . فالجنة كانت مليئة بالتفاح والتفاح امامها فى كل مكان . ولهذا أعتقد ان زن حواء على راس آدم لقطف التفاحة المحرمة لم يكن مبعثه الرغبة فى اكلها . بل لكى تمتحن حبه الشديد لها واعزازه البالغ لشخصها الغالى ذلك ان المراة لا تكتفى برصيد الحب فى قلب الرجل . فهى فى حاجة إلى كلمات تؤكد لها وجود هذا الرصيد فى حاجة إلى افعال يقوم بها الرجل لتتحقق من ضخامة الرصيد العاطفى فى قلبه . فالحب عند حواء وكل حواء

بعدها افعال لا اقوال وليس مهما ان ينزل آدم إلى الارض بل المهم ان يثبت ان ارصدة الغرام بخير فى قلبه وان حبه اقوى من كل شىء !

ومن حيث مادة الكلام فالذى لاشك فيه ان حواء فى الجنة كانت غيرها بعد الاستقرار فى الارض ففى الجنة لم يكن عندها اى اخبار تحكيها عن الجيران والاقارب والمعارف ولم تكن هناك سيرة تمسكها او اخبار جديدة تستقبل بها آدم من الباب ولكن من المرجح انها كنت تحكى له انهماكها فى توضيب المكان الذى يقيمان فيه ، ولابد انها كانت تتهمه انه فوضوى وغير منظم إذا داس فى حوض الزهور الذى تعبت فى تنسيقه او اقتحم ديكور اغصان اقامته وما إلى ذلك من الاخلال الرجالى بالنظام الذى تضعه ست البيت .

اما فى الارض فاعتقد ان مادة الحديث قد اتسع مجالها اكثر وانهما على الاقل كانا يرددان فى كل خناقة ديالوج لايتغير ولم يتغير ولن يتغير بين كل آدم وحواء ماشاء الله .. هى تقول : انت السبب وهو يقول انتى السبب !

• • •

فى الـسـيـنـمـاتـوغـراف

تقدمت السينما عندنا وتطورت . فاختفى مرض السل الذى كان يداهم البطلة وحل محله السرطان . وانحسر مرض فقدان الذاكرة الذى كان يصيب البطل اكتفاء بأن المتفرج مريض دائم بفقدان الذاكرة ولايعرف اسم الفيلم الاميركى الذى نقلوا عنه الفيلم العربى نقل مسطرة . كذلك اختفى المنتج تاجر الخردة وحل محله منتج اكثر رقيا وهو تاجر الخيش . وتقلصت سلطات الموزع واصبح لايتدخل إلا فى حدود ضيقة مثل تعديل القصة والسيناريو والنهاية واختيار البطل والبطلة والمتفرج ايضا . فهو يطلب ان يكون البطل سباكا ليكون المتفرج سباكا ايضا . يملك القدرة الشرائية امام شباك التذاكر .

وتطورت القصة او الحدوتة السينمائية . فبعد ان كان اشخاصها البطل والبطلة والشرير والراقصة . اصبح هؤلاء الاشخاص الراقصة والشرير والبطل والبطلة . او الشرير والبطلة والراقصة والبطل . اما الحدوتة نفسها فقد روعى فيها - منذ اختراع السينما - ان تكون معروفة مقدما حتى لايغضب احد خصوصا الرقيب . فالموضوع الجديد يعرض الرقيب للمسئولية والمنتج

للافلاس والموزع لخسارة الصفقة ، ورقصة فى كباريه مع غنوة مع خناقة كاراتيه ابرك واضمن من اى فكرة جديدة .

والحق ان السينمائيين حاولوا طرق باب الجديد والانفع والاجدى ولكن المحاولات تعثرت ، ففي مشروع فيلم عن الزعيمة النسائية هدى شعراوى اقترح الموزع ان يقام حفل كبير لهدى شعراوى بعد اشتراكها فى اول مؤتمر نسائى عالمى وان تحيى هذا الحفل الراقصة ، زوبة الكلوباتية ، وتظل ترقص بالكلوب على راسها إلى ان تقع على الارض مغمى عليها ، ويقرر الطبيب ان زوبة الكلوباتية حامل وان زوجها هرب مع واحدة اسمها زكية العمشة ، ومن هنا تبدا هدى شعراوى فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية طول الفيلم الذى يشرح اهدار حقوق المراة وعذاب زوبة الكلوباتية فى مواجهة افعال ضرتها زكية العمشة .

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم .

فى مشروع انتاج فيلم عن الزعيم احمد عرابى غير الموزع القصة بفكرة اجمل وهى ان يبدا الفيلم بان يتوجه البكباشى مراد ـ احد مساعدى عرابى إلى الكباريه اثر ازمة عاطفية فيظل يسكر ثم يسكر حتى تتلقفه الراقصة المالطية تينا وتغنى له بالعربى حبيتك يا بن الايه ، وتمضى قصة الحب بين تينا والبكباشى مراد طول الفيلم داخل الكبارية وتعرف ان السبب هزيمة عرابى هى تينا جاسوسة الإنجليز .

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم

وفى مشروع انتاج فيلم عن امير الشعراء احمد شوقى ، حفل السيناريو بمناظر باريسية واندلسية خلابة ، لكن خلافا تافها دب بين المخرج والموزع ، فالمخرج اسند دور احمد شوقى إلى احمد مظهر بينما صمم الموزع ان يقوم بالدور احمد عدوية .

● ● ●

انذارات غرامية

اطلعتنى شاعرة غنائية على اغنية لا اذكر نص مطلعها وانما هو قريب من هذا الكلام : فاكر نفسك مين تفوتنى فى عذاب وانين .. فكرك ح تروح منى فين دنا اضيعك فى غمضة عين .. وتمضى سطور الاغنية فى تهديدات غامضة ، وواضح من سياق الكلمات ان ليس من بين هذه التهديدات الهجر او الصد ، بل الضرب والاذى وربما القتل .

ولم ادهش لهذا الاتجاه ، فنحن فى عصر قتل الرجال ودفنهم فى الاكياس البلاستيك ، وقد بدات بوادر هذه الموجة بداية غير واضحة فى الستينات عندما قالت ام كلثوم : للصبر حدود ، إذ حملت كلماتها والحانها لهجة تهديد وان كان تهديدا بغير القتل ، ثم جاءت مطربات الثمانينات باغان تصادمية مع الرجل فهذه تغنى اغنية اسمها ، انذار ، واخرى تغنى مش حتنازل عنك ، والارجح ان المعنى الذى ترمى اليه : مش حتنازل عنك إلا جثة .

والذى لاشك فيه ان هذه الاغانى ترمز إلى العصر الجديد الذى يسود فيه العنف النسائى فالاغانى ـ على مدى الزمان ـ تعتبر مؤشرا لمركز المراة وموقعها من المجتمع وعلاقتها بالرجل قوة او ضعفا .

خذ مثلا اغانى موسيقار الاجيال عبد الوهاب ، ففى الزمن الذى كانت فيه المحبوبة اسيرة التقاليد خلف الاسوار كان عبد الوهاب يغنى لها من خارج الاسوار : مريت على بيت الحبايب وهو يصف اللحظة التى وقف خلالها يتطلع إلى البيت بانها ، لحظة هنية ، وذلك ان مجرد المرور بالبيت كان انجازا عاطفيا هاما ، وهو بلاشك انجاز محفوف بالمخاطر ، فلو اكتشف اهل الحى او ، اولاد الحتة ، ان عبد الوهاب جاء للبصبصة لبيت بنت الحتة ـ البيت وليست البنت نفسها ـ فسوف يوسعونه ضربا اليما ويشيعونه رجما بالحجارة ، إذ كان ذلك العصر هو العصر الحجرى للحب ، وهو بعد ذلك يتمنى ويحلم بان ياتى اليوم الذى تغادر فيه المحبوبة بيت الحبايب الذى يمر عليه ، وان يلتقى معها فى جلسة رومانسية فيقول عبد الوهاب : إمتى الزمان يسمح ياجميل واقعد معاك على شط النيل ، ثم يتحقق الحلم وتجلس معه المحبوبة على شط النيل ، فنراه يامل فى تنوع الجلسات الرومانسية على النيل وغير النيل فيهمس اليها : اسمح وقوللى يانور العين حشوفك إمتى واقابلك فين ، ولان العاشق طماع ولا يشبع من لقاء المحبوب ، فنرى الذى كان يكفيه ويرضيه مجرد المرور على بيت الحبايب فيقول لها : احب اشوفك كل يوم .

وزمان كان العاشق يبكي بحرقة إذا أحس أنه مهدد بفقدان الحبيبة . ففي عصر الحرملك والأسوار والمشربيات كانت المراة عملة صعبة ، وكان من العسير الحصول على محبوبة أخرى للسلوى والنسيان . غير أن تطور الزمن أعطى حرية الاختيار ، فنسمع عبد الوهاب يقول لا موش انا اللى ابكى لو جار عليا هواك ، والأغنية تدور حول هذا المعنى الدارج : مع ستين الف سلامة الباب يفوت جمل ، وهى لهجة جديدة لم يسبق لعاشق أن قالها من قبل . ولكن الأزواج يقولونها كثيرا طبعا .

وفى الحرملك ، لم تكن المحبوبة تعرف القراءة والكتابة ولذلك كانت وسيلة الاتصال هي « المرسال » اى شخص يقوم بمهمة توصيل الكلام بين الطرفين ، ثم لما تعلمت المراة أصبحت تمثل عبئا على رجال البريد ، واعترفت هي بذلك وقالت البوسطجية اشتكوا من كتر مراسيلى !

ومع الاختلاط فى الجامعة والعمل لم تصبح المراة هى العملة الصعبة النادرة ، فظهرت أغان تقول : ما تفكريش عشان بحبك مقدرش يوم استغنى عنك ، ثم مع العصر المادى ظهرت الأغانى التى تعبر عن حب المنفعة وزواج المصلحة فسمعنا أغنية تقول : بحبك لا .. محتاج لك اه ، وهي أغنية تسفر عن نفعية واضحة بلا خجل ، وانت تستنتج أن البنت التى يغنى لها الولد هذا الكلام عندها شقة تمليك أو أن اباها صاحب نفوذ : وزير ، أو أن أمها صاحبة فلوس : دلالة جمعية .

وهكذا يتغير منطق الأغانى وفقا لتطور العلاقة بين الرجل والمراة ، وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع قريبا مطربة تغنى : اتشاهد على روحك ياخسيس نويت أعبيك جوه الكيس .



المأذون .. وعقبات أخرى !

يطالب معظم الشباب باستبعاد المأذون الشرعى من عملية عقد الزواج لأنه أصبح يشكل عبئا ماليا بسبب المغالاة فى أتعابه التى لاتتناسب اطلاقا مع الجهد الذى يبذله ، خاصة أن بعضهم يعتبره جهدا مؤذيا .

والشكوى من المأذون تبدو أمرا عاديا ، فبين معظم الناس وبين المأذون حزازات وضغائن اثر واقعة حدثت ، وهي واقعة معروفة عند الفلكيين بدخول زحل فى برج الجدى ودخول الرجل بيت الزوجية .

وفى رايى أن الشكوى من المأذون تحسب له ولا تحسب عليه . فالرجل يبالغ فى الأتعاب ويفتعل التكاليف بهدف نبيل وهو أن يجعل طريق الانسان اليه صعبا ووعرا ، ورغم هذا كله فالانسان يسعى دائما إلى المأذون لأن النفس امارة بالزواج .

فما من انسان إلا ويعرف عاقبة المثول بين يدى المأذون ، تلك العاقبة التى تتمثل فى رحلة طويلة تبدأ بأن يبحث كل طرف عما يسعد الآخر ، وتنتهى أحيانا إلى أن يستقر الزوج فى كيس بلاستيك وبئس القرار .

بل أن المأذون وتكاليفه وأتعابه يعتبر أسهل العقبات فى طريق الزواج . فهناك المهر الذى هو رمز لاعزاز العروس ومكانتها فى القلب ، وهو ايضا امتحان فى القدرة على المسئولية والحماية والعطاء ومن نعم الله أن الذى يقبل على الزواج يكون عاشقا مخدرا بالهوى فلا يشعر بما يجرى له حتى يفيق بعد فوات زمان العسل .

فالرجل فى مسعاه إلى انثاه يكتب وثيقة رسمية بالتنازل مستقبلا عن كافة حرياته كحرية التعبير وحرية الراى وحرية التجول خارج منزل الزوجية بعد ساعات العمل ، ولايبقى له من الحريات إلا حرية الاشارة من خلف ظهرها كان يلوح بيده فى احتجاج الضعيف المقهور ، ولولا خدر الحب لما ارتضى العريس فى بعض قبائل الهند أن يرميه اهل العروس ـ حسب التقاليد ـ بالشتائم والاهانات ، وهو تقليد محمود بلا شك يهدف إلى تعليم العريس وتعويده على طبيعة الحياة الزوجية . وخدر الحب أيضا هو الذى يجعل العريس فى بعض قبائل الهند الحمر ملزما بتوريد الهدايا والعطايا إلى اسرة الزوجة حتى بعد سنوات طويلة من ليلة الزفاف ، وخدر الحب كذلك هو الذى يحتم على العريس فى بعض قبائل شرق افريقيا أن يخضع لطقوس الزواج ـ فيصارع نمرا أو فهدا

او أسدا حسب طلب اهل العروس ، وعادة يعود العريس محمولا على الأعناق إلى مدافن القبيلة .

وما من مجتمع ـ قديم او حديث ـ إلا ويطلب من العريس ان يقيم الدليل على التكفل بعروسه بالنجاح في سباق الحواجز والمصاعب ، لكن هناك دائما الشاب الذى يتطلع إلى زواج خنفشارى الطابع ـ نسبة إلى بلاد خنفشاريا ـ إذ يحكى أن رجلا قال لصديقه تصور انك في خنفشاريا تستطيع بثلاثة دنانير ان تتزوج وتشترى كليو كباب وزجاجة شمبانيا ، ففكر صديقه لبرهة ثم قال : على كده تبقى الشمبانية مغشوشة .

• • •

ربنا يشفى

الاضطراب العقلى يجتاح العالم ، والمجانين انتشروا في كل مكان ، ومعدل مرضى العقل وصل إلى واحد من كل اربعة أشخاص في دول الغرب ، وفي الغرب والشرق هناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب الفشل في الحب ، وهناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب النجاح في الحب الذى ينتهى بالزواج ، فنتيجة الحب في الحالتين سبب قوى للاكتئاب !

ولأن الانسان السوى أصبح في ندرة الماس ، فقد نادوا في بعض الدول بأن يكون من شروط ممارسة العمل العام او دخول المجالس النيابية اجراء اختبارات نفسية وعقلية لابد ان ينجح فيها المرشح للوظيفة او المجلس والاقتراح نافع ومفيد ، غير ان هذه الاختبارات ـ في رأيى ـ لو تم اجراؤها فقد يتعذر في بعض البلاد ايجاد العدد المطلوب لتسيير الدولة .

ثم ان تطبيق هذا الاقتراح سوف يجعل المرشح الذى سبق له دخول مستشفى الأمراض العقلية في وضع افضل ، إذ سيكون معه شهادة رسمية بأنه عولج واصبح عاقلا ، وبذلك تكون فرصة خريج مستشفى الأمراض العقلية افضل من فرصة من لم يتم فحصه .

وإذا اتيح لك ان تقلب في برقيات وكالات الانباء فسوف تكتشف ان الجنون أصبح سمة العصر !

ففي أمريكا ـ مثلا ـ اختار عريس أن تكون منصة زفافه على سقالة متحركة خارج نوافذ ناطحة سحاب ضخمة ، إذ جلس إلى جوار عروسه وهما مربوطان

بالاحزمة بينما وقف المدعوون بباقات الزهور في الشارع يتطلعون إلى العروسين المعلقين في الدور الثلاثين ، ومن المؤكد ان هذا العريس يثبت ـ بما لايقبل الشك ـ ان الاقدام على الزواج لايحتاج الى اى عقل .

وفي امريكا ايضا اقيمت مسابقة لمن يضرب رقما قياسيا في السعال ، وفاز فيها شاب ظل يكح لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة !

والذى يقرا صفحات الاعلانات الصغيرة في الصحف الاميركية او الانجليزية يستطيع ان يشعر بمدى ما وصل اليه العالم المعاصر من بدنجان .

هذا مثلا إعلان نشر في صحيفة اقليمية بتكساس : نحن ندعوك إلى زيارتنا لترى بنفسك كم هو مريح التابوت الذى ستنام فيه النومة الأبدية شعارنا : الابتسامة

وفي صحيفة بولاية اوريجون نشر هذا الاعلان الذى يستهين بذكاء الزبون ويعتبره غبيا :

لماذا تذهب إلى مطعم آخر ليغشوك مادمت تستطيع أن تاتى إلى مطعمنا ؟

واذا كان علاج المجانين عند الأطباء العقليين والنفسيين ، فلنحاول ان نستشف من الاعلان التالى مدى السلامة العقلية عند أطباء العقل والنفس : يعقد نادى الاطباء النفسيين اجتماعه الاسبوعى يوم الاربعاء الساعة الثالثة للتدريب على المواجهة بالمسدسات عند اللزوم .

وهذا الاعلان يرفض فيه المعلن الكشف عن اسمه :

انا مستر × عميل في صالون حلاقة جونزسيونز ، ارجو منه الا ياكل الثوم قبل ان يحلق لى شعرى وان يكف عن احاديثه المملة اثناء الحلاقة .

وهناك اعلانات صغيرة كثيرة تتنوع فيها درجة الخلل العقلى :

سيدة في السادسة والثمانين تطلب عملا لمحدثة لبقة .

انا س . ب ف اعلن اننى تركت بيت الزوجية وسددت جميع الفواتير المطلوبة منى حتى الأحد الماضى واخذت معى السرير الذى اهدته لى أمى .

وفي نفس العمود :

انا مسز س . ب ف أعلن أن زوجى هرب من البيت يوم الأحد الماضى وسرق السرير .

ثم هذا الاعلان :

مقعد حب ، لف سيت ، لشخصين من نسيج الكانافاه للمقايضة بمقعدين منفصلين بعد ان اصبح مقعد الحب لا لزوم له .

ثم ادع الله ان يشفى ذلك الجنتلمان الذى نشر هذا الاعلان :

انا الجنتلمان الذى رفس السيدة في المسرح وارجو منها ان تقبل اعتذارى .

فانا مهذب جدا والدليل على ذلك انني ضعفت بعد ان رفستك ياسيدتي فلم استطع ان اقدم اعتذاري في حينه وارجو ياسيدتي أن تتاكدي انني لست معتادا على الرفس واقسم انني لم ارفس اي سيدة منذ ان انفصلت عن زوجتي

• • •

سيجارة من فضلك .. !

لم اهجر السيجارة لما قيل انها تسبب الشيخوخة المبكرة . كلا . فارغ طبعا . فالانسان يمكن ان يعيش في شباب دائم مع السيجارة لو حرص على شيئين : ان يكذب في سنه وان يصبغ شعره .

كذلك لم اهجر السيجارة انسياقا وراء حكاية سرطان الرئة فانني لا اتصور كيف يمكن ان تكون حياة الانسان لو انساق وراء كل ماقد يطلع به علينا العلماء من ان الأكل يسبب سرطان المعدة والمشي يسبب سرطان القدمين والشم يسبب سرطان الانف والحلاقة تسبب سرطان القفا

بل ان تاريخ الرجل مع السيجارة ملىء بالتضحيات من اجلها . فعند بداية انتشار التدخين كان المجتمع السويسري ينظر الى الرجل المدخن باعتباره فاسقا وغشاشا وخرب الذمة والاتقبل شهادته امام اي محكمة كالقرداتي ورغم ذلك رضي الرجل السويسري بكل هذا الهوان في سبيل السيجارة

وفي بعض ولايات المانيا كان قطع الانف هو العقوبة التي تنتظر اي رجل يضبط متلبسا بالتدخين . ومع ذلك كان الالماني الذي تم قطع انفه يعاود التدخين بمنتهى الاطمئنان لأن الانف الذي نص القانون على قطعه قد قطع فعلا !

وفي تركيا كانت عقوبة المدخن ان يشد وثاقه وفي حفل غير عائلي وغير بهيج يتجمع الناس للفرجة على ادخال الشويك الذي يدخن فيه داخل انفه حتى يدمى ويعلن باعلى صوته على الملأ انه تاب عن التدخين

وبينما جردت حكومة انجلترا حملات متواصلة على المدخنين . اصدر البابا في الفاتيكان امرا كنسيا بتحريم التدخين .

وذهب هذا كله وبقيت السيجارة !

غير اني قررت ان اهجر التدخين تحديا لصديقي الجراح الشهير الذي كان قد اعلن بيننا اقلاعه عن التدخين واتهمني انني عاجز وضعيف امام السيجارة فرايت ان اقدم الدليل على ان ارادتي فولاذية . وبعد اربع وعشرين ساعة من امتناعي عن التدخين شعرت ان في داخل دماغي مدينة ملاهي : شيء يدور من اليسار الى اليمين وشيء يدور من اليمين الى اليسار وشيء نازل وشيء طالع ولم اعد اعرف ما يجرى داخل جسمي من عمليات كيميائية وفسيولوجية نتيجة الانقطاع الفجائي عن تدخين مائة وعشرين سيجارة في اليوم

وفي اليوم الثالث أحسست انني مشتاق اليها وعندي لوعة وحالتي هباب . وبدأت اتعرض للحظات رهيبة من الضعف شعرت معها ان المعركة بيني وبين السيجارة غير متكافئة . فان تاثير غيابها عني يزداد عنفا في نافوخي وجهازي العصبي وكياني كله . بينما هي لاتشعر بي ولا يعنيها امري سواء اقتربت منها او ابتعدت وقلت لنفسي : يحسن بك ان تعترف انك ابله . فانت اشبه بالعاشق المبتدىء الساذج الذي يتحدى غانية تمرست بتجارب الليالي

كان غيري اشطر !

فان مارك توين يقول ان الاقلاع عن التدخين مسالة سهلة جدا بدليل انه اقلع عن التدخين عشرين مرة ان حواء تسببت في طرد ادم من الجنة إلى الدنيا ومع ذلك لم يحاول ادم الخلاص منها . والسيجارة تتسبب يوميا في طرد ادم من الدنيا إلى الآخرة ومع ذلك لم يحاول ايضا الخلاص منها

وما اشبه السيجارة بحواء . نفس السحر الغامض والمثير الذي يصعب الخلاص منه وتعز مقاومته .

لكن رغبتي في ان تكون ارادتي فولاذية امام صديقي الجراح الشهير جعلتني اقاوم . وكنت ادعو الله ليل نهار الا تنجلي التجربة عن ان اردادتي من البسبوسة وليست من الفولاذ بينما الجراح الشهير كان يؤكد لي ان البسبوسة على شيء من الصلابة والتماسك ولا يصح ان اشبه بها إرادتي المهلبية !

وشملت توسلاتي الى الله ان اواصل التحدى وان انحر صديقي الجراح الذي كان يبدو في حالة بهجة دائمة رغم انقطاعه عن التدخين بينما انا في هم مقيم

ومرت تسعة أيام ثقيلة عادت بعدها الابتسامة الى حياتي في اليوم العاشر . فقد زال الكرب وحان لي ان اتيه وازهو وسط الاصدقاء بقوة ارادتي وكيف قهرت السيجارة التي لاتقهر !

— ولاسيجارة ؟

— ولاسيجار

— بايب ؟

— ابدا .

— استغضت عنها بالارجيلة ؟

— اطلاقا

وتلقينا ـ الجراح الشهير وانا ـ تهانى الأصدقاء على هذا الانجاز الصحى الضخم الذى حققناه ، واصبحنا القدوة والنموذج العظيم لأهل الحكمة والارادة القوية .

وفى اليوم التاسع عشر التقيت فى احد شوارع اثينا بصديقى الجراح الكبير ، وكان فى كل منا سيجارة لم يفلح فى القائها بسرعة قبل ان يراه الآخر . فطوال تلك الفترة وكل منا يدخن سرا من خلف ظهر الثانى فقد اكتشفنا ان الاقلاع عن التدخين له نهاية مريحة جدا هى العودة إلى السيجارة !

لكننى هجرت السيجارة فعلا ليس بأمر الطبيب ولا بقوة الارادة . بل ببركة دعاء الوالدين

وتلك قصة اخرى .

• • •

.. وبركة دعاء الوالدين !

بعد عشر سنوات من المحاولة الأولى للاقلاع عن التدخين نجحت فى قهر السيجارة الى الأبد ! وتلقيت دعوات لاتحصى من المنتديات والجمعيات لأشرح كيف تحقق لى النصر فى تلك المعركة الشرسة وكيف صنعت ارادتى الحديدية المعجزة !

وكنت اعتذر محتجا بان من الغرور وثقل الظل ان يتحدث انسان الى الناس عن ارادته الجبارة فى تحقيق هذه المعجزة

والحقيقة التى لم افصح عنها اننى لم اقم باى جهد . فلا هى معجزة ولاهى مذهلة . والمسالة كلها تعود الى بركة دعاء الوالدين . واكون كاذبا اذا ادعيت ان ارادتى فولاذية . واننى قلت للسيجارة لا فكانت هى لا . ثم لكى تكون ارادتى فولاذية يجب ان تكون لى اولا ارادة استعملها . فالمتزوج عادة لايعتمد على ارادته . بل ان الزوجة تتخذ كل القرارات لتريح ارادة زوجها من العمل وذلك من باب التعاون الزوجى . وقد تحقق للعديد من الأزواج الاقلاع عن التدخين بفضل ارادة الزوجة التى ترى عادة ان مصاريف السجاير ينبغى أن تضاف الى مصروف يدها .

غير ان زوجتى لم تمارس اى ضغط والحق يقال . والحكاية اننى اصبت بنزلة برد حادة منذ سبع سنوات ورأى الطبيب أن استنشق بخار الجاوى

لتنشيط التنفس . ولم اكن أعرف أن بخار الجاوى هذا له رائحة فاقعة تعذب كثيرا كثيرا . وادهشنى اكثر ان هتلر لم يستخدمه فى غرف التعذيب . فما لبثت اعصاب الشم عندى ان اختلت . او ان رائحة الجاوى التصقت بهذه الأعصاب . فاية رائحة اشمها تترجمها مراكز الشم فى المخ الى جاوى . السيجارة جاوى والبنزين جاوى . والزبالة جاوى . والكلونيا جاوى . وتراجعت مشكلة السيجارة وبرزت مشكلة انفى . إذ أصابنى الجاوى بما يشبه عمى الشم . وانتهزت زوجتى الفرصة واخرجت زجاجة عطرها المفضل . وهو عطر يسبب لى صداعا رهيبا بمجرد شمة . والسبب حساسية وليس ثمن العطر

وقد استدعى ذك العمى الشمى الذى طال أمده ان اتردد على طبيب انف واذن وحنجرة . فكان يغمض عينى ويمرر بقطنة صبغة يود تحت انفى ثم يسألنى ماذا تشم . فاقول له هذه رائحة جوافة . ثم تحسنت واصبحت أميز ـ بشىء من الجهد ـ رائحة الورد البلدى من السمك المشوى

ولولا بخار الجاوى لما تهيأت لى ابدا فرصة الاقلاع عن التدخين . فلقد اصبحت نصائح الاقلاع عن التدخين تجارة رابحة إذ هناك كتب لاحصر لها مثل اطفىء سيجارتك الآن وداعا للسيجارة .. الى الآخرة . وهى كتب حققت الغرض منها فملأت جيوب مؤلفيها بفلوس المدخنين الذين لم يقلعوا عن السيجارة . وفى اميركا رأيت معاهد ترويض المدخن على فراق السيجارة حتى يقلع عن التدخين خلال اسبوع واحد مقابل خمسمائة دولار . وهى فعلا تشفيك من السيجارة خلال اسبوع لكنك ستعود الى السيجارة فى لحظة انفعال ندما وحزنا على الخمسمائة دولار

ولااظن ان هناك طريقة علمية مؤكدة للاقلاع عن التدخين او الاقلاع عن حب شخص ما . فالسيجارة مثل المرأة المعشوقة التى استولت على كيان رجل واصبح هواها فى دمه وهو فى تمرده على اذلالها له يلجأ للآخرين طلبا للرأى والمشورة . متمنيا ان يشيروا عليه بما يوافق هواه وغرامه بها . فالعاشق الذى يستشير الآخرين ينفذ غالبا مايريده هو : ما احلى الرجوع اليها . بينما العاشق الذى ينوى حقا التحرر من حب لايستشير احدا . بل يفعلها فى صمت واصرار . فطلب النصيحة هو مجرد . مماطلة . او تماحيك . والذين يقدمون النصائح فى كتب الاقلاع عن التدخين يشبهون تماما الرجل الذى وقف مع مساعده فى الشارع يبيعان الدواء العجيب الذى يطيل العمر حتى ٤٠٠ سنة . ويزعم البائع للواقفين حوله انه شخصيا بلغ من العمر ٣٦٠ سنة بفضل تعاطيه الدواء العجيب الذى يبيعه . فلما سألوا مساعده هل صحيح ان

البائع عمره ٣٦٠ سنة ؟ أجاب قائلا بانه لايعرف لأنه يعمل مساعدا له منذ ١٥٠ سنة فقط

• • •

أهل الرجيم .. !

ما ان اقلعت عن التدخين حتى قفز وزني في أمد قصير من سبعين كيلو الى ثلاثة وثمانين كيلو . فنصحوني بالذهاب الى اخصائي في علاج السمنة امتدحوه كثيرا . وعندما رأيت ذلك الطبيب الكبير ارتفعت معنوياتي ، فقد كان كبيرا فعلا يزن حوالى ١٤٠ كيلو وبدوت غزالا رشيقا بالنسبة الى حجمه ، لكني علمت أن اطباء علاج السمنة ليسوا جميعا على هذه الصورة ، فالكثير منهم يزن ١٢٠ كيلو فقط

كان الطبيب يتنفس بصعوبة من فرط ما يحمل صدره من شحم ولحم وهو يحذرني من ان السمنة معناها تصلب الشرايين والسكر وحصوة المرارة وتعب عضلة القلب . وما ان نطق الطبيب بهذه الكلمات حتى لهث من المجهود الذى بذله في نطقها ، وجلس يلتقط انفاسه ، ثم كتب الطبيب لى رجيما قاسيا لابد أن اتبعه وعرفت ان الرجيم القاسى لايضايقك ابدا اذا كنت أنت الطبيب الذي تكتبه للآخرين . كان الرجيم مجرد خضراوات مسلوقة . لكنه اتاح لى الحرية في الاختيار ابتداء من الفاصوليا حتى البرسيم .

في الحديث عن الاتعاب قال لى الطبيب ان كل كيلو انقصه سوف ادفع مقابله ٢٠ جنيها . وكل كيلو ازيده عن الوزن الذي جئت به للطبيب سوف ادفع عليه ٢٥ جنيها . وثبت لى بذلك أن لحمي اغلى من البتلو . ونصحني الموسيقار الكبير الامبراطور عبد الوهاب أن استعمل قوة الارادة ولا الجأ الى طبيب . ودعاني الى ان أجرب اكل الرجيم الخاص به ، واستأثر هو بالفرخة المسلوقة ، اما طعام الرجيم الذى دعاني الى أن أجرب قوة ارادتي فيه . فالطبق الاول منه لم اتبين هويته هل هو أرز . كلا ليس أرزا . لحم مفروم ؟ اللحم المفروم لونه معروف وطعمه ايضا هل هو شوفان او كويكر أو تس ؟ ابدا .

— ما هذا يا امبراطور ؟

— قال الامبراطور : كل .. كل هذا شيء مفيد جدا .

مضيت أكل ذلك الشيء حتى استقر رأيي على انه نشارة خشب وهذا يبدو واضحا . فكرت ان اضع عليها كتشب لكن الأستاذ عبد الوهاب قال إن

الكتشب لايتمشى مع الرجيم وعاد يقول : كل .. كل بالهنا والشفا بينما كان الاستاذ عبد الوهاب منهمكا في الفرخة المسلوقة كنت احاول ابتلاع نشارة الخشب بصعوبة بالغة ممكن يكون لها طعم اخر لو رششت عليها « مية طرشى » . ناديت السفرجي : هل أجد عندك مية طرشى ؟ ارتفع صوت عبد الوهاب مستنكرا : اعوذ بالله .. مية طرشى ؟؟؟ اقترح الاستاذ عبد الوهاب أن اعصر على هذا الشيء الذى اكله ليمونة . عصرت ليمونتين . لكن النشارة وقفت في حلقي .

كنت أقول له اديني حتة من فرختك وخلصني وكانما احس بنواياى فبادر يقول للسفرجي : هات له الكفتة . أكلت من الكفتة واحدة ثم اثنتين . انها بلا طعم ولا رائحة . معقول هذه كفتة ؟ ؟

سألني الأستاذ عبد الوهاب : لذيذة .. مش كده ؟؟

لم املك إلا ان اقول : جدا . فامر السفرجي بأن يعد لى ربطة من الكفتة آخذها معي لتكون وجبة العشاء . وقد رحبت بذلك املا في معرفة اصل هذه المادة التي اكلها والتي ليس لها بالكفتة اية صلة . غير أن قريبي الكيميائي رفض ان يحللها مكتفيا بانه واضح جدا من طعمها انها قش مضغوط .

تعلمت من الأستاذ عبد الوهاب الدرس الاول في قوة الارادة . فهو يستمتع برائحة الطعام المسبك دون ان يأكله .. يميل على دقية البامية ويستنشق رائحتها مبهورا ثم يأكل الخضار المغلى .

ولكي اثبت لنفسي قوة الارادة وضعت امامي على المائدة في البيت فتة بالخل والثوم ، والى جواره طبق الخضار المغلى الذى سأتناوله وبدات انشق رائحة الفتة ، وشعرت في النهاية بالراحة بعد الصراع ، فقد اكلت طبق الفتة .

وأدركت كم هو بائس الانسان الذى على رجيم في بلادنا ، فهو يتعرض لحرب كيماوية رهيبة تتمثل في استنشاق تقلية الملوخية او فتة بالخل والثوم ، وهي غازات تدمر مراكز الرجيم في المخ وتحدث شللا في عصب الارادة فينهار الانسان . مع ملاحظة ان هذه الغازات عديمة التأثير على الانسان الاوربي ومن هنا جاء القوام رشيقا في النساء والرجال .. ذهبت الى الطبيب بعد أسبوع ، فوجدت الطبيب قد زاد خمسة كيلو ! .

هل يمكن احترام الرجيم في بلادنا ونحن نحتفل بالأكل على هذه الصورة . فجعلنا منه مظهرا للاحتفال بالمناسبات ، واعتبرنا الاكل رمزا للصفاء والمودة فحلفنا : وحياة العيش والملح ، وحتى اغانينا حشوناها بكل الوان الطعام ابتداء من اكلها جبنة وزيتون وتعشيني بطاطا الى : وانشا الله أكل انا عيش حاف .. !

ذهبت الى الطبيب فى الأسبوع التالى وانا أعرف اننى قد زدت كيلو ، لكننى لم اجد الطبيب ، فقد نقلوه الى مصحة فى الخارج للتخسيس . وعرفت انهم حبسوه فى غرفة حتى لايصل اليه أى طعام ، وبات يعيش على الماء فقط وساءت حالته النفسية تماما ، وبدأ اصدقاؤه يرسلون اليه الزهور والورود ليبثوا فيه روح التفاؤل والأمل ، وتحسنت حالته بتوالى ارسال الزهور ، وتبين انه كان يأكلها

بعد شهور نقص وزنى كيلو وراء كيلو دون طبيب ولا رجيم ، فقد اكتشفت طريقة تسم البدن : الجلوس أمام التليفزيون .

• • •

من الخشب الى الذهب وبالعكس !

يحتفل الانسان بعيد زواجه الفضى بعد خمس وعشرين سنة ، وبالعيد الذهبى بعد خمسين سنة ، وعندما يحل العيد الماسى يكون كل من الزوجين قد حمل غالبا لقب المرحوم ، أى رحم الله كل منهما من الآخر !

وفى اثناء زيارة للولايات المتحدة اكتشفت أن هناك عيدا للزواج كل سنة من السنة الأولى حتى العاشرة واسماؤها بالترتيب .. العيد الورقى ، العيد القطنى ، العيد الجلدى ، العيد الكتانى ، العيد الخشبى ، العيد الحديدى ، العيد الصوفى ، العيد البرونزى ، العيد الخزفى والعيد القصديرى ، ثم يحتفلون بالعيد كل خمس سنوات بعد ذلك ، ففى السنة الخامسة عشرة العيد البللورى ، وفى العشرين العيد الصينى وفى الخامسة والعشرين الفضى وفى الثلاثين العيد اللؤلئى . وفى الخامسة والثلاثين العيد المرجانى ، وفى الأربعين الياقوتى . وفى الخامسة والاربعين السفيرى ، نسبة الى الياقوت الازرق ـ وفى الخمسين الذهبى ، وفى الخامسة والخمسين الزمردى ، ومن الستين الى الخامسة والسبعين الماسى !

والحقيقة ان اسماء هذه الأعياد ـ وبالذات من الأول الى العاشر ـ حيرتنى كثيرا فى البداية ، ثم بعد امعان وجدتها تفسر نفسها بنفسها ، فلا شك ان العيد الورقى فى السنة الأولى هو عيد توقيع تلك الأوراق التى يتم بها تحديد اقامة الطرفين فى مكان واحد ، وليس من المحتمل ـ كما قد يفسر البعض ـ ان الرجل بعد تجربة سنة زواج يرسل اليها ورقتها فى العيد الورقى

واستبعد ان يكون العيد القطنى ـ فى السنة الثانية ـ له صلة بالقطن

الطبى الذى يستعمل لتطبيب الجروح اثر الاشتباكات القتالية فى البيت ، فالوقت مبكر لمثل هذه المعارك الدموية .

اما عن السنة الثالثة ـ العيد الجلدى ـ فمن المرجح أن الانسان المتزوج تحدث له فى تلك السنة تغيرات جلدية ، فيبدأ الغلاف الخارجى للوجه فى اتخاذ فورمة الزواج كالبوز الضارب والشفاة الممطوطة فى اشمئناط وتكشيرة الجبهة .. الى اخره .

ومن المؤكد ان العيد الخشبى وثيق الصلة باستعمال المنتجات الخشبية للدفاع عن النفس ، كالعصا والقبقاب الحريمى ذى الفيونكة ، يؤيد ذلك أن العام الذى يليه هو العام الحديدى ، إذ نرى هنا تطورا من الخشب الى الحديد حيث يحتاج الحديد فى هذه المرحلة الى رخصة سلاح

وفى العام السابع يتبدد غالبا دفء الزواج ويبدأ الرجل فى الاعتماد على الحلول الذاتية للتدفئة كلبس الصوف ، وذلك هو العيد الصوفى ، واذا كان العيد العاشر هو العيد القصديرى أى الصفيحى فلا شك ان صمود الاثنين فى المعارك الطاحنة بينهما حتى العام الخامس والعشرين هو عيد فضى يستوجب الاحتفال بنجاة كل منهما من يد الآخر .

ولأن الانسان ميال الى خداع نفسه ، فانه يتعمد أحيانا الا يسمى الأشياء باسمائها فالتسمية المنطقية التى ينبغى أن تطلق على كل عيد زواج هى أن يقال مثلا فى العيد الثامن : الذكرى السنوية الثامنة للحب طيب الله ثراه !

• • •

الكرسى الكهربائى

زارنى شاب من اقربائى يرجونى ان اقنع عروسه بان تتخلى عن التقاليد البالية فى اقامة الفرح مع استعداده لوضع نفقات الفرح رصيدا باسمها فى البنك .

ثم سالنى : بالله عليك ما معنى ان امشى فى زفة ومن حولى الراقصات وما معنى ان اجلس فى كوشة محاطة بالورود ، وما معنى هذه الكوشة نفسها .

وسرحت بخواطرى : حقا ما معنى هذه الكوشة ؟ انها ليست إلا قفصا للفرجة عليك ياولدى وكانك فى حديقة حيوان وهى قفص لاينقصه غير لافتة مكتوب عليها هذا العريس موطنه المكان الفلانى ـ تم صيده يوم كذا ـ ويتم ابتداء من الليلة استئناسه ليصبح اليفا .

ولم اقل لقريبى العريس ان عنده حقا فيما يسعى اليه . فالهدف من الفرح هو تحقيق ركن العلانية فى الزواج ليعرف الكافة فى كل مكان ان فلانة قد تزوج من فلانه . ولو اننا استبعدنا الفرح فسوف يتحقق ركن العلانية ايضا ويعرف الناس ان فلانا قد تزوج فلانة عندما يسمعون الزعيق الذى يصدر عن الشقة بعد شهر العسل .

لذلك يمكن الاستغناء عن الفرح بنشر صورة العروسين وكل منهما يسقى الآخر الشربات من كاسه وهذا يرمز الى ان كلا منهما سيسقى الآخر من كاس الزواج .

هل هذا الشاب جاد فى ثورته على التقاليد البالية التى تبدد المال بلا مقتض على الافراح والليالى الملاح حتى ولو كان كذلك .. لماذا لايضحى ويسعد خطيبته بالفرح والجلوس فى الكوشة ويسعد معه الآخرين ايضا .

ان التطلع الى عروسين يجلسان فى الكوشة امر يسعد كل امراة ويذكرها بليلة العمر ، ويسعد الأمهات والآباء وهم يتمثلون ابناءهم وبناتهم فى تطلعاتهم الى العروسين ، كما ان بعض المدعوين من المجربين والحكماء يجدون متعة فى التطلع بكثير من الحيرة والدهشة الى رجل يتزوج طواعية .

والأرجح ـ قلت لنفسى ـ ان المسالة ليست مسالة تقاليد يحاول العريس ان يقاومها . فلعله يخشى الجلوس فى كوشة الزفاف تجنبا للمشاعر والأفكار التى انتابت عرسانا من قبله فغافلوا العروس وهربوا من الكوشة وكتبت لهم حياة جديدة .

ولعل هذا هو الهدف الرئيسى الذى كان ينشده مخترع الكوشة : الذى يهرب منها لايصلح للزواج والذى يصمد فيها هو الزوج الصالح . فالعرسان فى الدنيا كلها يتعرضون بشكل او باخر لعمليات اختبار قاسية تمتحن خشونتهم ومدى

تحملهم للمسئولية باعصاب هادئة متزنة . ففى شبه القارة الهندية مثلا مجتمعات تحرص على شتم العريس بالفاظ مقذعة وهو يواجه هذا كله بالابتسام للتدليل على ان أعصابه قوية ومؤهلة لأخطار الزواج . وفى جزيرة بالى يخطف العريس عروسه بشكل رومانسى وينتهى به الأمر غالبا بنقل العريس الى عنبر الكسور . وفى مجتمعات افريقية يضربون العريس بالسهام غير السامة حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ويصبح ابن حلال . وفى مجتمعات اخرى يطلقون على العريس اسدا او فهدا لاختبار قوة احتماله . وكثيرا ما يحتفلون بهذا العريس بعد ذلك احتفالا مهيبا فى مدافن الاسرة .

• • •

شـــواربه !

كان الرجل زمان يوصف بانه له شوارب يقف عليها الصقر !

وعندما اكتشفت المراة ان الأرنب له شوارب ايضا لم تعد تخاف شوارب الرجل فواجهته بالساطور والسكين وذبحته ذبح الأرنب ! ومنذ ان ظهر الشنب ، تحت انف الرجل وهو مشكلة . فعندما طال شارب الانسان البدائى اكثر مما ينبغى كان هذا الشارب اسهل واقرب موضع تجره منه المراة ساعة الخناق . وتلا ذلك عصور استنكرت فيها مجتمعات ظهور الشارب فى وجه الرجل واعتبرته من علامات البلاهة والشذوذ العقلى مثل تاليف المسلسلات . وحتمت مجتمعات اخرى ازالته بقوة القانون . واعتبر الرومان ظهور الشارب بدون لحية عند الفرنسيين من سمات الهمجية والتخلف . وعندما انتشر الشارب المبروم بالكوزماتيك فى العصور الحديثة كان ذلك بقصد اتخاذ مظهر سبع البرمبة وارهاب المراة تقليدا للولاة والحكام العثمانيين الذين كانوا يرهبون الناس بالشوارب البريمة التى يقف فوقها الصقر !

وقد ثبت ان الرجال لايملكون من امر شواربهم شيئا . فما وجد شارب فى وجه رجل إلا برضا امراة ولا ازيل شارب إلا برغبة امراة . ففى انجلترا كان هناك قانون سائد منذ العصور الوسطى حتى القرن الماضى يمنع اطلاق الشوارب . فلما احبت الملكة فيكتوريا الأمير البرت بشاربه الاشقر المسبسب ، صدر قانون يمنع العسكريين فى الجيش الانجليزى من حلق شواربهم اكراما لشنب المحبوب !

ورغم استنكار الرومان للشارب إلا أن كليوباترا لو كانت قد طلبت من انطونيو اطلاق شاربه لاستجاب على الفور . لكن الملاحظ ان كل مشاهير العشاق فى التاريخ

بدون شوارب مثل انطونيو فالنتينو وكازانوفا وروميو ودوق وندسور . غير ان النساء اذواق ومذاهب . فهناك امراة مصابة بهوس النظافة وترى ان الشارب يجب ازالته والقاؤه فى الزبالة . واخرى فيها ذكاء ترى الابقاء على شارب زوجها حتى يتوهم انه سبع البرمبة وسى السيد صاحب الامر والنهى .

اما بعيدا عن الجنس الاخر ، فان اطلاق الشارب او ازالته تعتبر مسالة ذوق واستحسان . فهناك انسان يتصور ان تناسق ملامحه لايكتمل إلا بالشارب بينما يرى انسان أخر وجوب ازالته خصوصا اذا كان هذا الانسان ست

• • •

ساطوريات !

لا اظن أن النساء اللاتى يقتلن ازواجهن ذبحا يشكلن ظاهرة تثير القلق . فلا تزال المراة هى المراة التى عرفها الرجل : العاطفة والدفء ومنتهى النعومة والبسمة الحلوة وهى تجلس أمامه الى المائدة وهو يتناول الكفتة التى دست له فيها السم

والرجل ينفرد بجريمة اشد بشاعة من الذبح بالساطور وهى جريمة الاغتصاب التى لاترتكبها المراة ابدا .

كذلك هناك جريمة ارتكبها شاب يابانى إذ احب طالبة هولندية ثم ذبحها واكلها ونحن حتى الآن لم نسمع عن امراة أكلت رجلا . فكل النساء والحمد لله من هذه الناحية نباتيات

ويدل استقراء الاحصائيات أن الجريمة النسائية تمثل اقل من ٣ ٪ من مجموع الجرائم فالعاطفة هى المحرك الأول للجريمة عند المراة إذ ان الجرائم النسائية التى تتصدر الاحصائيات شهادة الزور من أجل حبيبها ، والقتل بالسم غيرة وانتقاما ، وخطف الأطفال لتشبع أمومة حرمت منها علما بان الأطفال الذين تخطفهم النساء بينهم دائما عدد كبير من الرجال !

ان علينا ان نبحث بكثير من الانصاف عن الأسباب التى تدفع امراة رقيقة على التحول الى جزارة تذبح الرجل وتقسم لحمه الى بفتيك واسكالوب وفيليه .

والسبب الأول فى رأيى أن الرجل يعتبر البيت مكان راحة واسترخاء بينما الزوجة تعتبره مكان عمل . وقد أدى خروج المراة الى العمل إلى انها اصبحت تعمل ورديتين متعاقبتين خارج البيت ثم داخل البيت مما يشكل ضغطا عنيفا على جهازها العصبى . وقد بات واجبا على الرجل أثناء وجوده فى البيت ان يتخلى عن ارتداء ملابس الاسترخاء التى تريحه وان يرتدى الملابس التى تريح زوجته وهى مريلة المطبخ .

والسبب الثانى أن الزوجة مع هذه الضغوط العصبية لاتجد من جانب الزوج همسة الحب أو لمسة الحنان وقد اعتادت هذا الجفاف العاطفى لدرجة أن صديقا دخل البيت وقبل زوجته واقترح عليها ان يقضيا الامسية فى مطعم ثم قبل يدها وربت عليها . فانسحبت بهدوء ودخلت الغرفة تطلب امها فى التليفون وهى تبكى : ماما .. محمود اتجنن .

والسبب الثالث ان الزوجة التى تقوم برعاية الأولاد والطهو والنظافة وادارة البيت تقوم ايضا فى وقت فراغها بمهام ثقيلة وهى تسلية الزوج والحديث من طرف واحد الى شخص نكدى وغير مسل بالمرة . الامر الذى يفضى بها فى النهاية الى ان تتصرف بحماقة ، او تقلد تلك الزوجة التى غاب زوجها فابلغت اوصافه الى الشرطة بانه طويل القامة كثيف الشعر بينما هو قصير واصلع حتى لايعثروا عليه

• • •

قر ، يقر !

تعيب على بعضهن أننى اسخر من الزواج

وليس صحيحا أننى اضحك أو اسخر من الزواج .

المسألة هى أننى اعتدت أن ابتسم أمام الكوارث . فللزواج سبع فوائد ، وأهم ميزاته الاستقرار . وهو يوصف بهذه الصفة بالذات لأسباب كثيرة أهمها

اولا : ان كلا من الطرفين يستقر نفسيا بعد اختيار شريك الحياة بشكل نهائى ، ويبدأ كل منهما مرحلة التفكير بهدوء ليحصى أخطاء هذا الاختيار .

ثانيا : ان كلا من الطرفين يستقر على راى لابديل له وهو أن يؤهل نفسه لمعاشرة انسان من الصعب التكيف معه بسهولة بعد اكتشاف حقائق جديدة كانت خافية أيام الغرام والتنهدات .

ثالثا : لأن كل منهما يستقر على ترويض نفسه للتعايش مع الآخر راضيا بتقديم التنازلات . وغالبا ما يلتقيان فى كل النقاط . وقد لايلتقيان إلا فى نقطة واحدة هى نقطة الشرطة .

رابعا : الفعل « قر » تعتبر مشتقاته قوية الصلة بالزواج . ومنها استقر الرجل استقرارا اى انتهى به المطاف لاهثا فى مقر الزوجية بعد أن ظل يطاردها حتى اوقعت به . وزمان كانت صورة زفاف جدى تظهر فيها جدتى واقفة والعريس جدى جالسا تعبيرا عن أنه « سى السيد » الذى تقف له هى احتراما فى حضوره وقد تغير

هذا المفهوم تماما فاصبحت صورة الزفاف تمثلهما وهما جالسان معا في الكوشة تعبيرا عن انه جلس ليستريح بعد الجرى وراءها ، بينما هي جالسة تستجمع انفاسها لتجرى وراءه في البيت .

خامسا : الفعل « قر » كما جاء في قاموس مختار الصحاح - اشتق منه ايضا قرقر ، يقرقر ، قرقرة والقرقرة تحدث عندما يواجه الزوج موقفا عسيرا امام الزوجة ، فالقرقرة - لغة - هي صوت كركبة البطن عند حدوث الخوف .

سادسا : ومن الفعل « قر » يقال في شهر العسل : فلان قر عينا بعروسه ، وفلانة قرت عينا بعريسها فكل منهما قرير العين أى بارد العين ، لان العرب كانوا يقولون إن للحزن دمعة حارة وللسعادة دمعة باردة ، اما بعد ايام العسل فلا يقال ان كلا منهما قر عينا بالآخر بل يقال طلعت عينه من الآخر .

• • •

رقابة عليك !!

اقابل من وقت لآخر فنانون تتعثر اعمالهم في الرقابة ، فهذا يشكو من تعنت مدام فلانة وهذا يحكى عن تزمت مدام علانة ، فكل الرقابة ستات !

ورغم الشكوى المستمرة من الرقيبات إلا اننى أؤمن بأن هناك وظيفتين لاتصلح لهما إلا المرأة مأمور الضرائب والرقيب على المصنفات الفنية !

عن مأمور الضرائب مثلا يمكن القول بان احدا لا يستطيع ان يحاسب الرجل حسابا دقيقا ومضنيا إلا المرأة ويمكن التأكد من ذلك بمراجعة احصائيات حوادث الضرب الذى افضى إلى موت ! وعن الرقيب ، فتلك هي وظيفة المرأة : رقيبة طول العمر ، فهى الأم التى تبدأ معها رحلة الحياة ب عيب يا ولد . ما تعليش صوتك . نزل رجلك من على الكرسى . امضغ الأكل وبقك مقفول . تأكل العيش بس .. المسمار اللي فيه لأ

والأم ايضا هي التى تعاقبنا اطفالا إذا خرجنا عن النص وعملناها في الفراش . هذه الرقابة هي التى تضع أسس سلوكياتنا السوية في الطفولة ، ثم لا نلبث ان نشب عن الطوق لتتحول المرأة الى رقيبة من نوع آخر ، فهى هنا تأخذ دور بنت الجيران وتضيف إلى سلوكنا الطيب : النظافة وحسن الهندام والحرص على المواعيد . :

ثم وهى مخطوبة تبدأ دورا رقابيا جديدا بالحذف والاضافة

بالحذف مثلا : ياريت تقلل السجاير . باكره ريحة الخمرة . اذا كنت بتحبنى صحيح احلق شنبك . وبالاضافة مثلا : اذا كنت بتحبنى صحيح تربى شنبك !

وما ان تدخل المرأة المرحلة الزوجية حتى تتعاظم سلطاتها الرقابية لتشمل كل شيء ابتداء من اختيار البدلة والقميص وربطة العنق ، إلى الكلام الذى يمكن أن يقوله - وسط الناس والزيارات والذى لايصح أن يقوله . مستخدمة في ذلك نظرات العينين وضرب رجله من تحت مائدة الطعام حتى يخرس .

وفي عصر انفلات السلوك نحن في اشد الحاجة الى المرأة في جهاز الرقابة ، فهى تتمتع بحساسية مرهفة وغير عادية بالنسبة لأى مؤثر يخدش الذوق والحياء ، أو فيه شبهة خروج عن الآداب ، ولهذا السبب ، فان وجود امرأة في مكان به رجل يدفع الرجل دائما الى الحرص على الفاظه وتصرفاته ، إلا اذا كان هذا الرجل زوجها .

• • •

بنت الزمار

اخيرا عرض تليفزيون القاهرة فيلم كليوباترا ، وهو ليس الفيلم الوحيد الذى تنتجه هوليود عن ملكة الخلاعة في التاريخ !

والسينما الأمريكية تحتفل كثيرا بالتاريخ الفرعوني فقدمت انتاجا ضخما ومتميزا لافلام عديدة مثل المصرى وبن هور والوصايا العشر وغيرها ، بينما نحن نشكر السينما عندنا لانها لم تقدم اى انتاج تاريخي فرعوني ، فهذا يحفظ لتاريخ الفراعنة عظمته وجلاله ، إذ لو كنا انتجنا افلاما عن العصر الفرعونى لكانت هذه الأفلام من عينة : خوفو وتى تى الغازية - حنطينى ياحبيبتى - حب ولعب وجعة - حرامى المسلة - خنفرو ملك الكراتيه .

ومع ذلك فالسينما عندنا - والحق يقال - لم تتجاهل تخليد قديمات المصريات فقدمت مشكورة افلاما كبرى عن زوبة الكلوباتية وعزيزة شخاليل وتفيدة استك .

ولست أدرى سر الاهتمام البالغ بالسيدة كليوباترا رغم انها لاتمت لمصر بصلة ، فهى يونانية لحما ودما واسما ايضا إذ معنى اسمها باليونانية سيدة الجميع أو ست الكل .

وكليوباترا هي بنت بطليموس الزمار الذى كان يقضى وقته في عزف الناى ، وقد حظيت - عن طريق ملفها في مكتب الآداب - بشهرة تاريخية طغت على شهرة جميع ملوك البطالمة والست ، كليوباترات ، اللاتى قبلها إذ ان لقبها الرسمى في الحكم : كليوباترا السابعة .

بل انها تفوقت على شهرة ملكات مصريات فاضلات كان لهن اسمى قدر ومكانة

عند المصريين مثل تي ونفرتيتي وحتشبسوت ، ولقد اسرفنا في الاحتفال بهذه الغانية فاطلقنا اسمها على حي كليوباترا بالاسكندرية ، وكليوباترا المحطة ، وكليوباترا البلاج ، وكليوباترا سوبر كنج سايز وكليوباترا عبد الوهاب !

ويقول عبد الوهاب في انشودة كليوباترا : هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان .. هل حقا كانت فاتنة ؟؟ ان التمثال النصفي الذي عثر عليه الاثريون بعد عهدها باكثر من الف عام يكشف بوضوح ان جمالها لم يكن باهرا أو غير عادي . كذلك صورتها - لبروفيل - على العملة التي صكت في عهدها تقرر نفس الحقيقة . ويقول بلوتارك اقرب المؤرخين الى عصرها انها كانت ذات وجه عادي يميزه انف اقنى وشفاة رقيقة . إلا أن صوتها كان انثويا مؤثرا ، استطاع ان يضفي على حديثها سحرا خاصا . وقد كانت ممثلة بطبيعتها ولعل تسللها إلى قصر قيصر ملفوفة بسجادة يوضح لنا ميلها الشديد إلى التمثيل والاخراج ايضا ، يؤكد ذلك ان تاريخها مع المصريين كله محن و الام مما دفعهم إلى ثورات متكررة في وجهها حتى فرت ذات مرة مستخدمة مواهبها في التمثيل ، فتخفت وتنكرت وسط بدو الصحراء ، يساعدها على التمثيل اتقانها ست لغات ولهجات المصريين في البادية والحضر !

لكن الفن لايذكر لنا شيئا من نضال المصريين ضد حكمها واكتفى بان يرسم لها صورة رومانسية اخاذة تخالف حقيقتها تماما ، إذ يقول المؤرخ بلوتارك انها - في جلساتها الخاصة - كانت سوقية الالفاظ و ، معلمة ، وتتبادل مع انطونيو النكت البذيئة ! غير أن الفن له قوة اقناع أخرى ، فصور لنا كليوباترا مجسدة في اليزابيث تايلور ، وصور لنا قيس بن الملوح في صورة محمد عبد الوهاب يغني ليلى بجاكيت مع أن قيس الحقيقي مضت عليه السنون في الصحراء دون أن تمتد اليه يد حلاق تغير من شكله ، الهيبيز ، او صابونة تغير من رائحته !



كهارب الحب !

احبك بجنون .

— وانا اقدرك كصديق .

— لاتحدثيني عن صداقة . انى اعشقك .

— الصداقة أجمل صدقني .

هذا الحوار يتكرر يوميا في كل أنحاء الدنيا : انه ينظر اليها في الاتجاه العاطفي المخالف تماما لما تطلبه هي ، وهي تطلب الصداقة بينما هو العشق . ولا حل !

لكن اذا صح ما قيل من أن الحب موجات كهربية بين اثنين ، فان الامل الوحيد للعاشق التعس الذي يحب من طرف واحد هو التوصل الى حل مشكلة الاحساس علميا . فقد يكتشف العلم سر التنافر او التجاذب بين رجل وامراة بتجاذب او تنافر الكهارب في المخين . فالمخ - الذي ثبت انه بؤرة كل احساس - تتحكم فيه الكهارب . ولو تمكن العلم من تعديل هذه الكهارب . فهذا هو العصر الذهبي للعشاق ، إذ قد يشهد المستقبل رجلا قاموا بتركيب علبة بلاستيك على قفاه تحوي جهازا لتوفيق كهارب مخه مع كهارب مخ المحبوبة ، تماما كتوافق جهازي ارسال واستقبال على موجة واحدة .

وربما راينا في المستقبل فتاة خطبوا لها شابا لاتشعر نحوه باية عاطفة لكنه ناجح وينتظره مستقبل لامع ، وهنا يتبادل الاثنان التفاهم حول مخ كل منهما والقياسات العلمية لارسال المخ بالكيلو سيكل والكيلو هرتز وما إذا كان مخه ، ميديام ، او اف . ام .

وسوف يستتبع ذلك وجود اطباء تزخر لافتاتهم بمختلف التخصصات اخصائي في توفيق الكهارب - دكتوراة في المخ اف . ام - اخصائي في تقويم الموجات الغرامية . وفي عيادة هؤلاء الأطباء سوف نرى فتاة تنفر من شاب ، ثم لانلبث أن نرى نفورها وقد تحول الى تنهدات حالمة لا لشيء إلا لأن الطبيب وضع بينها وبين الشاب جهاز ترانسفورمر او محول كهربائي يحيل النفور الى شوق وحنين .

ولو تم هذا الانجاز فسوف تصبح بيوت المستقبل كلها سعادة وهناء مع تطوير الترانسفورمر ليوجد في كل بيت مع لوحة عداد النور حيث يقوم بارسال تياراته لينشر التفاهم والحب بين أمخاخ البيت . لكن لن يخلو الامر من خناق ينشب فجاة في البيت وذلك للسبب الأزلي في بلادنا : انقطاع التيار !

ولاشك ان كهارب المخ وكيماويات الجسم تتدخل لتحكم تصرفات الحب التي تختلف عن تصرفات الزواج . ففي الحب مثلا تنشط الكهارب في مركز الاعلام بمخ

الرجل فيقول لها كل دقيقة انها جميلة وانه يحبها بينما فى الزواج تقل كهارب مركز الاعلام عند الرجل وتنمحى منه كلمة احبك !

وفى الحب تتعطل مراكز الادراك فى المخ فلا يعرف كل من الطرفين السبب الذى يحب من اجله الآخر بينما فى الزواج تعمل مراكز الادراك بكفاءة فتبدأ المشاكل عندما لايجد كل منهما سببا وجيها لزواجه من الآخر

وفى الحب تنشط مراكز خاصة فى المخ فتظهر على الرجل بوادر الكبتومانيا العاطفية فيسرق القبلات منها بينما فى الزواج تضطرب تلك الخلايا فى المخ من الاخريات . وفى الحب تنشط كهارب مركز الذوق فى المخ فيقتصر كل من الزوجين وفق مايريد الآخر ، بينما فى الزواج تزداد كهارب المخ اضطرابا فيتصرف الاثنان وفق ماتريد هى !

• • •

العش الهادىء !!

بالمصادفة حاصرتنى مجموعة من السيدات والآنسات فى النادى ، وبدا التحرش واضحا والاسئلة تنهال فوق راسى

سيداتى آنساتى : خلق البيت الهادىء المريح يعتمد على تضحيات الرجل وصبره وطولة باله ، وعليه يقع العبء كله ابتداء من التقرب الى شريكة الحياة حتى اقامة الشركة .

فالتقرب إلى شريكة العمر بالغرام والحب مسالة تستدعى السهد والسهر والعذاب والأنين وحياتى انت ماليش غيرك وفايتنى لمين

اما اقامة الشركة نفسها فمرحلة فيها جرى ولهث وتدبير تحويشة العمر والحصول على الشقة ، هذا بالاضافة إلى استعداد الزوج الطيب للتنازل عن حرياته العامة مثل حرية الراى وحرية التنقل وحرية التعبير ولو بالاشارة

واذا كان آدم قد شعر بآلام رهيبة وحواء تخرج من ضلعه ، فهذا يوضح لنا كم يتكلف الرجل للحصول على شريكة الحياة ، ثم تاتى مرحلة التضحيات لاستمرار المسيرة الزوجية ، فبعد خروج حواء من ضلعه تاتى قصة التفاحة الشهيرة التى قضمتها حواء ، ومن محاسن الصدف أن زمارة رقبة الرجل التى تتمنى الزوجة ان تقرمها باسنانها اسمها فى علم التشريح تفاحة آدم !

وممكن جدا خفض درجة التوتر التقليدية بين الزوج والزوجة إلى أدنى مستوى وهذا يتحقق بفروسية الزوج وشهامته وتنازلاته . فاذا لم يكن الزوج فارسا وشهما ، سيصبح مع الزمن فارسا وشهما رغم انفه

ومن سمات الفروسية أن يستمع الزوج ولا يقاطع او يستمع

ولايرد أو يستمع ولا يعارض او يستمع ولاحتى يناقش وما أن يبلغ الزوج هذه الدرجة العليا من النضوج فى فن الانصات حتى يصبح ظريفا لطيفا فيه الطاعة والوداعة كذلك الزوج الذى راح يفاوض موظف مكتب التليفونات طالبا مكالمة خارجية مع زوجته بربع اجر لانه متاكد من انه سوف ينصت اليها ولن يتكلم كلمة واحدة بعد ان يقول الو .

ومن أسباب التوترات التقليدية فى الزواج جنوح المناقشات أحيانا الى الحدة لعدم اعتراف الزوج بالخطا ، ولذلك فان الزوج الذى يسلم بانه اخطا وهو على خطا فعلا فهو يدخل فى عداد العقلاء ، اما الذى يسلم بانه اخطا وهو على صواب فانه يدخل فى عداد كبار الحكماء

ومن اكبر أسباب التوترات التقليدية الارهاق البدنى والعصبى الذى تعانيه الزوجة ، ولهذا يجب ان يعطيها الزوج اجازة من اعمال البيت ومسئولياته ، فيرسلها مثلا إلى بيت اسرتها عدة أيام للراحة ، فهذه الراحة يحتاجها الزوج ايضا .

وكثيرا مايقع الطرفان فى خطا شائع يسهم فى التوترات ، إذ يذكر كل منهما الآخر بالغلطة الكبيرة التى وقع فيها وذلك بترك صورة الزفاف معلقة فى البيت .

• • •

فى معمل تحاليل الحب !

ما الذى يحدث عند لقاء المحبوب ؟

يقول اهل العلم : إن الحبيب عندما يرى الحبيبة لحظة اللقاء ، فان التاثير يكون نابعا من المخ الذى يحدث التغيرات التالية عن طريق الجهاز العصبى : رجفة خفيفة فى اطراف الأصابع ـ تلعثم فى النطق جحوظا العينين مع زغللة خفيفة ـ عدم وضوح الرؤية للحظة ـ ازدياد افراز العرق ، وقوف الشعر ـ اختفاء الاحساس بالجوع والعطش ـ ارتفاع ضغط الدم ، وتغيرات عديدة أخرى بينها ازدياد دقات القلب .

فلماذا ترك الكتاب والشعراء كل هذه التغيرات الكيميائية والحركات غير الارادية وتمسكوا ـ فقط ـ بما يحدث للقلب ، وجعلوا من هذا القلب مركزا للحب والغرام ؟

يجوز لان دقات القلب هى المحسوسة اكثر او هى الايقاع العالى فى سيمفونية الغرام ، واذا كان اضطراب المصران الغليظ من علامات هذا اللقاء ، فمن العسير ـ فيما اظن ـ على شاعر غنائى ان يقول : وشفتك تانى .. وانخلع مصرانى .

أو يقول وقابلتك يوما وأول ما رأيتك .. اضطرب مصراني ونابيني حبيتك

وعن ارتفاع ضغط الدم لحظة اللقاء ، فاننا اذا سمعنا شاعرا يقول : زودتي عليا الهم ورفعتي ضغط الدم ، فهذا ليس كلام عشاق ولكنه كلام متزوجين

وعن جحوظ العينين والعرق والافرازات الكيميائية لمختلف الغدد فان العاشق إذا غنى : وقالوا لى عنيك طلعت برد ودمك قايد .. وقالوا لى غددك سايحة وعرقك بارد ، فهذا العاشق ليس قطعا فى موعد غرام وانما فى عنبر الحوادث بالمستشفى اثر حادث اليم

ومن هنا اصبح القلب هو الرمز اللطيف للحب رغم انه مجرد مضخة تضخ الدم فى الجسم ومن هنا سمعنا عبد الحليم يغنى عن دق القلب اللى زايد دقتين ، وكيف وضع الطبيب السماعة على هذا القلب وشخص المرض بانه رمش عين ، والظاهر انه كان طبيبا شرعيا فقد حدد مدة وجود الرمش فى القلب قائلا : بقاله جمعتين

ولعلنا نلاحظ ان مؤثرات اللقاء فى الحب لاتختلف كثيرا عن مؤثرات اللقاء فى الزواج ، فما ان يعود الزوج مثلا متاخرا عن موعده بعض الشىء حتى يلتقى بالزوجة وعلى لسانها السؤال الخالد : كنت فين لحد دلوقت ؟؟

هنا نرى نفس مؤثرات اللقاء فى الحب . تلعثم فى النطق ورجفة فى اطراف الاصابع تمتد فى هذه الحالة الى مفاصل الركبة مع عرق بارد بالاضافة الى وقوف الشعر ، وهذا « اللقاء السعيد » بين الزوجين اذا حدث عند عودة الزوج فى ساعة متاخرة من الليل مع ظهور اثار معينة على ملابسه مثل الروج او الوان الماسكارا او الحواجب ، او فتلة شعر طويلة زيادة عن اللزوم . فان اللقاء فى هذه الحالة يؤدى بالتاكيد الى نفس مؤثرات اللقاء السعيد مثل الزغللة وجحوظ العينين وعدم وضوح الرؤية بسبب الكدمات طبعا



الرجـل والمهنـة

هل تنعكس مهنة الرجل على سلوكه العام ؟

لقد لاحظت - مصادفة - أن حارس قفص القرود فى حديقة الحيوان يتمتع بحركات ضاحكة ومنتهى خفة الدم ولاينقصه إلا أن ترمى له بالفول السودانى . بينما كان حارس قفص الاسد وقورا مهيبا كملك الغابة شخصيا . ويبدو أن الحرفة تفرض طبيعتها دائما فالحذاء هو أول ما يلفت نظر صانع الاحذية فى شخصك بينما الحلاق يجتذبه القفا . اما الذى ينصرف عنك بشىء من خيبة الامل اذا راك فى صحة جيدة فهو الطبيب او الحانوتى

هل مهنة الرجل تنعكس على علاقاته الانسانية كالحب والزواج ؟ ؟

ان المراة مثلا قد ترتاح إلى الصحفى لأن مهنة البحث عن الأخبار توافق تماما نزعة المراة إلى النميمة فما من امراة لاتحب النم . ويمكن مثلا تعريف الهاتف بانه امراة على سماعة وامراة اخرى على السماعة الثانية سيرة امراة ثالثة فى السلك الموصل بين السماعتين

وقد يكون الزواج من محام متعبا جدا اذا عرفنا ان المراة تمثل فى البيت سلطة اتهام مستمرة ، وبزواجها من محام سوف يتعذر عليها كثيرا ان توقع بزوج احترف الدفاع والمرافعة وربما يبدو المحاسب القانونى زوجا غير مرغوب فيه لانضباطه الحسابى بحكم المهنة واسرافها هى المالى بحكم العادة . ولكن الواقع يثبت ان المحاسب زوج سخى اليد . الظاهر انه ينقلب بعد الزواج من محاسب قانونى الى محاسب على عمره ..

والرجل فى السلطة - كالوزير مثلا - ربما يكون متعبا لانه اعتاد أن يصدر الأوامر والتوجيهات والقرارات ولكن الذى لاشك فيه ان الحياة مع الوزير يمكن ان تكون مريحة جدا لأنه يقول باستمرار كلاما مريحا ووعودا طيبة اسمها التصريحات

وثمة اعتقاد بأن الطبيب الذى يمسك بالمشرط يقطع ويمزق اللحم الانسانى هو رجل مخيف . ولكن الواقع المدهش اثبت ان الأطباء - بعيدا عن السماعة والمشرط - رومانسيون عاطفيون جدا . خياليون جدا . يظهر بينهم دائما الشعراء والكتاب والموسيقيون والمصورون . وعلى عكس ذلك تتصور المراة ان الحياة مع كاتب هى ايام متصلة من الكلام العسل الذى تشتهى كل امراة سماعه . وهى لاتعرف ان عبارة الحب البراقة التى يكتبها الكاتب تكلفه انحناءة طويلة على المكتب وشطب وتمزيق ورق وشرب عشرين فنجان قهوة وتدخين كذا سيجارة والحقيقة ان الكاتب يغلب عليه دائما فى جلسته شرود الفكر . وقد رات ام كلثوم

توفيق الحكيم لأول مرة فى مكتب مصطفى أمين ، وراعها انه كان صامتا شاردا ، ولم تصدق انه توفيق الحكيم صاحب الفكر اللماح والأسلوب الشائق والحوار الجذاب على الورق فسألته أم كلثوم بدهشة :

— وما انت توفيق الحكيم امال مين اللى بيكتبلك ؟؟

وعلى أى حال ، يبدو أن المهنة لها أحيانا اثرها فى التصرفات العاطفية بشكل أو بآخر كالباحث العلمى مثلا الذى أراد أن يعرف تأثير القبلة على عروسه ، فجاء بأنثى فأر من فئران التجارب وربطها بأسلاك الأجهزة ثم قبل ، الفارة ، وراح يدون النتائج وكالعروس التى كادت تفطس من قبلة عريسها ليلة الزفاف ، واتضح أنه لم ينس حرفته وهو يقبلها ، اذ كان عمله فى النادى نفخ كور الفوتبول .

• • •

هيبته !

أين ذهبت هيبة الرجل ؟؟

كان جدى زمان له هيبة عظيمة ولم تكن ستى تجرؤ على نطق اسمه مجردا من لقب « سى » ، سى عمر وسى ابراهيم وسى محمود . وكان لقب « سى » هو اختصار لكلمة سيدى !

وفى الوقت الذى كانت شوارب الرجل الشرقى يقف عليها الصقر ، كان الرجل فى الغرب يستل سيفه للمبارزة إذا مس أحد أنثاه . ففى الشرق والغرب كان الرجل يقوم بدور البطل بينما هى مجرد كومبارس ثم هبت حركات التحرر النسائى تشن حربا على الرجل الذى يستعمر المرأة ويرفع علم الحماية بوصفها تابعة له ، ورفعت الزعيمات شعار اللهم احمنا من الرجال اما ضعفنا فنحن كفيلات به ويسقط المستعمر الغاشم والى الجحيم بأكل الرجال !

واستطاعت الزعيمات فى الغرب أن يكسبن المعركة ومكنت المرأة فى الغرب من أن تستنبط نوعا جديدا من الرجال هو الرجل الخنفس .

واختفى الرجل ذو الهيبة والنخوة والدم الحار ، وأصبحت ملابس المرأة تعلن عن مدى التقهقر لسلطان الرجل اذ كانت الملابس زمان تغطى جسمها كله . فتم اختصارها إلى الميكرو والبكينى .

لقد كان الرجل زمان ذا هيبة عظيمة لاتجرؤ معها ستى على مناقشته أو مجرد الوقوف أمامه ، وكانت اذا أرادت الخلاص منه دست له السم فى الكفتة وهى ترتجف ذعرا . فأصبحت اليوم تواجهه بالسكين والساطور وتعبىء لحمه فى أكياس وهى ترشف كوب الشاى فى هدوء !!

وأمام ضياع هيبة الرجل ، صارت المرأة تكسب أرضا جديدة حتى وصلت إلى أنواع عجيبة من المساواة فأصبح من حق الزوجة مثلا أن تشترى فساتين بخمسة آلاف دولار مادام زوجها قد أنفق على نفسه خمسة آلاف دولار لاستئصال المصران الأعور

والغريب أن كلمة النساء اتحدت - على مستوى العالم - ضد الرجل ، فالمعروف أن المرأة لاتتفق أبدا مع امرأة . فالمرأة مثلا تلبس الفستان الثمين الباهر لتسم بدن الصديقات قبل العدوات ، وهى لاتطيق رئاسة المرأة فى العمل ولاترتاح إلا للرجل رئيسا عليها ربما لأنها متأكدة من الضحك عليه ، وهى لاتعترف بأن التى أمامها امرأة جميلة إلا اذا كانت تقف أمام المراية ، وهى تنتقص من سنها وتضيف السنين التى انقصتها من عمرها إلى سن أقرب صديقاتها .

لذلك فان المنظمات النسائية لايجمع أعضاءها حب المرأة للمرأة ، بل حرب المرأة ضد الرجل . بل ان من المضحك أن تحرض الزعيمات بيت كبير من بيوت الأزياء - ايف سان لوران - على تغيير ثوب الزفاف ! فالحاسة السادسة للرجل دفعته - من زمن بعيد - الى ارتداء زى أسود فى ليلة زفافه ، بينما أعطى اللون الأبيض لثوب زفاف العروس معنى رمزيا بأنها الرابحة والسعيدة وهذه وجهة نظر لاترضى الزعيمات فطلع ايف سان لوران منذ سنوات على العالم بثوب زفاف من التافتاه الأسود مع طرحه من التل الأسود .. رمزا لما سوف تلقاه العروس مع ذلك المخلوق الملعون الذى اسمه الرجل !

لكن برغم تمرد المرأة المستمر وحرصها على تحجيم الرجل إلا انها أحيانا تعترف ببعض ميزاته حين تودعه الى مثواه الأخير قائلة : يا جملى ، ذلك لأن الجمل - كما نعلم جميعا - يستعمل فى الركوب

• • •

قد يكون حلا !

انتقلت حوادث قتل الأزواج الى تونس ، اذ انتهزت زوجة فرصة نوم زوجها فقامت بخنقه بمنديل ثم قطعت جثته بالمنشار والسكين الى ثلاثة أجزاء وزعتها في أكياس بلاستيك على ثلاث مدن تونسية !

ويبدو ـ بحكم الأمر الواقع ـ ان صيغة نعى الزوج سوف تتغير قريبا فيقال : البقاء لله .. انتقل فلان الفلانى إلى مثواه الأخير بالكيس البلاستيك .

ويبدو ايضا ان المتزوجين ـ يجتازون عصرا حرجا لايتطلع فيه الزوج ـ كما كانت الحال ـ الى ان يهنأ بحياة سعيدة مع زوجته ، بل يتضرع الى الله أن تنتهى حياته معها « بموتة » ربنا .

ان الزواج ـ في عصر الاكياس البلاستيك ـ أصبح يتطلب من الرجل ان يتنازل عن الكثير من أعمال السيادة التى مارسها على مر العصور ، فان أمن الرجل وامانه وسلامته اصبحت تتوقف كثيرا على مسلكه وتطويع شخصيته للظروف الجديدة حتى ينجو من حد السكين ويفوز بموتة لطيفة مثل السكتة القلبية

وللوصول الى هذا الفوز يجدر بالرجل ان يضع في اعتباره هذه التوصيات :

— التردد على حديقة الحيوان ليتعلم من الجمل صبره ومن الفيل هدوءه ومن الحمار قوة احتماله ومن الأرنب ذعره ومن الكلب الكف عن النباح وقت ان يامره سيده بالسكوت .

— ان يكون لبقا ذكيا ، اذا اختلف مع زوجته اختلافا جوهريا في مشكلة ما ، فلا يعلن رايه لها ابدا .

— وان يظل يفكر ويفكر للوصول الى قرار سديد في أمر حيوى يتعلق بالاسرة او الأولاد ، وبعد ان يتخذ القرار يوافق زوجته فورا على قرارها المضاد .

— أن يكون له الحرية في المفاضلة بين الرأى والرأى الآخر ، فاذا لم يعجبه رأيها عمل برأى امها .

— ان يحترم آدميتها والا يرهقها بدعوى الواجبات الزوجية ، فمهما كان الزواج عن حب وغرام فعلى الزوج أن يدرك ان كل حبيب يصبح في النهاية مملا ، ولاينتظر منها ان تنظر اليه كفتى احلامها الأول ، فلا يوجد في الدنيا فتى احلام اقرع وبكرش .

— الا يقع في الغلطة التى يقع فيها الكثيرون بان يقول لها انه على استعداد لكي يموت من اجلها فالذى يقول لزوجته انا على استعداد لكى أموت من اجلك يسبب لها ـ في الزمن الطويل ـ خيبة أمل شديدة لانه يجثم على قلبها ولا يموت .

● ● ●

الطفل أبو شنب !

سالتنى المذيعة : يقولون دائما ان الرجل طفل كبير وان المراة اذا أرادت سعادتها معه فعليها ان تعامله كطفل .. فما هو وجه الشبه بين الرجل والطفل في رايك ؟

وقلت للمذيعة إن هناك اوجه شبه عديدة بين الرجل والطفل ، لعل اهمها ـ من وجهة نظر المراة ـ ان كلا من الرجل والطفل في حاجة مستمرة إلى ان « يتربى » .

ثم نحن نلاحظ ان الطفل يعبر عن احتياجاته بالبكاء ويكف عن البكاء عند تحقيقها ، كذلك الرجل في حالة الحب ، فهو يبكى للمحبوبة طلبا للوصال والصلح وارحمنى وكلمنى ويا سامع ندايا تعال شوف بكايا .

كذلك نلاحظ ان معظم العشاق لايحفظون العهود ولا الوعود وهذا بالطبع شغل عيال واطفال .

والتربية النفسية الصحيحة للطفل تقضى بان تلاعب الام طفلها في السنة الأولى بان تختفي عنه وتتركه يبحث عنها حتى يتدرب على تشغيل فكره والتقليل من اعتماده عليها بمواجهة المواقف الصعبة ، وكذلك تفعل المحبوبة مع الطفل الكبير ابو شنب الذى هو الرجل ، اذ تختفي عنه ثم يتضح ان سبب اختفائها انها وجدت عريسا اغنى منه .

والطفل عادة يبدأ التفاهم مع من حوله بقليل من الكلمات ، ويميل الى التعبير بالاشارات فيقبل الهواء اشارة للقبلة او يرفع يده باى باى وكذلك يفعل العاشق مع بنت الجيران عبر النوافذ والشرفات .

وتنصح التربية السليمة بان تحكى الأم للطفل في السنة الأولى حكايات كثيرة لكى تنمى قدراته العقلية وتغرس فيه فضيلة الانصات وكذلك تفعل الزوجة مع السنة الأولى من الزواج والسنة الثانية والسنة العاشرة ثم العشرين .

وتعتبر اللعثمة من صفات الطفولة فنجد الطفل ينطق حرفا وينتظر ليتغلب على عجزه ثم ينطق الحرف التالى ، واحيانا يعجز عن النطق عندما تتقلص عضلات الحنجرة نتيجة الخوف او الرهبة فتحول دون خروج الكلمات ، وكذلك يفعل الرجل عندما تضبط زوجته منديلا في جيبه به أحمر شفاه .

ومن سمات الطفولة ان الطفل ياكل بلا تفكير كل ما تمتد اليه يده أو اى شىء يقدم اليه ، وكذلك الرجل وهى تقدم اليه طبق الرز بالبشاميل مع سم الفار



النساء قادمات

المرأة فى طريقها الى حكم العالم. اللهم احفظنا !

حتى فى ولاية تكساس التى تتميز بالرجال الاشداء او « التفاجايز » قصقصت المرأة شوارب الرجال واستولت على الحكم. فتولت ان ريتشاردز وزارة الخزانة فى الولاية، واصبحت ليلى كوكريل رئيسة لبلدية سان انطونيو. وقبلها رأست انيت شتراوس بلدية هيوستن !

وواضح ان المرأة سوف تستولى على قيادة العالم. فهى فى بريطانيا والنرويج والفلبين وباكستان ونيكاراجوا رئيسة دولة ورئيسة وزراء. وكان هناك قبل ذلك انديرا غاندى وفيجايا لاكشيمى وبندرانيكا وكاينج تسنج، ومن المتوقع ان تضاف الى قائمة حاكمات الدول تاكاكو دوى زعيمة الحزب الاشتراكى اليابانى !

ولايمكن ان يكون وصول المرأة الى قيادة الدول على هذه الصورة وليد مصادفة، بل هو بالتأكيد نتائج مخطط نسائى محكم، بدأ بالثورة على الرجل فى أوروبا وامريكا، ثم استئناس الرجل وتحويله الى خنفس اليف يضع القرط فى اذنه ليعلن عن عصر الرجال الاغوات !

وفى السويد الآن حركة نسائية تطالب بتبادل المواقع، فيلزم الرجل البيت يطبخ ويغسل ويدادى العيال ويحضر الرضعة بينما تتفرغ المرأة للعمل وشغل المناصب العليا دون الرجل. وسوف تصل المرأة السويدية الى اهدافها لأن الرجل هناك مؤدب ومهذب ومطيع واليف جدا. وهى خطوة سوف تعقبها خطوات جديدة الى ان تستولى المرأة على العالم ليصبح حكمها عنصريا يقوم على اضطهاد الرجل تشفيا وانتقاما. وسوف تظهر الجماعات النسائية المتطرفة لتنادى بوجوب التخلص من الرجل بالمذابح الجماعية حتى تسلم البشرية من شروره. فمنذ الأزل وهو يشعل الحروب ليحرق قلوب الامهات. ولابد أن امبراطورية النساء سوف تسخر التقدم العلمى لنقل الحمل من بطن المرأة الى بطن الرجل. وسوف يموت فى هذه التجارب العلمية مئات الالوف من الرجال ذوى البطون المنفوخة وسوف تنشط لجان حقوق الانسان تناشد حاكمات العالم بوضع حد لابادة الرجال. غير ان الرجال - من جانب اخر - سوف تتكون بينهم جماعات تطالب بالمساواة مع الجنس الحاكم. وسوف تتضاعف المنظمات السرية التى تقود حرب تحرير الرجل عن طريق العنف. ومن الاخبار التى سيطالعها القارىء فى ذلك الزمن القادم:

اكتشفت السلطات المختصة فى كشاكاوانيا عبوة ناسفة فى قلم روج السيدة رئيسة مجلس الوزراء الكاشكاوانى وتم ابطال مفعولها قبل لحظات من تناول رئيسة الوزراء القلم الروج لتطلى شفتيها. والمعروف أن السيدة رئيسة وزراء ليمونيا راحت ضحية حادث مماثل إذ تم حشو باروكتها بمادة ناسفة. وقد اعلنت منظمة « الموت للنسوان » مسئوليتها عن الحادث !

المنكـــوب .. !

قال لنكولن ان المرأة خلقت من ضلع آدم بالذات حتى تكون دائما تحت ابطه ليحميها ويرعاها ويبدو ان تفسير لنكولن كان شديد السذاجة. فلم يدرك من الذى ينبغى ان يحمى الآخر. إذ لم تكن الدراسات العلمية قد ظهرت فى الافق لتكشف ان الرجل مخلوق غلبان يصعب على الكافر !

فقد كشفت الدراسات ان المنتحرين من الرجال اكثر من النساء بمراحل. وان بين كل اربع حالات انتحار امرأة واحدة فقط. كما تبين ان المرأة قلما تنتحر بسبب رجل بل بسبب امرأة اخرى غالبا إذ يبدو ان النساء مخلوقات مدهشات حقا. فالنساء يكرهن النساء .. والرجال ايضا !

بينما ظهر ان المرأة سبب اساسى لجنون الرجل. وان عدد الرجال فى المصحات العقلية يتفوق على عدد النساء. وتعتقد النساء ان هذه مسألة لاتدعو للدهشة، لأن عدد المجانين من الرجال خارج المصحات العقلية يشمل الرجال جميعا !

ولما كانت المرأة لها الأولوية فى الانقاذ عند وقوع حوادث او كوارث، فقد تبين ان الكوارث التى لم يتدخل فيها رجال الانقاذ يرتفع عدد القتلى والمصابين من الرجال بنسبة تفوق عدد النساء. وفى حوادث الطرق والحوادث اليومية العادية يرتفع عدد القتلى من الرجال، ولابد ان هذا العدد قد تضاعف بعد النشاط النسائى الكبير فى تعبئة الرجال داخل اكياس بلاستيك !

والمرأة تتمتع بجهاز عصبى عالى الكفاءة يتيح لها تحمل المفاجآت العنيفة بثبات. ومنذ سنوات مثلا انفجرت قنبلة فى جناح مسز تاتشر بفندق برايتون وقتل احد وزرائها وجرح كثيرون. وخرجت هى من الفندق فى ثبات مذهل بعد ان اجرت لمسة سريعة فى زينتها. لكن العلماء لايطلقون وصف المرأة الحديدية على مسز تاتشر وحدها. فكل امرأة عندهم هى امرأة حديدية من الناحية العلمية. إذ هى تولد مزودة بأسباب الصحة والبقاء لاعتبارات الحمل والولادة وحفظ النوع فهى لاتلتقط الامراض المعدية بسهولة كالرجل - خصوصا وهى حامل - كما ان كيميائيات جسمها تعمل بدقة وانتظام. وهى تستطيع ان تتكيف مع اى بيئة مناخية بعكس الرجل. فجسمها مزود بترموستات دقيقة يجعلها تحتمل الحرارة العالية او البرودة القاتلة. وفى البلاد التى يموت فيها الناس من الحر او البرد، لاتوجد بين الضحايا عادة امرأة واحدة. إذ يبدو ان الطبيعة تبقيها لأسباب انسانية وهى دفن زوجها الذى مات من شدة البرد.

وقد انتهت الدراسات الى ان الرجل يولد وهو يحمل اسباب فنائه. فهو بلا حصانة من الامراض ويتعرض منذ بداية حياته لكافة امراض الشرايين والقلب،

ونقص مادة الجاما جلوبين وهي ضرورية لمقاومة الميكروبات . بعكس المراة التي نادرا ما تمرض بالقلب إذ ان هرمون الاستروجين النسائي يزيل الدهون الصلبة المترسبة على جدران الأوعية الدموية . بل ان هذا الهرمون تتخلق منه ادوية لعلاج التهابات المفاصل عند الرجال . وفي بحث ميداني على راهبات ورهبان تساووا جميعا في ظروف الحياة الهادئة البعيدة عن التوترات والمشاكل والانغماس في الملذات التي تخرب الصحة ، وجدوا ان متوسط عمر الراهبة يزيد عن عمر الراهب بست سنوات ، وهكذا وصل العلماء الى الحقيقة التي تقول من لم يمت بالكيس البلاستيك مات بغيره

كذلك من بين ما انتهت اليه الدراسات ان الرجل الذى يتزلج على الجليد يسقط على وجهه بينما تسقط المراة على ظهرها لأن مركز الجاذبية الارضية عندها اكثر انخفاضا من الرجل ، وان الرجل ذو قدرة بصرية عالية في ضوء النهار ، بينما المراة تتمتع بقدرة خارقة على الابصار ليلا ، وهي موهبة يبدو نفعها واضحا عندما تنهض المراة خلسة في ظلام الليل لتبحث عن الساطور الذى ستشبح به راسه ..

● ● ●

الحب على الطريقة اليابانية ..!

احسن امراة في العالم تعامل الرجل معاملة « سي السيد » هي المراة اليابانية ! فهى عاشقة رومانسية ومربية للأولاد وخادمة تمسح البلاط وست بيت ممتازة وسيدة مجتمع عظيمة ، واهم من هذا كله انها لا تعرف الساطور ولا الأكياس البلاستيك !

غير ان الحب على الطريقة اليابانية صعب جدا ، والوصول الى قلب الجميلة ميتشيكو ـ مثلا ـ مهمة عسيرة ، فإذا افترضنا انك قطعت المراحل المعروفة : نظرة فابتسامة فسلام فكلام ، عز عليك الموعد واللقاء ، إذلو سالت تلك الجميلة هل تحبينني يا ميتشيكو ، فسوف تبرز امامك المشكلة الاولى وهى ان كلمة الحب ـ ومشتقاتها ـ غير موجودة في القاموس الياباني !

ويقول تاكيشى موراماتسو ـ وهو من اشهر الكتاب اليابانيين ـ ان الذين يقومون بترجمة الآداب الغربية الى اللغة اليابانية يجدون صعوبة بالغة فيما يتعلق بالتعبيرات العاطفية مثل انا احبك فلا توجد نظيرها في اللغة اليابانية ، إذ يستخدم اليابانيون الأسلوب غير المباشر للتعبير عن عواطفهم ، وإذا كان بعض اليابانيين قد بداوا في استخدام تعبير انا احبك ، فإن هذا التعبير غير مقبول حتى الآن على المستوى الشعبي !

فإذا انت ادركت الطريقة الصحيحة التي تعبر بها عن عواطفك للجميلة ميتشيكو ثم سالتها هي تبادلك الحب أم لا ، فهناك مطب اخر امامك وهو ان اليابانيين ـ كما يقول موراماتسو ـ لا يستخدمون بوضوح كلمتي « نعم » و« لا » ، فهم يستعملون في حياتهم اليومية تعبيرات مختلفة فيقولون مثلا اهكذا ؟ بدلا من كلمة « لا » ، ثم لديهم تعبيرات عديدة اخرى تحل محل نعم دون ان يفهمها الأجنبى ، الامر الذى يجعل الأجانب ـ كما يقول الكاتب ـ يعتبرون اليابانيين كذابين ومراوغين ، بينما هم في الحقيقة يستخدمون تلك التعبيرات البديلة لانهم يخشون ايذاء مشاعر الاخرين بالتعبيرات القاطعة الحادة مثلا : لا !

فإذا قالت لك ميتشيكو : اهكذا ؟ ردا على سؤالك هل هى تحبك أم لا ، فلا تنخدع بابتسامتها إذ من المحتمل ان تستدعى لك شرطة الآداب

ويقول الكاتب الياباني ان تعبير « هذه المائدة » مثلا له اكثر من عشرة تعبيرات مختلفة ، منها تعبير بالغ الرقة وتعبير لا تستخدمه إلا النساء ورابع تستخدمه المراة مع الاصدقاء المقربين ، ويتحتم على المتحدث اختيار التعبير المناسب وفقا للجنس والعلاقة مع المتحدث والجو الذى يسود الحديث ، فإذا اخطا موظف مثلا مع مدير الشركة في اختيار التعبير المناسب فهو لا يستطيع ان يطمئن على مستقبله في العمل وإذا قال رجل لميتشيكو الحسناء « هذه المائدة » بالتعبير الذى تستخدمه النساء فسوف ترقع ميتشيكو بالصوت الحياني من شدة الصدمة ، وربما رددت عبارات يا ميلة بختك يا ميتشيكو يا . فمن المستحيل ـ والحال كذلك ـ أن تحب اى يابانية دون ان تكون ضليعا في لغتها !

كيف تحب حسناء يابانية دون أن تستعمل كلمة حب التي لا تعرفها هى ؟!

عليك ـ حسب التقاليد ـ ان تنظم لها قصيدة صغيرة تبعث بها اليها ، تقول فيها : القمر يتوسط السماء ودمعى يسيل وانا انظر الى القمر ، هنا تستشف هى عواطفه التي تعبر عن تعلقه بها ، فهذه القصيدة القصيرة جدا ترجمتها بالعربى : أحب والحب كواني ومش قادر على بعدك ثانية ولا عارف إيه طعم الدنيا .

وإذا كانت ميتشيكو من النساء المتعاليات فهي لن ترد عليك إلا بعد عدد كبير من القصائد كذلك يمكنك ان تعتمد على القصائد القديمة الشهيرة ، فإذا كان بيت الشعر يحتوى على عبارات غزل في شطره الثاني ، فعليك ان تبعث بالشطر الأول فقط ، وميتشيكو التى تحفظ القصيدة سوف تدرك ماذا تعنى برسالتك الشعرية ، وهكذا ترى ان الطريق الى الجميلة ميتشيكو يلزمه ان يحوز العاشق رسالة دكتوراه في الادب الياباني .. وإلا اصبح قليل الادب !

● ● ●

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

كوز الغرام ..

لاشك ان الانسان حيوان غنائي ينزع إلى سماع الغناء ويميل أكثر إلى ممارسته . فالغناء نوع من النرجسية . إذ كما يحب الانسان رؤية صورته فى المراة يهوى ايضا سماع صوته مترنما . ولهذا نلاحظ أن الغدد الغنائية عند الانسان تزداد نشاطا فى الحمام . وفى الحمام وغير الحمام الكل يغنى . البعض يغنى فى الخفاء ، احيانا حفظا للوقار او خجلا من أن صوته عورة ينبغى إخفاؤها . لكن هناك فئة ضعفت عندهم مراكز الخجل فاصبحوا يغنون بلا حياء ، وهؤلاء هم بنوكاسيت من التتار الذين اشعلوا النار فى الحضارة الموسيقية والغنائية .

وهناك من يتهم الرقابة على المصنفات الفنية . ولست ادرى ما حيلة الرقابة فى اغنية تقول لبست له التوب البفته وعزمته على اكلة كفته . فهذا كلام فى راى الرقابة لا يمس النظام العام أو الآداب . لأن لبس التوب البفته لا يعتبر خطيئة ، ولا اكل الكفته يعتبر رذيلة . وإذا ما غنى مطرب : اديني بنطة لحام كوز المحبة اتخرم . والبنطة هى قطعة الحديد التى يتركها السباك تتوهج فى اللهب ليلحم بها الثقوب والمعادن . وبناء عليه فالبنطة ليست كلمة بذيئة . والكوز ليس كلمة نابية . وفى عصر الفن التتارى يرتقى خيال الشاعر التتارى إلى هذه الآفاق الجديدة فيشبه غرامه بالمحبوب بسائل فى كوز . ويشبه الجفوة مع الحبيب بثقب فى هذا الكوز يتسرب منه الغرام . فيطلب من سباك الغرام بنطة لحام لسد ثقب الكوز : اديني بنطة لحام كوز المحبة اتخرم !!

وفى كل عصر توجد الأغاني الهابطة إلى جوار الأغاني الرفيعة . ففى الزمان الذي قال فيه أمير الشعراء فى الليل لما خلى . وقال رامى من كتر شوقي سبقت عمري وقال بيرم النسمة أحسبها خطاك وقال مامون الشناوى لو كنت اقدر احب تانى احبك انت .. عندما قال هؤلاء العمالقة هذه المعانى فى رومانسياتهم الشهيرة كان هناك من يقول : ولما تجيني أمك تدور عليك ح حطك فى عينى واتكحل عليك ، ومن يقول : يا شبشب الهنا يا ريتني كنت انا . ومن يقول : بعد العشا يحلا الهزار والفرفشة . ومن يقول : اتنى اللى فات وتعال بات

لكن هذه الأغاني الهابطة لم تكن ذات تأثير وأغاني العمالقة بجوارها ترتفع بالذوق وتثرى الوجدان . غير أن زماننا خلا من أغاني العمالقة فانفرد التتار بالساحة وسادت أغاني كوز الغرام المخروم .

ولا يمكن القول بان على الاذاعة ان ترتفع بالذوق العام . الحقيقة ان الاذاعة - فى العالم كله - انتهت كقوة مؤثرة فى الذوق العام . والسبب عصر الكاسيت . إذ اصبح الانسان العصرى يمتلك إذاعة شخصية تذيع له ما يشاء فى البيت والسيارة . وبهذه الاذاعات الملاكى حقق مطرب الكوز شهرة داوية دون ان يقف امام ميكروفون الاذاعة ولا مرة واحدة .

ولن انسى تلك الليلة التى اضطررت فيها إلى ركوب ميكروباص اجرة . وكان السائق يردد مع الصوت القبيح المنبعث من الكاسيت انا روميو حبيبك يا جوليا حبيني يا بنت الفاصوليا .

ولما ابديت دهشتي من كلمات الأغنية واستفسرت عن اسم الشركة التى انتجتها واسم الجحش الذى يغنيها . اعتبرني الركاب إنسانا شاذا لأنني ابدى قرفا واضحا . ومع ذلك توقف السائق وسحب اغنية جوليا بنت الفاصوليا من الكاسيت . ووضع اغنية أخرى فهمت منها انني يجب ان - اغادر الميكروباص فورا . إذ انبعث من الكاسيت صوت غوغائي يقول : ايامنا لا ممكن ح تعود انفضل من غير مطرود !

● ● ●

دموعــك .. !

لماذا نحترم شكسبير صانع الفواجع بينما نلوم صناع المآسى من مؤلفى المسلسلات رغم انهم مثل شكسبير بالضبط لا يعرفون القراءة ولا الكتابة بالعربي !

لقد افضت الدراسات العلمية الحديثة إلى حقيقة غريبة وهى اننا ينبغي أن نبكي من وقت لآخر ولأن الله لا ينسى عباده فقد أوجد لنا مؤلفي المسلسلات الذين يقيمون المآتم المفيدة . فنحن نعيش فى بلاد متربة تحيط بها الصحارى ولا تكفى إفرازات الغدد الدمعية لغسل العين من تلك الأتربة الكثيفة لأن الدموع تقوم بعملية غسيل وترطيب وتساعد على انسياب وليونة الجفون وقيل إن المراة دمعتها . قريبة . تظهر بسبب وبلا سبب حتى تقوم بغسل العين من مساحيق الزينة . أما الرجل الذى يعيش فى مدن نقية غير متربة فإن الدموع تطفر فى عينه بين وقت واخر عندما يتذكر انه متزوج .

وقد تبين من هذه الدراسة الدمعية اننا نبكي لأسباب كثيرة نجهلها احيانا . وإن الانسان الذى يشكو اعراضا مختلفة كالكابوس والام الركبة او الكتف . يتخلص من شكواه إذا تقطع قلبه امام التليفزيون حزنا على الزوجة التى هرب

زوجها مع الشغالة بعد أن قتل ابنه الكبير المعترض على زواجه وانتحرت البنت الوسطى لنفس السبب وتأزم حال البنت المتزوجة فأنجبت مولودا مشوها صورة طبق الأصل من اسحق شامير .

وقالت الدراسة الدمعية أننا أحيانا نقاوم تأثرنا ونعمد إلى إخفاء انفعالاتنا ولا نسمح للدمعة بالظهور ، ثم فجأة تنهال دموعنا في موقف لا يستوجب انهمارها ، وهذا حقيقى ، إذ كان لى صديق يعمل محاميا شرعيا ثم خلع العمامة ولبس البدلة عند إلغاء المحاكم الشرعية ودخلت أحاديثه بضعة ألفاظ إنجليزية ، وكنت أراه يأكل الملوخية بالأرانب وهو يبكى بشدة وكان يعلل بكاءه بأن الملوخية في غاية اللذة ، ثم دخل مرة إلى دار صديق له فوجد ولديه قد رسبا في الامتحان ، وبدلا من أن يقول لهما « هارد لك » بالانجليزية - أى حظ سىء - بكى وهو يخاطب الاثنين بصيغة المثنى قائلا : هارد لكما .

فلما بدأت الدراميات التليفزيونية في الظهور أصبحت تساعد في اجتذاب جانب كبير من دموع الملوخية بالأرانب !

وتحذر الدراسة من كبت الدموع الذى يؤدى إلى أمراض عديدة كالربو والصداع والانهيار العصبى فالخوف والغضب والصدمات والأحزان تحدث تغييرات هامة في الجسم البشرى وتؤثر تأثيرا مباشرا على الجهاز الهضمى وترفع من ضغط الدم وضربات القلب ، لكن الدموع المكبوتة كثيرا ما تجد سبيلا إلى ظهورها عند أول فرحة ، فبعض علماء النفس لا يعترفون بدموع الفرح ويقولون إن الاحساس بالفرحة الصادقة لا يمكن أن ينتج عنها دموع ، وإنما دموع الفرح هى اختزانات الألم الكامنة ، فأم العروس هى التى تبكى ليلة زفاف ابنتها من لوعة ألم فراق ابنتها ، بينما أم العريس تبكى عادة نيابة عن ابنها الذى بلغت به الغفلة إلى حد أنه يضحك للمدعوين ولا يدرى حجم المصيبة الكبرى التى تنتظره .

● ● ●

ميلودراما .. !

من الصعب أن تطالب السينما أو التليفزيون بأن نشاهد في كل وقت إنتاجا دراميا على مستوى رفيع . ذلك إن مقياس الدراما الرفيعة هو خلوها تماما من طلقات الرصاص فتصبح متعة عقلية خالصة من التفكير العضلى . فالمسدس هو عضلات الانسان الحديث ، وكلما زاد استعمال المسدس في الدراما دل ذلك على رجاحة التفكير العضلى المتخلف على رجاحة العقل المتحضر .

إن المؤلف الذى يحل المشاكل بالرصاص يلجأ إلى أرخص الحلول وأسهلها ويدلل على أن التخلف العقلى عنده عاهة مستديمة تصور له القتل كسبب وجيه للرد على الرأى الآخر ، ومن المستحيل أن تجد مفكرا أصيلا يلجأ إلى استعمال الرصاص في الرواية إلا إذا كان مجرما .

ولأن المفكرين قلة نادرة ، فإن إنتاجهم لا يفى بحاجة التليفزيون النهمة إلى ملء ساعات الارسال ، ولذلك يضطر التليفزيون إلى التعامل مع مؤلفى المسلسلات رغم أن معظمهم لا يزال تحت العلاج أو في حالة نقاهة عقلية .

إن الدراما المكتملة التى تتسم بالعمق في تناول المشاكل هى أشبه بالبيت المتحضر الذى يسوده التفاهم العقلى الهادىء ، وحتى عندما تتأزم الأمور في مثل هذا البيت فلا تسمع أبدا صوت الرصاص لأن الزوجة تفضل قتل زوجها بالسم .

وفى الدراميات العالمية تجد تنوعا شائقا في الموضوعات بينما نجد أن الحب هو الموضوع الأساسى في رواياتنا باعتباره أهم حدث درامى في حياة الانسان ، وهو موضوع واحد لكنه يتكرر بأشكال مختلفة من رواية إلى أخرى ، فنحن مثلا يمكننا إنتاج فيلم عن قصة كفاح خاضها إنسان لكى يعلم نفسه ، فالتعليم أصبح مجانيا استفاد منه الجميع وتعلموا ما عدا مؤلفى المسلسلات .

والوظيفة أصبحت مضمونة بتعيينات القوى العاملة ، والعلاوة دورية للناجح والفاشل ، والفصل ممنوع فلا معنى أن نشاهد فيلما يصور عناء البحث عن عمل ، ثم التمسك بهذا العمل والحرص عليه وتقديسه كما رأينا في فيلم « العزيمة » القديم مثلا .

وهناك عامل آخر هو أن معظم المشاكل الحيوية التى يتولى الانسان حلها بنفسه في العالم كله أصبحت الدولة عندنا تتكفل بها ليبقى الانسان بعد ذلك متفرغا للحب وما ينتج عنه من آثار كالزواج والانجاب وتربية الأولاد والمعارك الزوجية وحيرة الزوجة في إخفاء جثة الزوج

ومع ذلك يمكننا ان نجد في موضوعات الحب والزواج وفق تطورات العصر ، فالرجل المعاصر يصبح بعد زواجه خبيرا في التقويم والفلك ، فلابد ان يكون كل مولود له من مواليد برج الميزان وفي اول اكتوبر بالذات لزوم القبول بالمدارس ، وهنا نجد مادة خصبة للدراما ، فتحكي القصة عن رجل اخطا في حساباته الفلكية فجاء الولد من مواليد برج الجدي اي في ديسمبر او يناير وطبعا لم تقبله المدارس فيصبح شابا منحرفا يروى ماساته ذلك الفيلم الميلودرامي او المسلسل المؤثر « شرخ في راس والدي » ـ يقتل فيه ذلك الابن المنحرف اباه وامه وخاله وعمه ومع الحلقة الأخيرة يكون المسلسل قد قتل جميع المشاهدين من القرف .

كذلك يمكن أن نشاهد مسلسلا يتزوج فيه الشاب بعد قصة حب عنيفة ثم يقرر الطبيب ان سيقان الزوجة ضعيفة جدا لا تحتمل الوقوف في طوابير المجمعات ، فيتمزق الرجل بين حبه لزوجته وخوفه من عاقبة عدم وقوفها في الطابور فينتحر الزوج ثم ينتهي المسلسل نهاية سعيدة فتكف الزوجة عن الوقوف في الطابور بعد زواجها من مدير المجمع المليونير .

● ● ●

يا هـذا .. !

جلست مع بعض اطفال الأسرة اجاملهم بمشاهدة برنامج الأطفال في التليفزيون ، فاتضح لي انهم الذين يجاملونني في الفرجة على هذه البلاهات ، إذ كانوا يتغامزون وانا اصطنع الضحك على ما يجرى فوق الشاشة من سذاجة وتخلف عقلي !

وزمان كان الجد إذا سال ابنه : إشى عدى البحر ولا اتبلش ؟ قال الولد : العجل في بطن امه ، والآن إذا قال نفس الجد لحفيده : إشى عدى البحر ولا اتبلش قال الحفيد على الفور : الطائرة . والفرق بين الردين هو نفس الفرق بين جيل مشرق يعايش عصر الليزر والروبوت وجيل غارب عن العصر عايش حواديت امنا الغولة والشاطر حسن ، وهو جيل لا يزال يقحم نفسه في تاليف البرامج التليفزيونية للاطفال او الكتب التربوية المقررة عليهم في المدارس .

وطفل العصر هو الذي تساءل مرة بدهشة : لماذا ترسمون امنا حواء بسرة في بطنها مع انها لم تولد من ام ولم يكن لها حبل سرى ؟ وهو الطفل الذي يجب ان يرتفع إلى مستواه برامج الأطفال والكتاب المدرسي والمدرس ، إذا تساءل الطفل : إذا كان الهدف من سقوط المطر هو ان تنبت لنا الارض القمح والفواكه والزهور فما هو الهدف من سقوط المطر فوق اسطح منازلنا ؟

بل إن مؤلفي كتب اللغة بالذات التي يدرسها أطفالنا دأبوا على سلوك مسلك عدواني تجاه لغتنا الجميلة بتعبئة مشاعر أولادنا ضد لغتهم بكتب سيئة العرض ثقيلة الظل ، والدنيا تتغير ولكن هذه الكتب المتكلسة لا تتغير ابدا . خذ مثلا ضرب زيد عمرا هذه الجملة لم تتغير منذ قرون ، شبع خلالها زيد ضربا في عمرو والأجداد واباؤنا الأوائل احيطوا علما جميعا بامر عمرو الذي ضربه زيد ، وسوف يظل زيد يضرب عمرا في كتب النحو إلى يوم الدين دون ان يفكر احد في تخليص عمرو من زيد . والنتيجة ـ على مستوى الوطن العربي ـ ان زيد لا يضرب إلا عمرا ولا يضرب « كوهين » ابدا

إن مشاهدة حلقة من مسلسل « تعلم الانجليزية » وما تحفل به من مواقف ضاحكة وجذابة تجعلنا نتحسر على لغتنا الجميلة التي تمثل شبحا يفزع اولادنا ، والمعلم نفسه معذور لانه أصبح اسير هذه المناهج المحنطة التي تحرض على كراهية اللغة ، وهو ان لم يكن تحريضا بسوء أسلوب العرض كان تحريضا بالتقعر ، ولكم عانيت انا شخصيا من الأستاذ الجهموشي مدرس اللغة العربية ، كان إذا خاطب احدنا قال : قل يالحاك الله ، وكنا نظن انه يتمنى ان يكبر كل منا ويكون له لحية ، ثم عرفنا انها شتيمة معناها قبحك الله . ثم استمر طويلا يناديني : يا هذا حتى انني بدات اصحح لابي وامي الخطا الذي يقعان فيه وان اسمي هذا وليس احمد ، وكان يقول لي انا محيار في أمرك يا هذا ، وكان هذا الذي هو انا يسائل نفسه ما معنى محيار ، ولماذا هو محيار وانا حمار ، ثم عرفت بعد سنين إن محيار تعني شدة الحيرة

وذات يوم جاءنا الأستاذ الجهموشي وقال في نبرة اسى ان يحيى افندي سكرتير المدرسة اختطفته ام قشعم او كما ينطقها : أم قشعمي ، واصابنا ذعر عظيم إذ اعتقدنا ان سكرتير المدرسة اختطفته امنا الغولة من على باب المدرسة ، وان امنا الغولة تكنى بهذا الاسم بعد ان انجبت قشعم ، ثم عرفنا فيما بعد ان ام قشعم هي المنية او الموت الذي يقصف عمر الانسان .

ثم بدا الأستاذ الجهموشي يقول لي : هل لديكم سحنجل يا هذا ؟ وهل نظرت إلى السحنجل فوجدت راس الحمار ؟ فكنت الح على ابي وامي ان يكون لدينا سحنجل حتى اجد راس حمار ؟ لكن المشكلة ان ابي لم يكن يعرف اين يباع هذا السحنجل واخيرا رايت راس الحمار عندما عرفت ان السحنجل هي المراة التي اقف امامها

● ● ●

مسلسل .. يلسل .. !

كما ان فى الإنسان غريزة حب القتال التى تدفعه إلى الزواج . ففيه ايضا غريزة حب الحواديت التى تدفعه إلى مشاهدة المسلسلات !

وحب سماع الحواديت من الغرائز التى تنشط عند الانسان فى الطفولة المبكرة ، إذ يستمع بشغف شديد إلى حواديت جدته التى تجعله فيما بعد يفطس من الضحك على سذاجة مسلسلات التليفزيون بالمقارنة إلى حواديت الجدة .

وفى قصة شهرزاد نرى كيف طفت غريزة حب الحواديت عند شهريار على رغبته فى الانتقام من شهرزاد التى تعتبر اول مؤلفة مسلسلات فى التاريخ . وفى الأساطير الغابرة ما يؤكد ان الحدوته وجدت منذ ان وجد الانسان . ويقال إن علماء الانثروبولوجى عثروا على بقايا هياكل عظمية مهشمة لنساء الانسان الأول . واتضح ان إنسان الكهف كان يقول لزوجته ، قولى لى حدوته وإن طلعت زى مسلسلات التليفزيون سوف اسحلك من شعرك .

وفى رايى ان كل إنسان يجب ان يتحمل وحده مسئولية مشاهدة هذه المسلسلات ما دام قد جلس امام التليفزيون بمحض اختياره دون إكراه ودون ان يخلع له احد اظافره او ينفخه . وليس من حقه بعدها ان يشكو من السلوك العدوانى الذى تعرض له ويصبح من المحتم عليه فى هذه الحالة ان يتقبل كافة الافكار الناجمة عن الاضطرابات العقلية لطائفة مؤلفى المسلسلات ، ووجب عليه ان يدرك تماما وهو يتابع الشخوص المتحركة امامه على الشاشة انه يتفرج على نزلاء معهد شواذ ، فهذا ممثل يصيح بلا سبب . وهذا يتشنج بلا مبرر ، وذاك يقطع الغرفة جيئة وذهابا ثم يتوقف محملقا فى الهواء قبل ان يرد تحية القاها عليه ممثل آخر من دقيقتين . والجميع لا يتحدثون - ككل البشر - وهم يقفون وجها لوجه ، بل يتخاطبون وكل منهم يعطى للآخر قفاه !

فإذا ارتضى إنسان ان يقتطع من وقته ليتفرج على هؤلاء وما يفعلون فباى حق يشكو بعد ذلك العدوان على عقله ؟ لست طبعا من انصار الديكتاتورية والقمع فاطالب بمنع المسلسلات لكنى احترم إرادة الانسان واختياره ، ولابد من إقناع المشاهدين من خلال حملة مكثفة يشترك فيها اطباء الصحة العقلية .

إن مسلسلات التليفزيون ليست بدعة حديثة . بل هى نشات فى المجتمعات الاولى عندما كانت الارواح الشريرة تتقمص إنسانا فيهذى بكلام فارغ وهم يحكمون وثاقه ويدونون الحكايات التى تقولها العفاريت على لسانه ، وهى حكايات بالغة الغرابة والشذوذ . ولا تزال المسلسلات العربية يظهر فيها رمز

لهذا الانسان الذى تتقمصه العفاريت . فنرى فى المسلسل رجلا فى دور ابله مجذوب ، يطوف الحى . ويطبل على صفيحة ويقول كلاما غامضا . واحيانا يخلو المسلسل من هذا المجذوب وكلامه الابله اكتفاء ببلاهة المؤلف .

ومهما قيل عن المسلسلات وسوءاتها . فقد لعبت هذه المسلسلات دورا هاما فى تقدم الطب العقلى فهناك مثلا مستعمرة فى الصحراء اقامتها جمعية رعاية مرضى الشذوذ العقلى . إذ تترك نزلاءها يؤلفون المسلسلات . وبدراسة هذه المسلسلات يصل الطبيب اللماح إلى مكمن الخلل فى عقل المريض . واكثر المسلسلات نكدا وغما هى تلك التى يكتبها مرضى يحملون عداء سافرا للمجتمع ويؤثرون الانسحاب منه مع إحساس قوى بالتشاؤم يدفعهم إلى إنهاء المسلسل عند الرقم الشؤم ١٣ . وميزة هذه المستعمرة التى اقامتها جمعية رعاية مرضى الشذوذ - العقلى انها تعتمد فى نفقاتها على الجهود الذاتية . فهى تبيع مسلسلات المرضى للتليفزيون .

وبفضل التقدم العلمى امكن وضع افكار المريض تحت السيطرة الطبية . فإذا انتابته حالة تاليف مسلسل اعطوه حقنة ، فينوتيازين ، المهدئة للهذيان وتاليف المسلسلات . وقد شفى بعضهم وتخلص من التفكير المختل والهلوسة وعاد إلى صداقة المجتمع وممارسة الحياة النافعة . غير ان المشكلة الحادة التى كانت تقابل كل من يبدا من هذا المرض هى حالة الندم الشديد التى تتسلط عليه لانه لم ينتفع بمجانية التعليم ولم يذهب فى حياته إلى مدرسة .

● ● ●

البحث عن حديث .. !

■ يبدو ان اداب المخاطبة والحوار تمر بازمة عالية كما ان فن الحديث قد اندثر . الناس اعصابها فوق الجلد فى الدنيا كلها والشتائم واللعنات على السنتهم .. خصوصا بعد مشاهدة برامج التليفزيون

بل لقد انعكست موجة الشتائم والبذاءات على الكتاب والمسرحية والفيلم ، وحتى فى الافلام الاجنبية نسمع بذاءات غربية يتجاهلها طبعا مترجم الفيلم . والمدهش حقا ان الشتائم اصبح لها علماء متخصصون وباحثون حتى ان استاذا فى ماديسون بامريكا عكف على وضع قاموس جمع الشتائم المتداولة بين شعوب الارض منذ بدء التاريخ : ولان الاستاذ رصع قاموسه بابشع الاحجار غير الكريمة فقد طردته جامعة ويسكونسن من هيئة التدريس . وتفرغ بذلك لاصدار مجلة تحفل صفحاتها بكل الوان السباب العالمى عرضا وتحليلا !

ويقول الباحثون ان انتشار الشتائم على السنة الانسان المعاصر هو تعبير عن ضغوط الحياة التى تؤدى الى الفشل والاحباط ..

والانسان فى شرقنا العربى يظل مهذب اللسان حتى يتعلم قيادة السيارات فتبدا غدته الشتائمية فى النشاط بالفاظ مهذبة نسبيا مثل حاسب يا حمار وحاسب يابهيم . وفى كل انحاء العالم يضطر الانسان الى ترويض غدته الشتائمية لتعمل فى السر وبدون صوت حرصا على مشاعر الطرف الآخر فى الحياة الزوجية .

واعتقد ان لغة الكلام تعطلت بين الناس لان التليفزيون اثر كثيرا على فن الحديث بين الافراد المجتمعين حوله حتى ان دولة مثل ايسلنده توقف الارسال التليفزيونى يوم الخميس كي يجتمع شمل الاسرة لتبادل الاحاديث والافكار البناءة . ولا شك ان يوم الخميس الايسلندى هو يوم العذاب للزوج الذى ادركته حالة الخرس المنزلى واصبح لا يقوى على الكلام داخل البيت . فامامه - يوم الخميس - مهمة رهيبة هى تحريك لسانه بالكلام مع زوجته .

ان التليفزيون هو السبب فى انهيار لغة الحوار المهذب . فهو يجتذب الاجيال الجديدة ولا يعطى فرصة لتنمية فن التخاطب . بل ان الانسان المعاصر اصبح يتعثر فى ايجاد مادة الحديث المناسب بعيدا عن التليفزيون واصبح ينقصه ركنا هاما اسمه : كيف ابدا حديثا مع انسان اراه لاول مرة ؟

انا شخصيا تعرضت لهذه التجربة خلال جلوسى بجوار شخص لا اعرفه تركنى معه مضيفنا . كان واضحا ان الرجل يتوقع منى ان [illegible] الحديث وانه قد اعفى نفسه من هذه المهمة العسيرة . هل احدثه فى السياسة ؟؟ اننى لا اعرف جنسيته ولا هويته السياسية . ثم اوضح انه من الشرق الاوسط . والحوار السياسى بين الشرق اوسطيين اصبح له سمات خاصة . اذ يتيح للانسان ان يعرف عن نفسه من الطرف الآخر صفات لم يكن يعرفها من قبل مثل انهزامى وخائن وعميل . وغالبا ما تنتهى المناقشة السياسية باطلاق احدى وعشرين طلقة تحية للطرف الآخر فى راسه .

ولكن من الجائز جدا - قلت لنفسى - الا يكون الرجل شرق اوسطيا اى متمتعا بكامل قواه العقلية . غير ان الحذر واجب ايضا وقررت ان ابدا حديثى معه بابتسامة . ففى يده ساعة ثمينة . ساساله عن الساعة ثم اقول له ان الساعة انيقة حقا . تذكرنى بتلك القصة التى سمعت البولنديين يروونها فى وارسو . وتروى ان الزعيم السوفيتى الراحل بريجنيف كان فى زيارة لبولندا . وفى رحلة العودة قال له نائبه : هل رايت الساعة الثمينة التى كانت فى يد الرئيس البولندى ؟؟ فقال له بريجنيف : لا .. وريني شكلها ايه ؟

فى اللحظة الاخيرة : عدلت عن هذا الحديث . فربما يكون الرجل ماركسيا .

ولا مصلحة لى عندئذ ان يتصور الرجل اننى يمينى رجعى متعفن وعميل للمخابرات المركزية .

هل أبدا حديثى معه عن الجو ؟

ان الحديث عن الجو حديث غبى ومستهلك ولو قلت له ان الجو بارد الليلة فمعنى ذلك انه رجل فاقد الحواس والادراك ولم يصل الى علمه امر ذلك الزمهرير الذى يوجع العظام . ولكن ما حيلتى والمحاذير كثيرة فى ايجاد حديث بديل ؟

بدات الحديث عن الجو وكان والحمد لله - بالمصادفة - حديثا ناجحا - اذ رحت اتكلم عن الجو الممطر العاصف والعن اكاذيب نشرة الارصاد الجوية . وبالصدفة ايضا اضفى حديثى جوا من البهجة على الحفل وارتفعت الضحكات من حولنا . فقد كان الرجل الذى احدثه رئيس هيئة الارصاد الجوية ..

● ● ●

الرؤيــة ..

لم يظهر فى اميركا كاتب اعلن انه سيعيد كتابة « العجوز والبحر » لهمنغواى برؤية جديدة للسينما ولا ظهر فى اوروبا كاتب يقول انه فرغ من اعادة كتابة « الجريمة والعقاب » برؤية عصريـة للتليفزيـون ولا سمعنا عن مؤلف باريسى اعد رواية الكاتب العالمى نجيب محفوظ « زقاق المدق » وسماها « زوكاك جابرييل »..

لكننا نفخر بان عندنا فنانين يبدعون هذا الفن الجديد فى الادب والموسيقى . ولازلت اذكر سيد شحتوت الذى زارنى مرة وقال انه يعد قنبلة فنية خطيرة . فهو سيغنى الجندول برؤية فنية جديدة

قلت له : فعلا . عبد الوهاب يقول قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فاين الهرمان .. لقد نسى عبدالوهاب هرم منقرع الثالث

قال لى شحتوت : عندك حق .. هذه ملحوظة هامة سوف اضعها فى الاعتبار بحذف هذا البيت من القصيدة . وعلى اى حال انا لا اقصد الشعر وانما مهمتى ان اغير البناء الموسيقى الذى وضعه عبدالوهاب لانه لم يعد يناسب العصر .

— تقصد توزيعا جديدا .

— لا . بناء موسيقى برؤية عصرية جديدة .

ووعدنى الموسيقار شحتوت بان يسمعنى قنبلة الموسم فى الاسبوع التالى

غير انى اسفت لان صاحب هذه الموهبة ذات الرؤية العصرية الجديدة لم يعد . واسفت اكثر ان عبدالوهاب - فى غياب شحتوت - سوف يظل يغنى الجندول متجاهلا حرم منقرع .

ولم اسمع شيئا بعد ذلك عن شحتوت رغم انى اواظب على قراءة صفحة الحوادث لمعرفة اخبار الشماتين .

ولم يمر شهر حتى زارنى شاب اسمه شهاب الدين قال انه جاء يناقشنى فى سبب الحملة على مؤلفى الدراما التليفزيونية . كما انه يريد ان يستانس برايى فى بعض الشئون الدرامية . وادركت انه مؤلف مسلسلات فقلت له : اننى لا اهاجم . ولكن اخذ على معظمهم انه لم يحاول ان يستفيد من مجانية التعليم

وقال شهاب الدين انه اعد قصة . انا كارنينا . لتولستوى برؤية جديدة وسماها . زعبوط عم عبده . غير ان هذا ليس هو المشروع الكبير . وانما مسرحية عطيل هى ما يشغل فكره الآن . فهو قد وضع لها رؤية جديدة تماما .

— وما هى هذه الرؤية ؟

— عطيل اسمعه عطا الله البحيرى وهو ملك سوق السمك وديدمونة اسمها دومة وهى امراة جميلة ولعبية . ولم يقتل عطيل ديدمونة بسبب غيرته عليها . بل ان دومة هى التى تقتل عطا الله ليخلو لها الجو مع عشيقها خليل ابو شقة .

— ولكن ديدمونة كانت بريئة وليس لها عشيق

— هذا جزء من رؤيتى الجديدة .. ودومة هى التى تخطط لقتله قبل ان يقتلها شان اية امراة معاصرة . فلقد انتهى عصر المراة التى يقتلها الرجل غيرة عليها بعد انقراض الرجل الحمش . لكن عندى فكرة اخرى . ليتنى اعرف رايك بشانها .

— ما هى ؟

— لا تقتله ولا يقتلها . بل يسبب لها عاهة مستديمة تشوهها فى نظر عشيقها خليل ابو شقة فيهجرها

— هذه فكرة افضل .. اقترح ان يلكمها عطيل لكمة قوية فى انفها تصبح بعدها ديدمونة . خنفة . ويشمئز من منظرها خليل ابو شفة وهو يرى انفها ايلا للسقوط . ثم . يجهز على انفها بالضربة القاضية بعد ان ضاق بها وهى تنادى اسمه بصوتها الأخنف : يا خنين ..

بعد فترة قرات عن تمثيلية سهرة اسمها . الخنفاء . ولا اعرف ان كانت اذيعت ام لا . لكنى لم اسمع عن شهاب الدين رغم مواظبتى على قراءة صفحة الحوادث لمعرفة اخبار الشماتين

● ● ●

الجــديد .. !

بعض الناس يلعنون الفيديو لانه اختراع خطر على اخلاق الشباب . ولا يرون من هذا الانجاز العلمى الا هذا الجانب القاتم !

وقد خلق الله يد الانسان . فبنت وارتفعت بالبناء وعمرت الدنيا . وابدعت . وكتبت . ونقلت . وعزفت الموسيقى . ووفق آراء اعداء الفيديو كاست فان هذه اليد تستحق قطعها لانها تقتل وتسرق وتسبب اذى عظيما مثل كتابة مسلسلات التليفزيون !

وفى القرون الوسطى شن رجال الدين حربا رهيبة عند ظهور الكتاب المطبوع . وقالوا انه سوف يلهى الناس عن العبادة . واشترك الامراء والاقطاعيون فى الحرب ضد الكتاب لانه سوف يصرف الناس عن العمل !

ولما انتشر الكتاب وادرك الناس قيمته . بدات حرب جديدة ضد ظهور الصحف لانها ستقتل الكتاب !

وعندما تم بناء برج القاهرة انتحر من فوقه شخص متزوج . فنادى البعض بهدم البرج . ودارت المناقشات تبحث هل الابراج وجدت قبل اختراع الانتحار ام ان الانتحار تم اختراعه قبل الابراج ام ان الابراج تحرض المتزوج على الخلاص من الحياة ؟؟

وبعد ظهور السينما وانتشار دور العرض ارتفعت الاصوات تلطم وتبكى وتعلن عن ظهور تلميذ العصر السينمائى الذى يقفز من سور المدرسة ليذهب الى حفلة الساعة العاشرة صباحا . فلما اصبحت الدراسة صباحية ومسائية نادى البعض باغلاق دور السينما حماية لتلميذ العصر السينمائى ؟

ولما ظهر التليفزيون قالوا ان الازواج اصيبوا بالخرس فى البيت بسبب الفرجة على التليفزيون مع ان الزوج مخروس دائما منذ ان كان يجلس مع زوجته فى كهف العصر الحجرى !

وتوالت الاتهامات للتليفزيون :

قيل انه يسبب العته والبلاهة للناس بمسلسلاته النكد . ثم اتضح ان الناس يحبون النكد بدليل انهم يتزوجون طواعية .

واذا امتد ارسال التليفزيون إلى ما بعد منتصف الليل قالوا ان الناس تسهر إلى ساعة متاخرة فلا تنهض للعمل بنشاط فى الصباح . واذا انهى ارساله مبكرا قالوا يا وقعة سودة على زيادة النسل .

ولما اخترع جراهام بل التليفون فى امريكا وانشئت شركة بل للتليفونات ، شنت الدعاية للاختراع الجديد حربا رهيبة ضد السكة الحديد فكانت الاعلانات تقول لا تسافروا بالقطار لزيارة اقاربكم تكلموا بالتليفون فهذا افضل كثيرا لأن السكة الحديد كلها حوادث .. تستطيع ان تسمع صوت ابنك فى نيويورك وانت داخل فراشك الدافئ فى سان فرانسسكو .. اليس هذا افضل من ان يصبح ابنك يتيما بعد ان ينقلب بك القطار ؟

واشتدت الحملات على القطار وترددت اشاعات واقاويل ، وتحدثوا عن القطار الذى خطف خمسة ركاب من مقصورتهم ودخل باكلهم فى النفق !

• • •

انسان التليفزيون ..

عندما تجلس أمام التليفزيون البريطانى تجد انتاجا فكريا متميزا تقدمه مجموعة تليفزيونيين على درجة عالية من الثقافة والقدرة على الاستمالة والوصول الى عقلك وقلبك ، الأمر الذى يدفعك الى المقارنة بالتليفزيون فى بلادنا بما فيه من فكر متواضع وساذج ، لكنك لن تلبث ان تكتشف ان المقارنة غير عادلة من جوانب متعددة خذ على سبيل المثال اصل الفكرة من وجود التليفزيون : ففى بريطانيا نجحت جمعية رعاية المسجونين فى مساعيها فادخلت التليفزيون الى السجون للترفيه والتثقيف ، بينما اعترضت جمعيات رعاية المساجين فى بلادنا على ادخال التليفزيون فى السجون لاعتباره عقوبه اضافية لم ينص عليها حكم المحكمة .

ثم لابد ان نتلمس العذر للمشرفين على التليفزيون فى بلادنا لانهم لا يملكون ادوات تحقيق النجاح المنشود فالقانون البريطانى مثلا ـ يعكس القانون عندنا ـ يشترط فى مؤلف الدراما معرفة القراءة والكتابة .

ومع ذلك فان التليفزيونيين عندنا معذورون ، اذ اعتقد ان اصعب سؤال تلقيته فى حياتى : لو كنت مسئولا عن التليفزيون ، فكيف تضع خريطة برامج تسعد بها كل الناس ؟

لقد فكرت طويلا فى هذا السؤال العسير ، وكان ينبغى الرد عليه ان احدد فئات المشاهدين الذين يتلقون البرامج .

انسان المسلسلات : وهو مشاهد مضطرب الذهن ويستسلم لكل ما يشاهده دون نقاش .. لقد عرضت التليفزيونات العربية ذات مرة حلقة من برنامج الكاميرا الخفية ظهرت فيه سيدة تمسك رجلا بسلسلة كلب وتكلف رجلا

اخر من المارة بالامساك بالسلسلة وتولى حراسته ريثما تدخل احدى المحلات ، هذا الرجل الذى قبل هذه المهمة يمثل تماما ، انسان المسلسلات ، فقد امسك بالسلسلة وابدى قبوله ان يتولى حراسة الرجل المربوط دون ان يناقش او يسال لماذا وكيف تربط زوجها بهذه السلسلة ؟ انه اعتاد ان يشاهد فى المسلسلات اشياء غير منطقية وغير طبيعية تحولت باعتياد مشاهدتها الى اشياء طبيعية فان ادمانه على المسلسلات دمر مراكز الادراك السليم بالمخ .

ثانيا ـ انسان كروى : وهو انسان كرة القدم عنده هى كل شىء حتى اصل الانسان ـ عنده ـ كرة طلع لها يدان وساقان ، وكل اسم يسمعه لابد ان يكون له مدلول كروى ، انه متقوقع فى عالم الكرة ، اذا سالته عن اميل زولا ظن انه سنتر هاف فرنسا ، وهاملت هو جول الدنمارك اما كابتن تولستوى فهو مدرب الفريق القومى .

ثالثا : انسان متقوقع فى الكتب ويعتبر الضحك من غير سبب قلة ادب ، اما الضحك بسبب فسطحية وضحالة ، تشده البرامج الترفيهية الجذابة مثل نظرية الشعر عهد ارسطو .

رابعا ـ انسان طفل تقدم اليه برامج الاطفال وتسعده هذه البرامج كثيرا لانه يضحك معها على بلاهة الكبار الذين وضعوها له .

خامسا ـ انسان عاقل وغير متخلف عقليا وهو انسان لا يفتح التليفزيون ابدا .

• • •

أكشن ..

زمان كانت الدراما الدينية عندنا شيئا فجا : فهى الأفقر فى الانتاج ، والاكثر سذاجة فى المعالجة ، والأشد تشنجا فى الاداء والأبعد تماما عن الاقناع !

وقد احتاج مخرج ذات مرة ان يصور هجوم الافيال فى الحرب التى شنها ابرهة القائد الحبشى للاستيلاء على الكعبة ، فلم يجد فيلا فى مصر كلها الا فيل حديقة الحيوان بالجيزة .

ورفضت ادارة الحديقة اخراج الفيل من الحديقة ، فاضطر المخرج الى بناء ديكور الكعبة فى الحديقة وكان المشهد يقتضى ان يهجم الفيل على الكعبة ، وقبل ان يبلغها يتوقف فجاة ـ امام قدسية المكان ـ دون ان يكمل هجمته ، وقال حارس الفيل انه يستطيع ان يجعل الفيل يجرى نحو الكعبة لكنه

لا يستطيع ان يوقفه الا اذا القى له بقرش - كما تعود من متفرجي الحديقة - فيلتقط الفيل القرش ثم يضرب سلاما بالزلومة شكرا على القرش . ولما كان مشهد الفيل سوف يتكرر كانه حشد من الافيال تهاجم الكعبة . فقد ظهرت الافيال حول الكعبة تضرب سلاما بالزلومة شكرا على القرش !

وقد تطورت الدراما الدينية الى مسلسلات ذات الوان وابهار . ولكنها ظلت تكتفى بالمراجعة الموضوعية للنص دون المراجعة العلمية الدقيقة الخاصة بالازياء والديكور وطابع العصر الذى تدور فيه الاحداث فخلطوا الثوب الرجالى الاغريقى « الايونى » بالزى الرومانى . وامتزج الديكور البيزنطى باليونانى ، ورأينا الاميرة الوثنية تظهر باخر تسريحة باريسية ، ورأينا امبراطور الوثنيين يلبس تاجا مصنوعا فى خان الخليلى ومن نفس المحل الذى يورد فوانيس رمضان . ولو سلطت الكاميرا فوق راس الملك لاكتشفت مكان الشمعة داخل التاج !

وعندما كتبت مرة عن ممثل ظهر فى احدى الحلقات الدينية وهو يلبس فى معصمه ساعة زينيت ، شكا المخرج لطوب الارض اننى رجل مفترى اتجنى على الحقائق ، وان الممثل لم يكن يلبس ساعة زينيت بل ساعة روليكس !

وعموما فان الدراما عندنا لا تعرف المراجعة العلمية الدقيقة وهو ما تحرص عليه شركات الانتاج الكبرى فى العالم المتحضر . وقد كان قدماء السينمائيين المصريين يصيبون بطل الفيلم بالعمى . وفى آخر خمسة امتار من الفيلم تحدث النهاية السعيدة فيصطدم راس البطل بشجرة وعندئذ يستعيد ابصاره فورا . وقد احدثت هذه الشجرة انقلابا هائلا فى طب العيون السينمائى . فمع التقدم العلمى تطورت هذه الشجرة الى شاكوش فى يد شرير الفيلم يضرب به البطل الكفيف فى راسه فيعود اليه الابصار فى العين اليمنى ثم يضربه شاكوش شمال فيبصر بعينه اليسرى . وكان هناك مشروع فيلم يضرب فيه الشرير البطل الكفيف بالشاكوش فى راسه فيعود اليه ابصار العين اليسرى ، ثم يهرب الشرير . ويظل البطل يبحث عنه طوال الفيلم الى ان يعثر عليه . فيتوسل الى الشرير لكى يضربه شاكوشا اخر فى راسه ليعيد اليه ابصار العين اليمنى . غير ان هذا الفيلم لم ير النور بسبب اختفاء المخرج ، اذ كانوا فى ذلك الزمان الغابر يقبضون على الهاربين من فصول محو الامية ..

● ● ●

المقص المعجزة .. !

اكتمل المشروع الذى اعددته لانشاء الشركة واصبح جاهزا للعرض على السيد الوزير . اعددت قائمة بالاسماء المقترحة للشركة : شركة النصر لصناعة المقصات (نصريكو) . الشركة العامة لصناعة المقص (مقاصيصكو) . الشركة العامة للتجارة والمقصات (مقصتكس)

كذلك اعددت قائمة بالاسماء المقترحة لماركة المقص : مقص نصر . مقص القاهرة . مقص الظافر . مقص الحرية . مقص التحرير . المقص الاشتراكى .

لفت السيد نائب الوزير نظرى الى اننا ننفرد بميزة من بلاد العالم اجمع بطول اسماء الشركات عندنا . وان السيد الوزير يرى ان طول اسم الشركة يوحى باهمية وتعدد انتاجها . ثم اضاف قائلا : فمثلا .. مع ان اسم الشركة العامة لمنتجات النشا والخميرة هو اسم طويل . فقد كان من راى السيد الوزير ان يطول الاسم اكثر الى : الشركة العامة لمنتجات النشا والخميرة البيرة وغيرها من الخميرة .

بناء عليه . اقترحت اسما جديدا للشركة يكشف اهمية وتعدد انتاجها هو : شركة النصر لصناعة مقصات الخياطة ومقصات الحلاقة ومقصات اظافر اليدين والقدمين (مقصتكس)

ولكن السيد نائب الوزير راى ان هذا الاسم قصير . فاستقر الراى على ان يكون اسم الشركة : شركة النصر لانتاج الفلزات القاطعة والقواطع الحديدية المحورية والتوريدات المعدنية (فلزوتيكا) .

كما استقر الراى على ان يكون اسم ماركة المقص : مقص الشعب .

المصنع جاهز للتشغيل . بلغت التكاليف مليونين و٨٠٠ الف جنيه .

بناء على الدراسة التى كلفت بها المدير المالى . قال المدير المالى ان المصنع سيوفر سنويا ٣ آلاف جنيه استرلينى تدفعها الدولة فى استيراد المقصات .

ابلغت نائب الوزير ان المصنع سيوفر سنويا ٧٥ الف جنيه استرلينى .

قال نائب الوزير للسيد الوزير امامى ان المصنع سيوفر سنويا ١٥٠ الف جنيه استرلينى .

ادلى السيد الوزير بتصريح قال فيه ان المصنع سيوفر سنويا نصف مليون جنيه استرلينى

المصنع لم يبدأ تشغيله بعد ولكن الذى بدأ هو الحملة الاعلانية المكثفة فى الصحافة والتليفزيون والسينما عن مقص الشعب . ظهر مع كل اعلان الشعار الجديد الذى رفعناه « مقص لكل مواطن » سعدت جدا والمذيعة تقرأ هذا الاعلان الذى كتبته بنفسى : ان شركة النصر لانتاج الفلزات القاطعة والقواطع الحديدية المحورية والتوريدات المعدنية « فلزوتيكا » يسرها ان ترسى أسس الحياة الكريمة للمواطنين ، فإن الحياة الكريمة لا يمكن ان تتحقق إلا بتوفير مقص لكل مواطن .

أعجبنى اعلان آخر يكشف عن دور شركتنا فى حفظ القيم الأخلاقية ، إذ سيظهر مشهد فاضح لرجل وامرأة بينما المذيع يقول : هذا المنظر الخليع قصه الرقيب بمقص الشعب .

المشاورات تجرى : هل نجعل اولوية حجز المقص للعملة الصعبة ؟



هذه يوميات من كراسة قديمة لرئيس مجلس إدارة زمان

ظهرت بوادر انتاج المصنع . مفاجأة غريبة ، المقص بانواعه الثلاثة - خياطة وحلاقة واظافر - مسدود الأذنين بحيث لا يمكن أن ينفذ اليها الأصابع للامساك به واستعماله . قال الفنيون ان هذا العيب بسيط جدا ويمكن تلافيه

المحاولات تجرى لعلاج أذنى المقص كما تبين أن هناك عيبا بسيطا آخر وهو أن المقص - بانواعه الثلاثة - لا يقطع القماش ولا الشعر ولا الأظافر ، بل يكتفى بمضغها بين طرفيه ، ونظرا لانسداد أذنيه أمسكت بالمقص بكلتا يدى كمقص النجيل وحاولت قص ورقة فلوسكاب فمضغها .

مفاجأة غريبة جدا . جاءنى المدير التجارى ومعه ٧٠ الف مقص مكتوب عليها انها مصنوع فى شيفيلد ببريطانيا . واكد المدير التجارى انها تسربت من مخازن الشركة بمعرفة تجار البضائع المهربة الذين ازالوا ماركتنا وكتبوا عليها بالانجليزية ليوهموا الناس انها مستوردة . قلت له : ولكن مقصنا ودانه مسدودة . قال : خرموها يا افندم . قلت له . ومقصنا يلضغ ولا يقطع . قال فى دهشة : ما تفهمش يا افندم عملوا فيه ايه خلوه زى المشرط .

وافقت على رأى المدير التجارى بإزالة الماركة الأجنبية المزيفة وإعادة ماركتنا الى هذه المقصات وارسال عينة منها الى السيد الوزير .

تلقيت تهانى السيد الوزير بجودة انتاجنا الذى يضارع أرقى المستويات العالمية . وكانت هذه التهنئة حافزا عظيما للفنيين لمضاعفة الجهد فى معرفة السبب أن مكن المصنع لايزال يخرج المقص بودان مسدودة .

طرحنا فى السوق كمية المقصات التى ازال تجار البضائع المهربة ماركتنا من عليها ليبيعوها كمقصات مستوردة .

انجح اعلان تليفزيونى وسينمائى ظهر حتى الآن : شاب يجرى باقصى سرعته وسط حركة المرور . يستوقفه صديق ويسأله لماذا يجرى هكذا . فيرد الشاب رايح اقص بمقص الشعب . ثم رجل يركب سيارته ويدير محركها باستعجال بالغ ولا تلحق به زوجته التى يقول لها : رايح اقص بمقص الشعب . طبيب يترك بطن المريض مفتوحة فجاة ويجرى خارجا يردد : رايح أقص بمقص الشعب . ثم يتحول الاعلان الى جموع من الناس تجرى فى الشوارع ، فى الميادين ، فى الحقول وهم ينشدون : رايحين نقص نقص نقص .. رايحين نقص بمقص الشعب ، وينتهى الاعلان برجل يحاول اللحاق بقطار اطل كل ركابه من النوافذ يغنون مخاطبين الرجل : رايحين نقص نقص نقص .. يا عينى عليك مش جاى تقص ، وينهار الرجل بعد ابتعاد القطار ويقرر الانتحار لانه مش رايح يقص ، لكن فرحة الدنيا تعود اليه عندما يقدمون اليه مقص الشعب وهو يغنى : دلوقت اقدر اقص

هذا الاعلان الذى ملا دور السينما ويذاع فى التليفزيون كل نصف ساعة حفظه الصغار والكبار وهكذا اصبح لمقص الشعب مكانة قومية عظيمة

ابدى السيد الوزير رغبته فى أن نصدر مقص الشعب الى الخارج نظرا لارتفاع مستواه فطلبت من سيادته مهلة للتشاور مع الفنيين فى الشركة . سألنى السيد الوزير عن الأرباح المتوقعة للشركة هذا العام . قدرتها بنصف مليون جنيه . كان السيد الوزير سعيدا وهو يهدى كبار زائريه مقصا من مقصاتنا التى زيفها تجار البضائع المستوردة الضلالية فازلنا كتابتهم المزيفة واعدنا كتابة ماركتنا عليها

فى اجتماعى اليوم برجال الشركة . قالوا ان طاقة المصنع الحالية لا تسمح بتحقيق رغبة السيد الوزير فى التصدير . أكد لى الفنيون ان انتاجنا فى تحسن مستمر وان المكن الآن يخرج المقص بودن واحدة مسدودة وقريبا جدا سيزيلون انسداد الودن الثانية . وان تجارب تحويل المقص من مقص ماضغ الى مقص قاطع تبشر بالخير .

ضبط المدير التجارى كميات اخرى من مقصاتنا التى ازال تجار البضائع المهربة ماركتنا من عليها وعملوها مقصات انجليزى . قال لى المدير التجارى ان مديرى التسويق فى الشركات التى تنتج وتتجر فى المواد الاستهلاكية قد حفيت اقدامهم للاجتماع به ، فهم يريدون أن يروجوا سلعهم ببيع مقصنا الشعبى المحبوب مع سلعهم . فمن يشترى خمسة امتار كستور مثلا لابد ان يشترى معها مقص الشعب . وعلى تاجر التجزئة ان يشترى

كمية مقصات تناسب عدد أمتار أثواب الأقمشة الشعبية التي يتسلمها . والله هذه فكرة صائبة . فلابد أن نعاون الشركات الاستهلاكية في ترويج سلعها .

ماذا جرى لأخلاق الناس ؟ الصحف مليئة بأخبار الحوادث. مواطن اشترى ١٢ متر دبلان لأسرته ورفض أن يشترى معها مقصين بثلاثة جنيهات . أمسك بالمقص ذى الأذن المسدودة وسأل البائع : يتقص به ازاى ده ؟ افهمه البائع أن يمسك بالمقص بكلتا يديه ، فما خلق الله اليد اليسرى إلا لتعاون اليمنى . رفض المواطن فامتنع البائع من اعطائه الدبلان . مواطنة رفضت أن تشترى مقص اظافر مع زجاجة مانيكير من احدى الصيدليات . سألت عن ثمن المقص ، ٤٠ قرشا نظرت لفردتي المقص المفكوكتين وبدأت تناقش الصيدلى فانهى المناقشة بأنه تسلم المقص مفكوكا ويمكنها أن تربطه في البيت وتخرم ودنه الثانية . حدثت مشادة اتهمت خلالها الصيدلى انه لص فشد الباروكة من على راسها وطوح بها في الشارع ثم سكب مادة حارقة على صلعتها . راكب اتوبيس رفض أن يتسلم باقي التذكرة مقص اظافر . معركة . ماذا جرى لأخلاق الناس ؟ اللهم لطفك .

الحمد لله المصنع لا يلاحق طلبات السوق ، ورغم هذا النجاح فقد كتب بعض الصحفيين المغرضين يندد بهذا الانتاج الردىء ويتهم الشركة باللصوصية وامتصاص دم الشعب .

أصدرنا بيانا نددنا فيه بالمخربين الذين يريدون هدم القطاع العام وتقويض صناعة وطنية اثبتت تفوقها على مثيلاتها العالمية . عززنا هذا البيان بفيلم سينمائي تليفزيوني للمعرض الذى اقمناه وافتتحه السيد الوزير وشاهد فيه انتاجنا من المقصات التى زيفها تجار البضائع المهربة وأعدنا كتابة ماركتنا عليها .

وهكذا خرس الصحفى المغرض وخصوصا ان الرقابة حذفت مقاله الذى اراد ان يرد فيه علينا بافتراءاته .

المكن يعاني بعض العيوب البسيطة التى نتج عنها سد ودن المقص مرة أخرى كما أن المكن أصبح لا ينتج إلا فردة المقص الشمال فقط ففكرنا أن نصنع للمقص فردتين شمال ونعطى المسمار للمستهلك يربط به الفردتين ويتصرف كما يشاء . ثم استشرنا المختصين في الدولة التى اشترينا منها المصنع فقالوا لابد من نقل المصنع الى بلادهم لفحصه وإصلاحه وإعادته على حسابنا لأن المصنع من الاسرار الصناعية الكبرى لدولتهم . ومعنى هذا التعطيل خسارة محققة للشركة وانتهت المشكلة باقتراح للمدير التجارى الذى قال ان المواطنين الذين شجعوا انتاجنا ويقبلون عليه لن يضيرهم أن نبيع لهم المقص فردة واحدة شمال وودنها مسدودة .

قدمنا الميزانية الى السيد الوزير وأدلى سيادته الى الصحف والاذاعة والتليفزيون والريكوردر والبيك أب بتصريح قال فيه انه يفخر بأن الشركة قد حققت ربحا قدره ثلاثة ارباع مليون جنيه كما فازت بكأس الانتاج . ومنذ سبعة اشهر ونحن نبيع المقص فردة واحدة شمال دون أن ترتفع شكوى او يكتب صحفى موتور . صحيح أن هناك رقابة على الصحف . ولكن ليس هذا هو السبب في خرس الأقلام الموتورة والمخربة . السبب هو تشجيع الناس وحبها لمقص الشعب الذى يرددون له مع أغاني الاعلانات : لعب وجد وجد ولعب .. يا حلاوتك يا مقص الشعب .



التدابير لله ..

بدأ المنصب الوزارى بوزير ، فاضى ، طول الوقت مهمته أن يقول له الملك دبرني يا وزير فيرد الوزير قائلا التدابير لله يا ملك . ثم يسكت بعدها هارشا ذقنه في انتظار رأى الملك الذى طلب منه الرأى !

وكان الوزير يقبض مرتبه الشهرى مقابل هذه العبارة : التدابير لله يا ملك . أما في الدول القديمة الفقيرة التى كان يظهر فيها قوس قزح ـ لشدة فقرها ـ أبيض وأسود . فقد كانوا يمنحون الوزير ـ فوق مرتبه ـ بدل تمثيل لقول التدابير لله يا ملك . وبدل ملبس يلبسه أمام الملك ليقول التدابير لله يا ملك . وبدل انتقال لينتقل الى الملك ويقول التدابير لله يا ملك . وكان يركب نوعا نادرا وفاخرا من الحمير اسمه حمارسيدس .

وجاء العباسيون فاستحدثوا لأول مرة نظام الوزير الذى يرأس الجهاز الادارى للدولة . ولما كان البرامكة وزراء لهم الرأى والتنفيذ . فقد عصف بهم هارون الرشيد ليثبت أن عين العقل هو أن يقول الوزير ـ ردا على دبرنى يا وزير ـ التدابير لله يا ملك .

وجاءت العصور الحديثة فامتلأ وقت الوزير في الدول النامية واصبح مشغولا بالتصريحات المتوالية التى يدلى بها الى الصحافة والتليفزيون والاذاعة والكاسيت والفيديو والجرامفون . فإذا سئل الرأى عند صاحب الرأى قال التدابير لله يا ملك .

إن الممثلين زمان كانوا ينفردون بالنجومية لانفرادهم بشاشة السينما . اما اليوم فإن شاشة التليفزيون الملون تتيح فرصة النجومية لغير الممثلين .

فتسطع النجومية أكثر كلما زاد الظهور على الشاشة . وزيادة الظهور على الشاشة مرهونة بزيادة التصريحات . لهذا تجددت التصريحات وتنوعت . وغلب الابداع عليها . مثال ذلك ما صرح به بعضهم من انه أعد مشروعا لتدفئة البحر شتاء حتى لا يقتصر موسم الاستحمام في البحر على شهور الصيف .

والتصريحات غريزة في الانسان . يحب قولها ويحب سماعها ايضا . فإذا غلب عليه حب قولها فهو سيصبح وزيرا . وإذا غلب عليه حب سماعها فهو سيصبح مواطنا الى الأبد .

والحقيقة اننا نبدأ حياتنا بأول تصريح فولكلورى نسمعه ونحن في لفة الطفولة والكافولة . إذ تقول الأم ننه نام ننه نام وادبح لك جوزين حمام . هذا اول وعد معسول كاذب نسمعه صغارا ويتعذر تحقيقه طبعا بالنسبة لوليد لم تنبت أسنانه بعد لمضغ جوزين الحمام . ثم نستمرىء بعد ذلك سماع التصريحات لأنها تداعب عندنا الأماني والتطلعات . فيصرح الأب لولده قائلا سوف أشترى لك ساعة إذا فعلت كذا . وسوف أشترى لك آلة تصوير إذا حدث كيت ويفعل الولد كذا ويحدث كيت ولا تتحقق التصريحات

ثم يشتد عودنا ونكتشف ان التصريحات ضرورة من ضرورات الحب والغرام . ولذلك نجدها منتشرة في اغاني المحبين . حيث يصرح عاشق غنائي بقوله ابنى لك قصر عالى واخطف نجم الليالى . وآخر يقول امشى لك سبع شهور واعدى لك سبع بحور . ثم يتزوج الانسان ويصبح محترف تصريحات لزوجته خصوصا عندما يقول لها باحبك

ويكبر الانسان مركزا ومكانة ويدخل في مرحلة جديدة من التصريحات للصحافة والاذاعة والتليفزيون وقد صار وزيرا . ولا شك أن هذا العصر التليفزيوني يعد العصر الذهبى للتصريحات وسوف يخلدون هذا العصر بعمل شطرنج بالبطارية لا يتحرك فيه الوزير من مربع الى مربع إلا إذا قال تصريحا .



فلسفة بيروقراطس

من أحلى القصص الكوميدية التى حدثت في الواقع البيروقراطى وغابت عن السينما والتليفزيون أن موظفا بمديرية الصحة بإحدى المحافظات تم تكليفه بتسليم تسعة مرضى الى مستشفى الأمراض العقلية بالقاهرة . ولما كان هذا الموظف لديه مناسبة عائلية في نفس اليوم لابد من حضورها . فقد عهد بالمهمة وديا الى سائق الميكروباس الذى كان سيصحبه مع المجانين التسعة . وسلمه كشفا بأسمائهم ليوقع عليه موظف المستشفى باستلامهم . وفي الطريق نزل السائق يشرب الشاى وعاد ليجد أن المرضى هربوا من السيارة . فلم يكترث . بل أكمل رحلته الى القاهرة . وفي موقف احمد حلمى راح ينادى : نفر بلبيس .. نفر بلبيس . فلما اكتمل العدد الى تسعة تحرك الميكروباس ثم استأذنهم السائق في مشوار صغير لمستشفى العباسية . وفي فناء المستشفى هبط السائق وتوجه الى الموظف المختص وهمس في اذنه بأنهم من المجانين الخطرين . وانه عانى منهم الاهوال ولولا ستر ربنا لقتلوه في الطريق

وانقض زبانية المستشفى على المواطنين التسعة الذين حاولوا ان يثبتوا عبثا - لأمد طال - انهم عقلاء ! فمادامت الخانات في الدفاتر مسددة . والدفاتر تقول انهم مجانين . فهم مجانين ولا يعلى على كلام الدفتر الحكومى !

حتى وجود الانسان على قيد الحياة مرتبط بالأوراق التى تثبت ذلك . فإذا اختفت هذه الأوراق كان هذا الانسان في عداد الموتى رسميا دون أن يتوفاه الله . مثال ذلك أن مستحق المعاش عليه ان يقدم اقرار سنويا بانه على قيد الحياة . فإذا ذهب بلحمه ودمه ليثبت انه حى فهذا لا ينهض دليلا على انه حى ولابد من الورقة والاقرار !

وغباوة البيروقراطية لا تقتصر على بلد دون آخر فهي تنتشر في الدنيا كلها

في ايطاليا مثلا : على مستحق المعاش ان يقدم اقرارين كل شهر - لا كل سنة - واحد انه على قيد الحياة والثانى ان صفته كمستحق للمعاش لم تتغير . وقد ذهب عجوز ايطالى ليقبض معاش ابريل ومايو ويونيو فلم يقبض إلا معاش يونيو . إذ طالبوه بان يثبت انه كان على قيد الحياة في ابريل ومايو ليصرف معاش الشهرين !

وفي بريطانيا تشترط بلدية المدينة التقدم بقائمة النباتات والزهور التى ستزين النوافذ . ووقع الموظف المختص بالموافقة على طلب المواطن كتب انه سوف يزرع في النوافذ « سولانم مليونجينا » و« فيكس سيارموس » اسمان علميان للباذنجان والجميز !

وفى امريكا دخل خبير ادارى احد مكاتب الحكومة الفيدرالية فى واشنطن وسال الموظفين الثلاثة بالمكتب سؤالا واحدا : ما هو عملك هنا ؟

ورد كل موظف قائلا : لا اعمل شيئا . فكتب خبير الادارة فى تقريره : تشابه اختصاصات ويكفي موظف واحد للقيام بهذا العمل !

وفى احدى ادارات الانتاج الحربي بواشنطن جلس اثنان من العاملين فى مكان واحد يعملان شهورا طويلة دون أن يتبادلا غير التحيات .. ولاحظ احدهما ان زميله ينصرف فى الساعة الرابعة بينما يظل هو يعمل الى ما بعد الساعة الرابعة ؟؟ فقال الآخر : عندما تقع فى يدى أوراق تحتاج الى عمل مرهق ودقيق فإننى أكتب عليها : تحال الى الكابتن اندرسون للتصرف . فلا يعيدها لى ابدا الكابتن اندرسون .

وحملق الرجل فى زميله ليساله الآخر : اراك مندهشا . فرد عليه قائلا : هذا طبيعي .. فانا الكابتن اندرسون !

● ● ●

أولاد العــز .. !

قال لى : شىء يدعو للفخر ان يصل المصرى القديم الى هذه القدرة المذهلة فى حفظ الطعام آلاف السنين باكتشاف قوالب الزبدة الفرعونية ومن قبلها . الجبنة . البيضاء وبها بكتيريا صالحة للتخمير .. انه اعجاز علمي بكل المقاييس كان يجب أن تهتم به أجهزة الاعلام اهتماما خاصا لتعرف الدنيا من نحن ومن نكون . ومن نحن ومن نكون حقا ؟؟

نحن اولاد الناس الطيبين خوفو وتحتمس واحمس واخناتون ورمسيس . لكن هناك من يدعي اننا احفاد متخلفون وأن سبب تخلفنا هو تفاخرنا المستمر بالأجداد والاهرام والكرنك وقوالب الزبدة .

لا تلق بالا لهؤلاء يا صاحبي . لعلهم حاقدون

هناك ايضا من يقول اننا ـ الاحفاد ـ نلبس ياقة منشاة مهترئة وثيابا بالية عليها آثار العز القديم ونقدم انفسنا الى المجتمع الدولى باننا من اكبر عيلة فى التاريخ . لا تلق بالا ايضا ان كان ردهم علينا : طظ .

فنحن من عالم حديث لا يعترف باولاد الذوات من العائلات العريقة كما انه عالم يستنكر أن يعيش الانسان على سمعة قديمة . ولكن اطمئن . فنحن الاحفاد لا نقل عظمة عن الاجداد . فإذا كانوا قد استطاعوا حفظ قوالب الزبدة من الوف السنين . فما حاجتى انا الحفيد الى ذلك فى عصر ديب فريزر ايديال وهو فى متناول كل الحاجزين بالدور او بالوساطة ؟ وإذا كان الوزير امحوتب رائد الفن

المعمارى ومصمم هرم سقارة اعتبرته الحضارة الاغريقية فوق البشر لعبقريته وعبدوه بالفعل الها للطب والسحر والفلك فنحن الأحفاد ايضا عندنا الوزير العبقرى الذى تعبدوه حضارة بنى همبكة وتقيم له الطقوس وتحرق البخور

وإذا عيرك احد بان نسبة الأمية بلغت ٧٠ ٪ بين احفاد قدماء المصريين اول من اخترعوا الكتابة فى التاريخ . فرد قائلا باننا ايضا ابتدعنا كتابة تصويرية كالهيروغليفية . فالهلال معناه الحزب الوطنى والنخلة معناها الوفد . والنجمة معناها حزب العمل . والمفتاح معناه حزب الأحرار وإذا قيل لك ان الأجداد قد برعوا فى علم التحنيط الذى لايزال سرا كيميائيا مستغلقا . ففاخر قد نجحنا ايضا فى صنع المومياات او الانسان المحنط (ادخل مصلحة حكومية وانظر الى الجالسين على المكاتب) وإذا كان الفراعنة روادا فى اكتشاف الامراض وعلاجها . فإن طب الاحفاد لايزال سباقا ايضا الى اكتشاف كل جديد . آخرها ذلك المرض الذى يصيب الانسان بالاسهال مع العطش الشديد والمغص وصعوبة البلع واصفرار الوجه وزيغ العينين . عقب تناول زيت التموين

ولا تجعلهم يشككونك فى نسبك

بالتاكيد نحن ابناء قدماء المصريين .. فمن المؤكد انهم لم يعثروا علينا على باب جامع

نحن اولاد الناس . ونحن من اعرق الأسر فى البشرية . اولاد الذوات . وعن وجه الشبه بيننا وبين ابائنا الاوائل فهو قوى جدا . امشى فى القرية والمدينة وسوف تجد كل الوجوه صورة طبق الاصل من سنفرو ونفتاو ونخت وسى تى وتى تى . ولا تبالغ فى الاختلافات .

الاختلاف الوحيد بيننا وبينهم هو فى مسالة الوقت فنحن مثلا نرى ان التانى واجب وهم كانوا فى عجلة من امرهم يحرصون على الوقت بطريقة مزعجة . فلم يعرفوا المسلسلات ولا اللب ولا اغانى عدوية . وحتى زيهم الفرعونى الشهير الذى يكشف الجزء العلوى من الجسم روعى فيه ـ مع بساطته وملائمته للجو ـ اختصار الوقت فى لبسه وخلعه .. بل هو اسرع زى للبس إذا قورن بما نرتديه نحن فى ريفنا . البنش والصديرى . فالبنش فيه على الاقل عشرة ازرار قطان . والصديرى خمسة عشر زرا . ويتطلب تزرير وفك الاثنين خمس دقائق فى المتوسط يوميا صباحا ومساء اى ٣٠ ساعة فى السنة . اى يحتاج الانسان كل خمس سنوات الى ستة ايام للتزرير وفك الأزرار (غير العطلات الرسمية والاجازات) وكان المصرى القديم يعرف ان القفا العارى يسبب المشاكل إذا امتدت الى هذا القفا يد غريبة . الامر الذى سوف يضيع الوقت فى الخناق . فكان غطاء الراس الفرعونى ذو الخطوط العريضة يغطى القفا . بينما البنش بلا ياقة كما ان اللاسة لا تغطى القفى الامر الذى جعل اقفيتنا هى ابرز ما يظهر منا بوضوح

شديد وهو امر غير مستحب بل ان اهتمام المصرى بالوقت بلغ مداه فاصبح صاحب أول اختراع في التاريخ لقياس الزمن . المزاول او الساعة الشمسية .
ويقول ديورانت في مؤلفه قصة الحضارة ان المصرى القديم قدم خدمة لا تنسى الى الانسانية بابتداعه أول وأدق تقويم سنوى في العالم اخذه عنه الرومان ثم صار الأصل لكل تقويم . وبفضل اختراعات ابائنا اصبح في يد كل منا ساعة نعرف بها وقت التوقيع للانصراف من العمل .. وعلى كل حائط نتيجة نعرف بها موعد القبض اول الشهر . وموعد الاجازات والعطلات . كذلك كان المصرى القديم يحدد مكان النوم في الفراش فقط ولم يكن يعرف ان لبدنه عليه حقا وان الانسان يمكن ان ينام في اى مكان . وان يرفع شعار مطرح ما يجي في عيني النوم انام وانا مرتاح البال وما كان معيبا بالامس صار مباحا اليوم وهو النوم في الممنوع والوقوف في الممنوع والسير في الممنوع . وإذا كنا لا نعمل فلعل ذلك يقنعك باننا فعلا أولاد ذوات وأولاد الذوات لا يعملون فقد شقى آباؤنا من اجل راحتنا وتركوا لنا ريعا سنويا من الأهرامات والكرنك وتوت عنخ امون .

● ● ●

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

.. دكتوراه في درجة الملوحة

● فكرت فيما يفعله الكثيرون هذه الايام وهو ان اغيب شهرين في أوروبا وامريكا ثم اعود وقد سبق اسمى لقب الدكتور . وإذا سئلت عن موضوع رسالة الدكتوراه فيمكن ان اقول إنها عن الأخطاء المطبعية في العصر الأموى ورغم ان المطبعة في العصر الأموى لم تكن قد اخترعت بعد إلا ان احدا لن يعير ذلك اهمية وسوف يظل اسمى مسبوقا بلقب دكتور .

ثم عدلت عن الفكرة لما رأيت ان لقب دكتور قد انتشر هنا وهناك . فهذا رجل في فرقة موسيقية عاد من أوروبا يحمل درجة دكتوراه في التزمير . وهذا طباخ في احد الفنادق عاد ومعه دكتوراه في دق الكفتة . ولن تتعجب كثيرا في القريب للافتة تحمل اسم عالم جليل حصل على دكتوراه في درجة ملوحة النباتات - بائع طرشى .

ولقد تسلل إلينا ادعياء الدكترة من إيطاليا بالذات لان كل من يحصل على شهادة تعليم عال او متوسط فهو « دوتورى » اما من يحصل على درجة الدكتوراه في إيطاليا فلقبه البروفيسور .

ويبدو ان هذا اللقب العلمى « دكتور » سوف يلحق بلقب « افندى » الذى كان يعد من اكبر وافخم الألقاب في القرن الماضى . فكانوا ينادون السلطان العثمانى افندم أى مولانا والخديوى افندينا . ثم ما لبث ان أصبح لقب افندى من الألقاب الترسو في القرن العشرين . ذلك ان هناك ألقابا تفقد سحرها مع الزمان او المكان . فقد كان الصدر الاعظم مثلا هو لقب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية ثم أصبح الصدر الاعظم لقب جين راسل في هوليوود .

وفي الاندلس كان ارفع الألقاب - بعد الخليفة - هو لقب الحاجب اى رئيس الوزراء - ودارت الايام ليصبح الحاجب هو منادى المتهمين والشهود في المحكمة وسبحان مغير الاحوال .

ويعتبر « وزير » من الألقاب السياسية الرفيعة لكنه غير معروف في الولايات المتحدة . فالوزير هناك اسمه سكرتير . وهو لقب لا يغرى احدا منا بان يشتغل وزيرا هناك . كذلك يختلف لقب وزير في اسبانيا وإيطاليا عن باقى العالم . ففى اسبانيا يطلقون لقب وزير على عسكرى الشرطة . وفي إيطاليا يطلق لقب وزير على مساعد عشماوى الذى يقوم بتنفيذ احكام الاعدام !

ويبدو اننا مجانين بالالقاب في كل مجال ، وبعد وفاة عبد الحليم حافظ مثلا ظهر مطرب أطلق على نفسه لقب العندليب الابيض وانه خليفة العندليب الاسمر ، ولقد تحول هذا العندليب الابيض إلى عندليب أزرق بسبب الكدمات وضرب الناس له ثم اختفى من الحياة الفنية إلى الابد

والظاهر أن الفنانين العالميين لايحترمون انفسهم كفاية ، فهذا ، فرانك سيناترا ، لا يطلق على نفسه كروان المسيسيبي ، ولم تقل ، دونا سمر ، انها بلبل الكابيتول ، ولم نسمع أن خوليو هو أمير الغناء الاسباني بل ولا نرى في صناع التراث الانساني لقبا يقترن باسم واحد منهم ابتداء من شكسبير إلى فيكتور هيجو إلى تشيكوف وجوركي وزولا .. فالالقاب عندنا فقط حتى ولو كان الاسم شامخا بذاته على الزمان : امير الشعراء احمد شوقي ، شاعر النيل حافظ إبراهيم ، شاعر القطرين خليل مطران ، رب السيف والقلم محمود سامي البارودي ، أستاذ الجيل لطفي السيد .. مع أن التاريخ يحفظ الأسماء دائما بلا القاب عندما تستحق هذه الأسماء أن يحفظها التاريخ . لكننا في بلاد يظل فيها اسم الانسان محاطا بالالقاب حتى بعد أن يلفظ انفاسه ، وليس أدل على ذلك من زوج يعيش عمره مذعورا كالأرنب في بيت الزوجية ثم تشيعه الزوجة في يومه الاخير بالقاب فخيمة مثل « ياسبعي يا جملي » !

• • •

القرار ..

في المدرسة الثانوية كنت شديد الانبهار بنابليون بونابرت ، ومن اجل نابليون دخلت الجمعية التاريخية لاتعمق في دراسته ، ومن أجله ايضا شاهدت كل فيلم سينمائي يروي قصة حياته او جانبا منها ، ومن فرط عشق نابليون لجوزيفين بوهارنيه ، تمنيت أن تكون الفتاة التي احبها اسمها جوزيفين وقد تحققت الامنية فالتقيت في بلاج جليم بفتاة اسمها جوزيفين ، لها ملامح ملفتة للنظر ، إذ كانت تشبه إسماعيل ياسين ، وتختلف عنه في أن إسماعيل ياسين كان من غير شنب

أصبحت أيضا اقلد نابليون وهو يفكر ، إذ كان يذرع المكان جيئة وذهابا وهو يعقد يديه خلف ظهره ، وقد فهمت واقتنعت أن هذه الحركة تساعد على التفكير ، ثم لما كبرت عرفت أن نابليون كان يصنع اخطر القرارات اثناء هذه الحركة ، والذي يقرا تاريخ عظماء البشرية يجد أن كلا منهم كان له أسلوبه في صنع القرار ، كان امرؤ القيس - الملك الضليل - هو أول من رفع شعار ، اليوم خمر وغدا امر ،

وكثيرون مثله كانوا ينغمسون في اللهو قبل اتخاذ القرار ، وبعضهم كانوا يعتزلون الناس وحتى المستشارين للوصول إلى القرار المناسب

والبعض الثالث كان يلغي مواعيده ليجتمع بالمنجمين قبل القرار ، ومنهم من كان يتفاءل ببدلة معينة يرتديها ويعتقد انها سوف تجعله يتخذ القرار الصحيح ، وآخر يتمشى طويلا حتى يصل إلى درجة الصفاء الذهني ومنهم من كان يجلس في مقعد مريح مسترخيا حتى يقع فيما يسمى بغيبوبة الالهام ، ومن هنا ترددت تعبيرات الزعيم الملهم والقائد الملهم ، ويقال إن احد المحيطين بليونيد بريجينيف ظل يرقب لساعات طويلة - وباعجاب شديد - الزعيم السوفيتي وهو في غيبوبة استلهام القرار .

ثم تبين أن بريجينيف ميت من أربع وعشرين ساعة ، ولهذا اذيع خبر وفاته بعد اربع وعشرين ساعة وكان بريجينيف أحسن حظا من ستالين الذي يقال إنهم اذاعوا خبر وفاته بعد اربعين ساعة لانهم كانوا ينتظرون الاذن من ستالين نفسه لاعلان خبر الوفاة !

إن اتخاذ القرار امر خطير وعسير حقا إذا كنت نابليون او غورباتشوف او تشرشل او ريغان فهنا انت أمام قرار يتعلق بمصير ملايين البشر ، لكن الحمد لله مرتان ، مرة لاننا لسنا من زعماء البشرية ، ومرة لان الظروف ترفع عنا عبء اتخاذ القرار ، إذ انه حق للزوجة ولنا نحن حق الموافقة او حق الامتعاض .

وفي الدول المتقدمة الآن دخل الكمبيوتر المسرح ليلعب دوره في مساعدة القادة على اتخاذ القرار ، ويقال في ذلك عن إحدى البلاد الأوروبية ان رئيسها يلجأ دائما إلى الكمبيوتر لاختيار الوزراء ، وفي كل وزارة جديدة كان الكمبيوتر يشير باختيار السيد جيرالد فيليب وزيرا للتقنية ثم تبين أن السيد جيرالد فيليب هو مصمم هذا الكمبيوتر !



القديم .. والجديد .. !

في امتحانات هذا العام تفتق ذهن ممتحن عبقري عن وضع سؤال لتلاميذ صغار يقول : ما هو مذكر دنيا ؟

وكتب تلميذ ردا ذكيا اثبت فيه أن أسلوب تفكير الجيل الجديد يتفوق بمراحل على واضعي الأسئلة فقال : بإيجاز : الدنيا ليس لها زوج نعرف اسمه !

واذكر انني تلقيت من تلميذ بالصف الثالث الابتدائي رسالة يقول فيها : والدي يهوى اغاني الاستاذ عبد الوهاب وقد سمعته يقول في اغنية الجندول قلت والنشوة تسري في لساني هاجت الذكرى فاين الهرمان ، ولأن الاهرامات عندنا ثلاثة خوفو وخفرع ومنقرع ... فاين ذهب هرم منقرع ؟

وكتبت للتلميذ اللماح : لقد عكفت يا ولدي على إعادة قراءة قصيدة الجندول وانتهيت إلى ان الشاعر في هذه القصيدة يصور عاشقا يتذكر هرما واحدا هو الهرم الاكبر ـ خوفو ـ الذي يجلس تحت سفحه ، وقد تذكر ذلك وهو نشوان تسري النشوة في لسانه ، اي شرب شيئا اصفر يجعل الانسان ينظر إلى الشيء الواحد فيراه اثنين وهكذا نظر إلى هرم خوفو من خلال خياله فوجده هرمين وعندئذ تساءل : اين الهرمان . فإذا قبلت هذا التفسير يا ولدي فإني اشكرك وإذا لم تقبله فليس عندي تفسير اخر خصوصا ان هرم منقرع لم يسرق بعد ضمن الآثار المنهوبة كل يوم !

والواقع ان الصغار لهم لمحات تدل باستمرار على ان الأجيال الجديدة اكثر تفتحا وتطورا ، مثلما حدث بصدد ذلك السؤال الذي طرحوه على الصغار في الرياضيات وجاء فيه : امامك قطعة لحم : قسمها إلى نصفين ثم نصف النصفين ثم نصف نصف النصف ... إلى آخره .

وكتب تلميذ : نصف ـ ربع ـ ثمن ـ ١ / ١٦ ، وظل يتدرج التلميذ في كتابة القسمة ثم كتب والآن لا يمكن قسمة قطعة اللحم اصغر من ذلك بعد ان اصبحت همبورجر !

وردا على سؤال : اذكر شهرا به ٢٨ يوما ؟ قال معظم التلاميذ : كل الشهور بها ٢٨ يوما !

وردا على سؤال ماذا قال يوليوس قيصر عندما طعنه بروتس ، كتب تلميذ : قال متوجعا اي اي !

وسؤال : اذكر خمسة اشياء تحتوي على اللبن ، وكان رد تلميذ : الزبد والجبن والايس كريم .. وبقرتان !

وردا على مسألة حسابية عن ام لديها اربع حبات بطاطس وخمسة اطفال

وتريد ان توزعها بالتساوي على الأطفال الخمسة . فكتب تلميذ يقول : تطبخها مهروسة .

وفي سؤال عن نتائج اكتشاف القطب الشمالي قال التلميذ : النتائج ان دروس الجغرافيا اصبحت اكثر سخفا .

وفي سؤال يقول : اذكر اختراعا لم يكن موجودا من ١٥ سنة .

كتب تلميذ : انا !

وفي سؤال : ماذا تفعل إذا كنت مليونيرا ، ترك تلميذ ورقة الاجابة بيضاء قائلا : هذا ما افعله !

وفي مدرسة امريكية نظر احد المراقبين إلى ورقة إجابة تلميذ على سؤال يقول : من هو اول رجل في الدنيا ، ووجد ان رد التلميذ : إنه العظيم واشنطون ، فنبهه المراقب إلى ان اول رجل هو ادم وهنا قال التلميذ : الآن فهمت .. السؤال يتكلم عن الرجال الأجانب !

وفي امتحان الاخلاقيات قال سؤال : أعطاك رجل مائة دولار لكي تحفظها له ثم مات فماذا تفعل ؟ فكتب الولد : أصلي من اجل ان اعثر على رجل اخر مثله !

وفي سؤال اخر للاخلاقيات : هل تسامح إنسانا اساء إليك ؟

وكان الرد : اسامحه طبعا إذا كان اكبر واقوى مني .

وجاء في سؤال مطلوب إكماله : لويس الرابع عشر كان مسؤلا عن ..

فكتب التلميذ : كان مسئولا عن لويس الخامس عشر

وجاء في احد الأسئلة : ادخل كلمة « يحلل » في جملة مفيدة ، ولما كانت الكلمة فوق مستوى الأولاد فقد كتب احدهم يقول : طلب منا المعلم ان نبحث عن معنى « نحلل » في القاموس !

اما عن انتقام الصغار من الكبار في المجال التربوي فتروي قصة ان مدرسا نبه على التلاميذ بألا ينطقوا الكلمة إلا إذا عدوا في سرهم من واحد لمائة ، حتى يكون الجواب صحيحا ، وفوجيء المدرس ذات يوم بالفصل يعد بصوت عال : واحد .. اثنين .. وعندما بلغوا المائة صاحوا : حريقة .. حريقة ـ وكانت النار قد امسكت بالمدرس من الخلف !

• • •

الماس والفاصوليا

بعض الناس لا يكفون عن النق والحسد وهم يتساءلون لماذا تتقاضى الراقصة فى ليلة واحدة ما يتقاضاه مفكر فى سنوات ؟

وقبل الرد على هذا السؤال يحسن بنا ان نقول إن الدنيا أرزاق وإننا لو تاملنا مصادر الرزق فسوف نجد ان بعض المهنيين يكسبون رزقهم من علل المجتمع . فالمحامى يرتزق من الجريمة ، والمعلم يرتزق من الجهل ، والطبيب يرتزق من المرض . كذلك هناك من يختار مهنة كئيبة يتم إنجازها وسط الاحزان والدموع كالحانوتى ومؤلف المسلسلات .

وكل مهنة او حرفة لها وسيلة اداء تختلف عن الاخرى . فالمطرب مثلا يؤدى الغناء بحنجرته وكلما تفرد صوته بجمال خاص ارتفع ثمن هذا الصوت . فحنجرة عبد الوهاب مثلا حنجرة نادرة ينطبق عليها قانون الندرة فى علم الاقتصاد . وهو القانون الذى يفسر لنا لماذا الماس اغلى من الفاصوليا . فهناك حنجرة ماسية وهناك ايضا مئات المطربين من اصحاب الحناجر الفاصوليا .

كذلك ينطبق قانون الندرة على مهن اخرى غير مالوفة مثل مهنة الخواجة تانتالوس وهو رجل يونانى كان له انف كبير وعظيم يبتلع نصف وجهه . وكان هذا الانف هو راسماله . إذ كان يستخدمه فى مهنته ، كخرمنجى ، فى شركة سجاير . والخرمنجى هو الذى يجرب خلطة التبغ التى تتكون منها خلطة السيجارة . وكان تانتالوس شديد الاعتزاز بانفه لدرجة انه رفض ان يصوره فى تحقيق صحفى باعتبار ان انفه من الاسرار التى لا يجوز الكشف عنها . ولست ادرى الصلة بين ضخامة انفه وحساسيتها . لكن ذلك الانف يوحى إليك بان ام تانتالوس ولدته كله فى ساعة زمن وولدت انفه وحده فى يومين

وفى عالم الفن يؤدى الممثل بصوته وملامح وجهه . وإن كان بعض مخرجى المسلسلات يجعل الممثل يتكلم وقفاه إلينا معتمدا على الانفعالات التى تظهر فوق القفا .

والملاحظ ان كل صاحب مهنة يستثمر جزءا من تكوينه الجسمانى فى ادائها . فلاعب الكرة يستثمر قدمه . والفنان التشكيلى يستثمر يديه . وعازف الة النفخ يستثمر فمه . فإذا اتينا إلى الراقصة وجدناها تؤدى مهنتها بالساقين والقدمين والكتفين والصدر والوسط والأرداف والرقبة . ولابد من حركة الحاجبين واحد طالع وواحد نازل ، وحركة الشفتين لزوم الدلال . وغمزة العينين لزوم الإغراء .

حتى الشعر المنسدل على الكتفين يؤدى دوره ع الخدود يهفهف ويرجع يطير يعنى كل اعضاء الجسم تؤدى الرقصة . الأمر الذى ينفرد به الرقص الشرقى عن اى مهنة اخرى ولهذا استحق الأجر العظيم لانه يتطلب جهدا من اعضاء الجسم جميعا لا يستطيع ان يؤديه اعظم اعلام الفكر . فقد ثبت مثلا ان مفكرا عظيما كارسطو كتب كتابه ، الكون والفساد ، وهو يستعمل ذهنه فقط . ولذلك استحق اجر تفكيره الذهنى فقط . ولم يثبت انه كتب نظرية الدراما وهو يهز وسطه ، ولم يقم دليل على انه كتب ، الاورغانون ، على واحدة ونص .

وما استحق اجرا عظيما من لم يتقصع وهز الصدر والأرداف .

• • •

الأزمة والحل ..

عندما سالتنى الصحفية الأمريكية عن الرقم القياسى لتوزيع اكثر الكتب مبيعا ارتفعت حواجبها من الدهشة ثلاثة امتار وانا اقول لها : ٢٠ الف نسخة . وهنا اسرعت اصحح الكذبة بكذبة اكبر فقلت لها ضاحكا : ٢٠ الف نسخة فى اليوم طبعا .. هاهاها .. !

ولم اقل لها ان الكتاب - المصدر الأصيل للثقافة - اصبح عزيز المنال من الناحية المادية خصوصا بالنسبة للشباب . ولابد من دعمه كرغيف العيش . وصحيح ان هناك كتبا مدعومة تصدر عن هيئات حكومية . لكن المشكلة ان الكتب المدعومة غير قابلة للقراءة . والكتب المقروءة غير قابلة للدعم !

وفى رايى ان افضل اسلوب عملى لخفض تكاليف الكتاب هو ان تدخل الإعلانات التجارية إلى صفحاته ففى سبيل رخص سعر الكتاب يجب على القارىء ان يتحلى بضبط النفس عندما يقلب الصفحة فيجد مربعا فى اعلى الصفحة مكتوب فيه : شركة فتكاتفون تقدم إنتاجها الجديد ، رايح فين يا مسليني ، للمطربة الكبيرة فتكات رمش العين .

وماساة الكتاب ليست فقط فى سعره المرتفع الذى اصبح فوق الاحتمال . بل هو فى محنة حقيقية من صد الناس له . فالكتاب فيما مضى كان فارس زمانه الاوحد ، لا ينافسه فى مصادر الثقافة الاخرى إلا المسرح . ثم جاءت الاذاعة ثم ظهرت فى البيت مصادر ثقافية جديدة مثل ستيف اوستن والرجل الاخضر .

لقد اصبح من العسير توصيل فكر توفيق الحكيم مثلا او زكى نجيب محمود إلا عن طريق مقاول مسلسلات وقد شاهدنا فى التليفزيون كيف ان مسرحيات

الحكيم التى تم « سلسلتها » أو « إعدادها تليفزيونيا » نجحت في إقناعنا بشيء واحد هو أن توفيق الحكيم ساقط إعدادية

وقد أصبح مألوفا أن يسأل رجل صديقه : هل قرأت كتاب دليل المرأة الذكية لبرنارد شو - فيرد الآخر لا والله .. ننتظر لما يعملوه مسلسلة .

من هنا وجب علينا ابتكار وسائل جديدة للترغيب في شراء الكتاب كان يكتب على غلاف كتاب للدكتور مصطفى محمود : أطلب مع الكتاب الملحق الخاص بحل فوازير رمضان . وأن يكتب على غلاف كتاب لعبد الرحمن الشرقاوى : بالداخل صورة بالألوان للاعب الكرة المحبوب عبده العضاض .

وبهذا الأسلوب يمكن أن يتحقق الاقبال على الكتاب وأن يتجنب نوبات الحسرة أو نوبات الضحك على المستوى الثقافى لقطاع كبير من الجيل الجديد .

ففى امتحان شهدته لقبول مذيعين جدد . كان هناك سؤال عن الملكة الأشورية سميراميس : ماذا تعرف عن الشخصية التى كان يحمل اسمها فندق سميراميس ؟ فقال واحد أن سميراميس مليونير يونانى . وقال آخر أنها أميرة من أسرة محمد على وقال ثالث أن سميراميس هو الاسم الثنائى لصاحب الفندق قبل التأميم فهو اسمه سمير وأبوه اسمه أميس !

وعن الزعيم عمر مكرم قال أحدهم انه حانوتى مشهور بميدان التحرير بالقاهرة . وفى امتحان أصوات غنى جامعى - خريج زراعة - أغنية كليوباترا لعبد الوهاب فقال : كلما غرد كأس شربوا الخمرة لحمة . فلما روجع وقيل له شربوا الخمرة لحنا ، أصر على أن يغنيها شربوا الخمرة لحمة ، وقال إن عبد الوهاب يغنيها لحمة ، فلما سأله أحدهم ساخرا : وهل هذه اللحمة ضانى أم بقرى أم بتللو لبانى ؟ ضحك معتذرا بأنه لا يريد أن يغنى فيما لا يعرفه ولكن مادام الأمر يتعلق بالملكة كليوباترا فلابد أن تكون اللحمة خروف أوزى مع رز بالخلطة !



تكنولوجيا .. !

تتقدم التكنولوجيا فى الغرب تقدما مذهلا تصعب ملاحقته ، كما تفرز هذه التكنولوجيا ألوانا جديدة من المخترعات تكشف عن أن إنسان الغرب قد دخل عصر مشاكل الرفاهية . وأصبحت التكنولوجيا تستهدف توفير وقته وجهده العضلى ، فلا أستبعد مثلا أن يخترعوا جهازا لطرقعة الأصابع حتى لا يبذل الانسان مجهودا خاصة أن الانسان لا يطرقع أصابعه إلا عند الراحة والاسترخاء . ولو كان الأمريكيون يسلمون باليد مثلنا لكانوا قد اخترعوا من زمان سلامة - بتشديد اللام - يتم تركيبها فى الذراع لتقوم أوتوماتيكيا بالمصافحة ، وهى بالقطع كانت ستكون ذات فائدة عظيمة للمرشحين فى الانتخابات ، لاستخدامها فى السلام على الناخبين ، ويستطيع المرشح بزر خاص أن يرفع درجة اهتزاز الآلة حتى تصافح الناس بحرارة وشوق ، مع تزويد الآلة بشريط ناطق يصلح لمختلف المناسبات مثل : أهلا يا حبيبى .. أنا فاكر مشكلتك .. أهلا يا حبيبى .. مشكلتك قدام الوزير ، أهلا يا حبيبى (ثم صوت خافت) الفلوس جاهزة .

وسوف تغمر الأسواق آلات وأجهزة عجيبة ، منها جهاز الكترونى فى حجم ساعة اليد يمر به المضيف على بعض ضيوفه الذين يدعوهم لأول مرة فيتحرك مؤشر ليكشف عن أن هذا الضيف ثقيل الظل وأن - موجات كهربية غليظة تصدر من جسمه ، فلا يدعوه إلى بيته ثانية فيفسد سهراته .

وبفضل الأجهزة الالكترونية وغيرها اكتشف الانسان المعاصر تلوث البيئة فالذى لاشك فيه أن الهواء ملوث منذ الأزل قبل اختراع السيارة والطائرة فهو بحكم تكوينه ملىء بغازات سامة كالأرجون مثلا ثم أن جداتنا كن يخبزن العيش فى فرن البيت ويطهون الطعام على الكانون ويستنشقن ناتج الاحتراق أول أكسيد الكربون السام والقطران ، ثم أن جدتى كانت تتنفس مع جدى فى المساء نفس الغاز والقطران من لمبة الجاز ، وهى سموم شديدة التركيز عندما تتعذر التهوية فى ليالى الشتاء . وصحيح أن - الحضارات الغابرة لم يكن فيها « شكمان » سيارة ، ولكن كان فيها ما هو مشابه لعادم السيارة ، فحتى يوليوس قيصر بجلالة قدره كان يستنشق دخان المشاعل فى قاعات القصور وغرف النوم : كربون وقطران .

وكانت كليوباترا تلتقى بمارك انطونيو على ضى القناديل ، ولو كان عند كليوباترا جهاز من عصر التكنولوجيا الذى نعيشه لأفسد عليها طبيبها الخاص جلستها مع انطونيو بأن يتقدم إليها قائلا : صاحبة الجلالة .. كربون القناديل وصل إلى حد التشبع ، اقترح مواصلة القبلات على شاطىء البحر . أما بعد

زواج كليوباترا من انطونيو . فمن المؤكد أن عبارة طبيبها الخاص السابقة كانت ستتغير إلى : صاحبة الجلالة .. كربون القناديل وصل إلى حد التشبع .. اقترح مواصلة الخناق على شاطىء البحر .

لقد اصبحت التكنولوجيا تفسر كل شىء بالاجهزة لو ان جهاز قياس الضوضاء سجل رقما قياسيا فليس معنى ذلك أن فى المنطقة وابور طحين شغال . بل معناه ان مطربا يغنى فى شارع الهرم ولو جلس مجموعة من الناس يضحكون فليس معنى ذلك انهم فى حالة سرور ، بل معناه زيادة غاز اكسيد النتروز المثير للضحك من حولهم كما أشار بذلك جهاز قياس الغازات . وإذا تقوس ظهر رجل وذبلت عيناه وذهلت نظراته فمعنى ذلك أنه تعرض لجرعة إشعاعية زائدة وليس معناه ـ كما كان مفهوما ـ انه زوج مزمن .

• • •

نجمك فى السماء

ينشر المتجمون والفلكيون تنبؤاتهم فى مطلع كل عام ليتهافت الناس عليها استطلاعا للغيب وكذب المنجمون ولو صدقوا !

واعترف اننى قد شهدت بنفسى صدق بعض تلك التنبؤات ، إذ مر بمكتبى منذ اعوام فلكى معروف وكان فى زيارتى صديق عزيز نصحه الفلكى أن يحترس من حادث اليم عند دخول عطارد فى برج الحوت .

وبعيدا عن الصديق الذى سوف يصاب بالنكبة الموعودة عند دخول عطارد فى برج الحوت ، قال لى الفلكى المعروف : صديقك سوف ينتحر .

ودخل عطارد فى برج الحوت وصدق الفلكى ووقع الحادث الأليم . فقد تزوج الصديق العزيز او انتحر بالقاء نفسه فى بيت الزوجية .

وفى إحدى الكتيبات التى يصدرها الفلكيون فى مطلع كل عام قرات تحت اسمى وصورتى : مناسبة تسعد بها كثيرا فى شهر مارس ، ورحلة سعيدة فى شهر يوليو ، ومال وفير فى شهر اكتوبر .

وفعلا احتفلنا بالمناسبة السعيدة فى شهر مارس ، وقمنا بالرحلة الميمونة فى شهر يوليو . ثم جاء شهر اكتوبر وانتهى دون أن تمطر السماء اى مال وفير وبينما انا قد نسيت الموضوع تماما ، بدأت نظرات الشك والتساؤل الصامت من جانب زوجتى التى اتصلت بالفلكى المعروف دون ان ـ اعرف ليؤكد لها ان هذا المال

الوفير لابد أن يكون قد وصلنى فعلا من ميراث عظيم . ونصحت زوجتى الا تصدق المنجمين والافلام العربية التى نرى فيها البطل قد اكتشف فجأة ان له عما فى البرازيل مات بالسكتة القلبية دون وريث وترك له ملايين الدولارات من المملكة الواسعة التى كان يديرها بوصفه ملك البسطرمة .

وذات عام آخر تنبا لى فلكى معروف بان يوم ٢٩ يونيه هو اسعد يوم فى السنة واننى سوف احلق فى سماء لم احلق فيها من قبل ، وصدق الفلكى والشهادة لله ففى ٢٩ يونيه من ذلك العام كنت أحلق فى السماء داخل طائرة تتأهب للسقوط فى المحيط الأطلنطى .

وفى اوروبا وامريكا ـ من إطلالة القرن الواحد وعشرين رجال أعمال يتخذون لهم مستشارين فلكيين ، ومجلات متخصصة فى التنجيم تحقق أرقاما خرافية فى التوزيع ، وفى المانيا الغربية فلكيون ينافسون نجوم السينما فى الشهرة ويتردد عليهم ـ وفق الاحصاءات ـ ١٧ مليون المانى من كافة الطبقات .

ومن قديم الزمن والحكام يستعينون بالفلكيين لقراءة الطالع . فليس بدعة إذن ما رددته الأنباء من ان الرئيس الامريكي ريجان يتخذ مستشارين فلكيين للاستعانة بهم خصوصا فى معرفة نوايا الزعيم السوفيتى جورباتشوف ومن المؤكد ان المخابرات المركزية سعت إلى معرفة اسم والدة الزعيم السوفيتى حتى يسهل على المنجمين قراءة طالع جورباتشوف ابن كورباقوتشا .

وهتلر نفسه كان يستعين بطابور من الفلكيين لقراءة الطالع . وعن ميل هتلر للغيبيات قيل إنه كلف بعض المنجمين بمعرفة أسهل الطرق لغزو بريطانيا . فقالوا له : إنها عصا موسى التى تشق بحر المانش ويصبح الطريق إلى بريطانيا سهلا . لكن هتلر ثار عندما همس فى اذنه رئيس الجستابو ان عصا موسى موجودة فى المتحف البريطانى !

وفلكيو الحكام يختلفون عن الفلكيين الآخرين بانهم يقولون للحاكم ما يتمناه فى شكل نبوءات . وهم فى ذلك لا يختلفون عن محررى باب البخت فى الصحف . ففى الخمسينات مثلا كنت اتولى تحرير باب البخت دون ان اعرف برج الجدى من برج المعزة ولا برج العقرب من برج الخنفس . فقد كانت تعليمات على امين الذى ادخل باب البخت فى الصحف العربية ـ هو ان تشرح صدر القارىء مع الصباح بالتفاؤل والامل مثلا : تطورات عاطفية تسعدك ـ مشكلة مزمنة تنتهى لصالحك .. فكل الكلام ينبغي ان يكون حلوا وجميلا ولا علاقة له بدخول زحل فى برج القوس ولا مغادرة المشترى لبرج الحوت . لكن هذا لم يمنع من اننا كنا نستغل باب البخت لأهداف إنسانية ونحن شباب صغار كان نكتب لمن نتوجه للسلف منه شخص يطلب مساعدتك المالية فلا ترده خائبا لأنك سوف تحتاج إليه فى مازق قريب .

وفي مرة أخرى كان هناك زميل سيتوجه لخطبة فتاة تعرف بها حديثا وطلب ان اكتب في برجها ما يجعله مقبولا عندها فكتبت تحت برجها : شخص يعرض عليك ارتباطا يمتد طول العمر - ارفضي فورا لأنه نصاب وثار الزميل . وقاطعني ، ومضت الأيام . فعرف قلبه التسامح وجاء يعانقني بحرارة . وشرح لي سبب غفرانه . فالفتاة التي كان سيتزوجها ضربت زوجها بشمعدان شج راسه عليه رحمة الله .

● ● ●

صباح الخير أيها الشر .. !

يسالوننا دائما - نحن الصحفيين - لماذا لا تنشرون إلا الأخبار المفزعة ؟

يا جماعة الخير ، الأصل في الإنسان فعل الخير أما الشر فهو الاستثناء من القاعدة بدليل أن الانسان يحتاج إلى مقدرة خاصة لارتكابه ، ولهذا حظي ممثلو ادوار الشر بنجاح جماهيري عريض . محمود المليجي مثلا وفريد شوقي بنى كل منهما اسمه بفضل أدوار الشر . والشرير العالمي « جي ار » بطل مسلسل دالاس أصبح معبود الجماهير بعد أن تجسدت فيه المقدرة الخارقة على اتيان السفالات بكل انواعها . فالناس تتقزز من أعماله ولكن قدراته في السفالة تبهرهم وتذهلهم .

إن الاحتيال مثلا يحتاج إلى مقدرة خاصة ، وكذلك السرقة والاختلاس والقتل والأذى وتاليف المسلسلات .

والشر خبر لأنه يعلن عن نفسه ، فالزوجة السعيدة لا تقول إنها سعيدة خوفا من العين والحسد ، والزوجة التعيسة يسمعها الشارع كله لأنها ترقع بالصوت ، والحب بين الاثنين يتم في همس والشجار بين اثنين لابد له من زعيق .

ولو كان الأصل في الانسان فعل الشر بينما الخير معاقب عليه لأصبح الخير في هذه الحالة خبرا صحفيا يستحق النشر ولقرانا مثلا هذه العناوين في صفحة الحوادث : ضبط رجل يسهر سهرة عائلية بريئة بين زوجته واولاده - شهود النفي يقولون أمام النيابة أن الرجل عربيد وسكير ويقضي لياليه في الكباريهات - تاجر كوكايين يحاول إنقاذ المتهم من التهمة الموجهة إليه ويؤكد امام النيابة ان المتهم شمام ومنحط - أحد جيران المتهم من شهود الاثبات يقول إن السلوك المستقيم للمتهم يبعث على الخجل وتحريات المباحث تثبت أن المتهم يقضي

سهراته بين أسرته أمام التليفزيون - محامي المتهم يدافع بأن الرجل ياتي أعمال الخير لأنه متخلف عقليا ويطلب إحالته للطبيب الشرعي .

والقارىء يطالع الصحف في الصباح فلا يقرا إلا شرا : أخبار المذابح في الكرة الأرضية ابتداء من حرب الخليج إلى لبنان إلى افغانستان وانتهاء بالتاميل ونيكارجوا ثم أخبار الجرائم : زوجة تذبح حماتها بعد أن تناولت معها العشاء - يقتل ابنته لأنها تصالحت مع زوجها - يقتل ابنته لأنها رفضت الصلح مع زوجها - يقتل زوجته لأنها تطالب بقضاء الصيف في المصيف .

وقد يتساءل قراء كثيرون اليس هناك غير الشر خبرا ؟ اليس في الامكان إصدار جريدة تحمل إلى الناس الأخبار الطيبة فقط ؟

ممكن طبعا ، وهناك لذلك إحدى طريقتين : الأولى أن تكون صياغة الخبر لطيفة وغير مزعجة مثل : حدثت أمس مناقشة بين فلان الفلاني وزوجته حول قضاء الصيف في أحد المصايف . وقد فكر الزوج في خنق زوجته عندما ضاق بالمناقشة لكنه هزم الشيطان فاحتضن زوجته بشدة حتى ماتت متأثرة باسفكسيا الخنق أثناء حضنه العاطفي الدافىء أما الطريقة الأخرى فهي أن تستبعد أخبار الشر تماما وننشر الأخبار الطيبة لنثبت أن كل بيت ترتفع منه صرخة يقابله ألف بيت تغمره ضحكات السعادة . ونطالب الداخلية بتخصيص دفتر أحوال في المخافر وأقسام الشرطة لنثبت في هذه الدفاتر الوقائع الطيبة فندلل بذلك على أنها أكثر من الحوادث المؤسفة مثال ذلك هذا الخبر : استقل فلان الفلاني سيارته متوجها إلى الاسكندرية وبعد أن بلغ مشارف الثغر تذكر انه نسي شيئا هاما فاستدار عائدا إلى القاهرة وتوجه إلى منزله وقدم الاعتذار إلى زوجته لأنه نسي أن يقبلها قبل خروجه ، وقد قبلت الزوجة اعتذاره الرقيق وقيدت الواقعة بدفتر الأحوال السعيدة بنقطة شرطة الزمالك .

وهذا نموذج آخر : تناولت السيدة فلانة عشاءها أمس مع زوجة ابنها علانة وبعد إن تهيات السيدة فلانة للنوم قامت علانة زوجة ابنها بتقبيلها من وجنتها قائلة لها : ربنا يخليك ليا يا حماتي يا غالية ولا يجيش ابدا اليوم اللي أدبحك فيه ، وقد قامت شرطة النجدة بقيد هذه الواقعة السعيدة .

أما الأخبار الخارجية فيمكن إبراز الجوانب الطيبة منها مثل : تبرع نينومارشيللو من الألوية الحمراء بألف دولار لمستشفى نابولي الخيري وكان مارشيللو قد حصل على مليون دولار فدية بعد أن قام بخطف السنيور امبرتوريزو ، وبعد حصوله على الفدية قام بذبحه .

ما رأيك في جريدة لا تنشر إلا الأعمال الطيبة ؟ أعتقد أن مثل هذه الجريدة ستجعل الناس يقبلون بشدة على الجرائد الأخرى !

● ● ●

فى خنفشاريا

اعتقد أن التخصص العلمى سوف تضيق دائرته كثيرا مع التطور . ولن تسمع فى المستقبل مثلا عن طبيب اذن وانف وحنجرة . بل متخصص فى الاذن او فى الأنف او فى الحنجرة . ومع مزيد من التطور قد يذهب الانسان الى طبيب ويشكو له الما فى اذنه فينظر الطبيب الى الاذن المعطوبة ثم يعتذر لأنه اخصائى فى الاذن اليمنى فقط أما مرضى النفس فسوف تتنوع أمامهم اللافتات التى تكشف فن مختلف التخصصات . والمؤكد أن اوسع هؤلاء الأطباء النفسيين رزقا سوف يكون صاحب تلك اللافتة التى كتب عليها : اخصائى الاكتئاب من برامج التليفزيون

لكننا فى شرقنا العربى سوف نظل لأمد طويل لانقيم وزنا للتخصص ولانحترم الدراسة والموهبة ولانحفل الا بالتقاليد الخنفشارية . نسبة الى خنفشاريا .

وقد كان فى خنفشاريا هذه سيرك عظيم . يشاهد فيه الناس الثعلب وهو يقوم بوظيفته ديك فى لعبة مصارعة الديوك ثم يقدم المدرب للثعلب علف الدواجن طعاما بعد اللعب . وشيئا فشيئا بدأ الثعلب يصيح مع كل فجر صياح الديكة وينام كل ليلة فى عشة فراخ السيرك .

وفى هذا السيرك الخنفشارى ظلت الحيوانات تتبادل الأعمال والاختصاصات فكان النمر يقوم بعجين الفلاحة ونوم العازب ولاياكل الا الفول السودانى والموز ، ويرفض اكل اللحم . وكان الاسد يقوم بوظيفة الأرنب فى لعبة الأرانب والكلاب - فكان الناس يشاهدون الأسد يجرى مذعورا امام الكلب وكلما اتقن الأسد دوره كافاه المدرب بالخس والجزر !

وذات يوم زار محافظ خنفشاريا ذلك السيرك فسأل النمر لماذا يقوم بعجين الفلاحة فقال انه جاء ليلتحق بوظيفة نمر فعينوه قردا . وقال الثعلب للمحافظ انهم الحقوه بوظيفة ديك ودربوه على أن يصيح فى الفجر وحتى اسمه الدلع اصبح ديكو !

وتقدم المحافظ نحو الأسد . فجرى الأسد بعيدا فى ذعر شديد بعد أن مارس طويلا عمل الارنب . وربت المحافظ على ظهر الأسد وهو يقدم اليه حزمة برسيم عربونا للود ثم لاطفه حتى يتكلم .

واخيرا تكلم الأسد فقال انه تقدم الى ادارة السيرك ليعمل فى وظيفة أسد فقالوا له لاتوجد الا درجة ارنب خالية .

وتوجه المحافظ الى مدير شئون العاملين بالسيرك الخنفشارى ليسأله عن هذه الاوضاع فتبين له أن مدير العاملين جاء السيرك ليلتحق بوظيفة حمار فعينوه مديرا !

الــو .. !!

■ فى جيبى مفكرة صغيرة ادون فيها مؤقتا مواعيد مع بعض من التقى بهم او ارقام تليفوناتهم . ولا ادرى سر تلك العادة السيئة التى تدفعنى فى كل مرة إلى ان اكتب رقم التليفون دون أن أكتب بجواره اسم صاحب الرقم !

وقال لى صديق يعمل بالطب النفسى ان عقلى الباطن هو الدافع الى ذلك لاننى فى واقع الامر أكره الحديث فى التليفون دون ان ادرك هذه الحقيقة ولهذا اهمل كتابة الاسم . وقلت لصديقى اننى لا اكره ابدا الكلام فى التليفون بدليل اننى أتحدث طويلا مع الاذاعية الكبيرة صفية المهندس دون ملل او ضيق لانها لا تكف عن رواية الاخبار التى يسميها البعض خطأ : نميمة ! .. فكل الناس مثلا يعودون من المصايف ببشرة سمراء الا صفية المهندس التى تعود دائما من المصيف ولسانها أسمر !

وقال لى صديقى الطبيب النفسى : اذا لم تكن تكره الكلام فى التليفون فإن كتابتك للرقم وحده دون اسم صاحبه دليل على انك تكره صاحب الرقم ولا تريد - لا شعوريا - ان تكتب اسمه حتى لا تحادثه . فلما قلت له ان هذه العادة عندى لا تفرق بين اسم واسم . شطح العالم النفسانى قائلا : فى هذه الحالة أنت تكره البشر اجمعين . واثرت الابتعاد عن مشورة صديقى الطبيب لأعالج الأمر بنفسى ، ورحت أستجمع انتباهى فى حفل استقبال دعيت اليه لكى اكتب الاسم عندما ادون رقم التليفون . وكانت النتيجة اننى عدت من حفل الاستقبال لأجد صفحات المفكرة مليئة بالأسماء دون الأرقام !

بالمران والمثابرة . استطعت ان اتقن عادة كتابة الرقم وبجواره الاسم . حتى عدت يوما لانقل الارقام الى نوتة التليفونات فى المكتب فوجدت رقمين بلا اسماء . لا بأس . فهذا تقدم كبير بالمقارنة الى ما فات . وادرت الرقم الاول لاستفسر عن صاحب التليفون فهب فى اذنى صوت ناعم لم تستطع عصبيته ان تخفى رقته وجماله كما لو كان صوت ليلى مراد . هل هى ليلى مراد ؟؟ رأيت أن اعاود الاتصال لاستوثق من انها ليلى . ويبدو ان صاحبة الرقم تعانى من المعاكسات فقد وضعت السماعة بعصبية شديدة وهى تنادينى باسم مخلوق وديع طويل الاذنين ويهوى أكل البرسيم .

اتصلت بهيئة التليفونات لأعرف اسم صاحب الرقم فقال لى الموظف المختص : وما هو الاسم الثلاثى لصاحب الرقم ؟ قلت له : انا لا أعرف اسمه الاول فكيف أعرف اسمه الثلاثى ؟ قال بنفس الادب : متأسف .. لابد من الاسم الثلاثى لأقول لك اسمه

كان من العبث أن اتفاهم مع هذا الموظف المهذب الذى احتمى باللوائح فى وجوب معرفة الاسم الثلاثى . وعدت اجرب الرقم الثانى فاعطانى للمرة المائة نغمة مشغول . عاودت طلب الرقم . مشغول . استعنت بصديق فى هيئة التليفونات فدلنى على اسم صاحبة الرقم الاول اما الرقم الثانى المشغول باستمرار فقد اتضح انه الرقم الجديد لتليفون بيتى وكان مشغولا باستمرار لاننى اتكلم منه !



النباتيزم

■ بناء على نصيحة عالم جليل ، بذلت جهودا طيبة ومتواصلة لكى اكون نباتيا ، فالابحاث الطبية الحديثة تدين اللحم كسبب رئيسى لامراض الجهاز الهضمى ، ذلك أن الانسان فى الأصل نباتى ، إذ ليس له انياب الأسد أو قواطع النمر ، بينما أسنان الانسان نباتية الوظيفة وكذلك امعاؤه ، فهى ليست قصيرة كامعاء الحيوانات اكلة اللحوم بل هى طويلة كامعاء الحيوانات أكلة النباتات . ثم ليس ادل على ان الانسان نباتى - فى بلادنا بالذات - من انه يحب الكوسة موت .

ورغم ان الفول المدمس يعتبر بديلا رئيسيا للبروتين الحيوانى (مائتا غرام فول تعادل مائة غرام لحم) إلا ان العالم الجليل حذرنى من اكل الفول ، حتى خيل الى - من كلامه - انهم يطعمون التماثيل فى الميادين الفول المدمس حتى تظل بلا حراك

ولا اظن ان هذا صحيح ، فالفول المدمس طبق لذيذ لا يمكن ان اتخلى عنه ، او كما قال عبدالوهاب احبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه ، والاشاعة التاريخية التى تدين الفول اطلقها المؤرخ اليونانى هيرودوت ، إذ زعم ان المصريين القدماء لا يزرعون الفول ولا ياكلونه . ثم قيل ايضا أن الفول كان محرما على طبقة الكهنة والنبلاء ، ويكذب هذا كله وجود حبوب الفول فى مقابر الفراعنة من امراء ونبلاء . ولم يسلم الفول المدمس من التشنيع على مر العصور . فقيل عنه انه يسبب البلاهة الممتزجة بالسلوك العدوانى فيجعل الانسان مؤلف مسلسلات .

وليس صحيحا ايضا - كما تعتقد بعض النساء - أن اكل الفول يؤثر على الجمال ويحول بين المراة وبين أن يكون انفها نبقة من الشام وفمها خاتم سليمان ، كذلك ليس صحيحا أن من تاكل اللحوم والفواكه تصبح بشرتها مرمر والعيون غزلانى ، فقد كان انسان الكهف يعيش على لحم الغزال ومع ذلك كانت

السيدة حرمه لها سحنة اسحاق شامير ، اما عن أكل الفواكه ، فامامنا مثل لجبال انثى لا تعيش فى الغابة الا على الفواكه وهى انثى الشمبانزى .

ولقد قطعت شوطا هاما فى الحرص على برنامج غذائى نباتى انتج اثره . إذ لاحظت ان اعصابى اكثر هدوءا . كما اننى صرت طويل البال أمام التليفزيون ، ولست ادرى ما العلاقة هنا بين اكل اللحوم والتوتر العصبى ، او العلاقة بين اكل اللحوم والرغبة فى البكاء امام التليفزيون .

غير أن العالم الجليل الذى علمنى النباتيزم قال لى انه ينتمى الى احدى جمعيات الطبيعيين بفرنسا وهم يخرجون الى الغابات والجزر بين وقت واخر ليعيشوا على الفطرة ويقضون الساعات فى المشى على اربع كالدواب . فهم يرون ان هذا هو المشى الطبيعى بدليل ان الانسان عندما يمشى على قدميه فقط تصبح حركة يده اليسرى فى اتجاه حركة قدمه اليمنى بينما يده اليمنى فى اتجاه قدمه اليسرى تماما كما لو كان يمشى على اربع .

واين امشى على اربع ياسيدى العالم الجليل ؟

— لابد أن يكون ذلك فى الهواء الطلق

انتهزت فرصة ان نادى الصيد يجاور منزلى فكنت اذهب فى صباح الشتاء المبكر كى امشى على اربع لمدة ساعة مستعينا بركبتين مطاطيتين حول ركبتى وغطاء راس لا تبين منه ملامحى كالذى يضعه المتزلجون على الجليد حتى لا يتعرف على احد ، وكان بعض الاعضاء الذين يمارسون رياضة الهرولة فى الصباح يتوقفون عندى فى دهشة وأنا اجرى على اربع . وجاء احد مراقبى النادى يعترض على اسلوبى فى المشى على اربع فلما رفضت ان اكشف عن شخصيتى وراء غطاء الراس الكثيف اصر على خروجى من النادى وهو ينصحنى باننى اذا عاودت الجرى على اربع فى النادى فلابد من ان استخرج رخصة كلاب ..



مدرسة الكوميديا .. !

■ يسالني كثيرون عن أصل وفصل اسبرطة القديمة التي اكتب اخبارها من حين لآخر

انها مدينة اغريقية قديمة كانت مقصد الدارسين خصوصا للكوميديا ، إذ حفلت تلك المدينة بكل عجائب كوكب الأرض ومضحكاته ، وكانت اعجوبة الأعاجيب هو الموظف الاسبرطي الذي تميز عن موظفي اثينا ومقدونيا بدقته الشديدة في الأداء ، فقد كان يتحتم على كل مواطن مثلا يتقدم بطلب حكومي أن يكتب في هذا الطلب تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ايضا ، مع شهادة من اثنين موظفين بأن هذا تاريخ وفاة المواطن في المستقبل !

وكان الموظف الاسبرطي مقصد الرحلات المدرسية حيث يشاهده التلاميذ وهو يمارس طقوسه الوظيفية كذلك كان بعض الموظفين الاسبرطيين مصدر رزق كبير للحانوتية الذين كانوا يبيعون أمخاخ هؤلاء الموظفين بأعلى الأثمان بهدف الدراسة والتشريح في كلية الطب البيطري

وشاهد التلاميذ موظفا اسبرطيا يمتنع عن صرف معاش احد المواطنين لأنه أحضر شهادة موثقة بأنه على قيد الحياة في شهر فبراير ولم يحضر شهادة تثبت انه كان على قيد الحياة في الشهر الذي قبله : يناير ، وشك الموظف في ان يكون المواطن قد مات في يناير وعاد الى الحياة في فبراير الامر الذي لا يستحق معه معاش يناير !

وكان هذا الموظف الاسبرطي مادة لأسئلة الامتحانات آخر السنة ، فجاء هذا السؤال لتلاميذ المرحلة الأولى : ما الفرق بين الحمار وبين الموظف الاسبرطي الذي رفض صرف معاش يناير ؟ فأجمع التلاميذ ان الفرق بين هذا الموظف والحمار هو ان الحمار يفكر !

وفي اسبرطة كان الموظف يرتعد خوفا من التوقيع على قرار إلا بعد ان يسأل مديره المباشر الذي يسأل رئيسه المباشر الذي يؤلف لجنة لدراسة مشروع القرار ، وقد رفض مرة احد الموظفين التوقيع على عقد ما لم يوقع عليه السيد المدير العام أولا ، وكان هذا العقد هو عقد زواج الموظف

وكان الموظف الاسبرطي يحرص حرصا شديدا على أموال الدولة مهما كلفه ذلك ، ويروى أن جراحا بتر ساق مريض ، وبعد ان نجحت العملية وبتر ساق المريض ، قال له المريض : ساقي لم يكن بها شيء انا مأمور ضرائب اسبرطي اردت ان أعرف كم تقبض في قطع الساق !

ومن باب الحرص المفرط على أموال الدولة أيضا اشتبه مأمور الجمرك الاسبرطي في رجل يخرج كل يوم من باب الميناء وخلف مقعد الموتوسيكل يربط صندوقا خشبيا فارغا ، فكان كل يوم يوقف المواطن ويأمره بفك الصندوق من الموتوسيكل ويقوم بتفتيشه بدقة ثم يضطر الى كسره بحثا عن تجاويف فيه بداخلها ممنوعات ، وفي كل مرة لا يجد المأمور الاسبرطي شيئا ويمضي المواطن على الموتوسيكل حزينا على الصندوق الذي يترك حطامه للمأمور ، فلما أحيل المأمور الى المعاش ، ذهب اليه المواطن وقال له : جئت لأبرىء ذمتي .. الحقيقة انني كنت أقوم بتهريب موتوسيكلات .

● ● ●

رمضان كريم ... جدا .. !

■ شهر رمضان عندنا هو شهر الأكل ، وأي شهر آخر غير رمضان الكريم هو أيضا شهر الأكل وكل ما هنالك اننا ننتظر كل مناسبة لنحتفل بها أكلا مضاعفا من فتة مولد النبي الى خروف الأضحى الى كعك الفطر الى بيض شم النسيم .

فالأكل يدخل في نسيج حياتنا بشكل يلفت النظر ، انه مثلا ينتشر في أغانينا : اكلها جبنة زيتون وتعشيني بطاطا ـ وطعميتك سكر ـ والمنجة طابت ع الشجر ـ ويابا كلنا برتقال ـ وتحت التفاحة ـ وإن شالله انا اكل عيش حاف .. وأغان لا حصر لها تحفل بجميع أنواع المأكولات والفواكه لعل ابرزها ما يقوله محمد عبدالمطلب : هنوك ياعريس الليلة دي .. وقادوا الفوانيس للصبحية .. زغرطوا يابنات واسقوا الشربات .. دي ليلتنا فراخ على ملوخية .

كذلك تحفل أمثالنا الشعبية بالأكل مثل : الست والجارية على صحن بسارية ـ صام وفطر على بصلة ـ ضرب الحبيب زي أكل الزبيب ـ فرخة بكشك ـ متجوزة عدس عازبة عدس ـ اطبخي ياجارية كلف ياسيدي ..

بل اننا نحاول أن نخلد الأكل بإطلاق أسمائه على الشوارع والأحياء في بلادنا ، مثل الزيتونة في بيروت والزيتون في القاهرة وأبورمانة في دمشق ورأس التين في الاسكندرية .

وإذا كان شهر رمضان المبارك هو شهر الأكل في بلادنا ، فإن الشهور التي تليه هي فرصة الرزق الحلال لأطباء التخسيس ، وهم الفئة الجديدة التي أصبحت تستولي على فلوس الأزواج بعد كريستيان ديور ونينا ريتشي وكوكو شانيل .

والكيلو جرام الواحد من اللحم النسائي يعد الآن أكثر اللحوم في الدنيا تكلفة بما فيها لحم صدر الطاووس ، إذ تدفع المرأة خمسة دولارات بين نشويات

وحلويات لتضيف هذا الكيلو الى وزنها ثم تدفع الفا وخمسمائة دولار لكي تفقده من وزنها !

ومنذ اقل من مائة عام ولم يكن هناك مصحات ريجيم ولا أطباء تخسيس ، ولو وجد طبيب واحد في تلك الأيام لمات من الجوع . إذ كانت الفتاة البدينة هي المطلوبة في سوق العرسان . وكانت السمنة من لوازم السكس أبيل . فقد كانت الأم تزف البشرى الى ابنها قائلة : لقيت لك عروسة قمر وزى الفيل

والذى يتأمل التكوينات العارية للرسام رينوار يرى بوضوح كم كانت المرأة البدينة هي الجمال ومصدر الوحي والالهام . وبالاضافة الى أن السمنة كانت من سمات الجمال . فقد كانت تدل أيضا على ان الفتاة من بيت عز كله أكل في أكل . ويقول شاعر تلك الأزمنة يصف مفاتن حبيبته بان لها ماكمة عريضة لا تستطيع بسببها أن تمر من الباب كما يعبر عن افتتانه بكشحها . اى الشحم واللحم المتراكم من بطنها الى ظهرها فيقول : وماكمة يضيق الباب عنها .. وكشحا قد جننت به جنونا ويقول شاعر آخر يصف حبيبته الفيلة

أحبك قطعة بعد أخرى
والا احتجت فيك الى قلوب
يهون الحب تقسيطا بجسم
نأى فيه الشمال عن الجنوب
يدور عليك عند الصبح قلبي
فيفرغ منك في وقت الغروب !

● ● ●

لونك المفضل ..

لا أعتقد في الفلسفة الشائعة عن الألوان ..

ويذهب البعض أن الأصفر هولون الخبث والكراهية والغيرة . فهذا رجل صفراوي ، وتلك ابتسامة صفراء .. ويقول رامي بلسان ليلى مراد : ودى وردة صفرا الغيرة تضنيها ويقول الأخطل الصغير بلسان عبدالوهاب : أصفر من السقم أم من فرقة الأحباب . بينما تذهب مدرسة أخرى في فلسفة الألوان الى أن اللون الأصفر يثير الهمة ويضفي شعورا بالراحة وأن بعض درجات الأصفر توحي بالسلام وإشراقة الشمس والدفء الجميل وأن الأصفر الليموني - كثوب - يضفي توهجا جميلا على صاحبات البشرة السمراء .

وقيل أن اللون الأحمر ينبه العقل والقلب والشهية - والأزرق يوحي بالاسترخاء والصفاء - والأرجواني يوحي بالغموض - والرمادى محايد ... و .. و .. الى آخر هذا الكلام الفارغ في رأيي

فاني اعتقد ان الاحساس نحو اللون يتحدد بنوعية الارتباط العاطفي به يكفي أن ترى حبيبة قلبك متعلقة باللون الأصفر حتى تنحسر عن افكارك أنه لون الحقد والغيرة ويصبح الأصفر - في عواطفك - ملك الألوان .

ومن المؤكد مثلا أن الرئيس ريغان يشترك مع الزمالكاوية في النفور من اللون الأحمر الذى هو لون غورباتشوف والأهلى . واذا كانت فلسفة الألوان تقول أن اللون الأبيض هو لون المحبة والطهارة والاخلاص فإن فانلة الزمالك البيضاء تستفز الأهلاوى بالهتاف المأثور : أنلى حديد !

ولا أعرف حتى الآن سببا واضحا يفسر حبي للون الأخضر .. ففي طفولتي كنت أبكي لأنني أريد أن ألبس طربوشا أخضر . وقد انتهزت أمي هذه الفرصة فوعدتني بشراء طربوش أخضر اذا نجحت في مادة الحساب . وكنت في الحساب - ولا أزال - طور الله في برسيمه .

وقد برت أمي بوعدها فعادت من القاهرة الى الاسكندرية ومعها طربوش أخضر زرعي لعله من مخلفات أحد رواد قهوة المجاذيب في سيدنا الحسين . وتولى عم عرفة الطرابيشي كي الطربوش الأخضر وتركيب زر له ولم تتصور أمي أنني سوف أذهب بالطربوش الأخضر الى المدرسة حيث أصبحت في طابور الصباح عبرة لمن يعتبر وجرجروني الى غرفة حضرة الناظر حيث فتحوا محضر تحقيق معي : كيف ولماذا أهنت هذا الرمز القومي الجليل الذى هو الطربوش ؟

وقد اضطررت امام بشاعة التهمة الكبرى التى لم اكن اعرف حجمها ان ادعى ان الطربوش سقط منى فى حلة الملوخية .

وتم فض الاشتباك بيني وبين المدرسة بتعهد من ولى امرى بالا اعبث باللون الرسمى لغطاء الراس القومى الشريف .

وقد انزعج ابى انزعاجا شديدا فى اعقاب هذا الحادث القومى المؤسف إذ ايقن تماما ان ازمة نفسية اصابتنى فلم اعد اتعرف او اميز اللون الاخضر . ولم يكن احد يدرى فى تلك الاثناء اننى كنت احب طاطا بنت الجيران . وكلما ابديت اعجابى بالفيونكة الخضراء فى شعرها قالت لى ان الفيونكة ليست خضراء وانما بنفسجية .

وتبين ان طاطا مصابة بعمى الالوان فى الاخضر فكانت ترى الاخضر بنفسجيا ومن فرط حبي لها أسميت الاخضر . بنفسجى . فالخيار بنفسجى . والملوخية بنفسجى . والسلاطة بنفسجى . وبينما كانت امى تدعو الله ان يجعل السنة الجديدة خضراء علينا كنت أردد معها اللهم اجعلها سنة بنفسجى ياكريم

ولعل الدليل على ان فلسفات الالوان الشائعة لا تنهض على اساس ان اللون الأزرق يختص بالعفاريت الزرق والعدو ذى الناب الأزرق . وعين الحسود الزرقاء . بينما ترى فلسفة أخرى ان الأزرق يوحي بالاسترخاء والصفاء . وفلسفة ثالثة تقول انه لون يوحى بالبرودة . ونفس هذا اللون فى الاندلس ايام الفتح الاسلامى كان لون الحداد بينما كانت الأسرة الحاكمة هى اسرة بنى الاحمر التى شيدت قصر الحمراء بغرناطة .

وفى غالبية شعوب العالم يعتبر اللون الاسود رمز الكابة والحزن ومؤلفى المسلسلات . كما انه لون بدلة العريس فى جميع انحاء العالم . ولا يخفى على احد طبعا سبب سواد بدلة العريس فى تلك الليلة المبروكة .

وإذا كان اللون الأبيض هو رمز النقاء والطهارة وصفو الوداد . فهو فى الصين يرمز الى لون الحداد . فاحترس ان تحيى الصينى فى الصباح بان تقول له نهارك ابيض بل قل له بابتسامة : نهارك اسود ..



عربى من فضلك .. !!

حواجز اللغة بين شعوب الارض شىء سخيف يحول دون تفاهمها . ولا توجد لغة موحدة بين الشعوب إلا لغة الحب . فالسويدية تستطيع ان تقرا فى عيون الهندى ما يريد قوله . والاسبانى يمكنه ان يستشف من نظرات اليابانية ما هو ابلغ من الكلام . وفى الخمسينات - فى القاهرة - اتجه شاب المانى الى كشك مرطبات ليروى عطشه . وما ان نظر الى وجه نوسة بائعة الكازوزة حتى وقع صريع هواها فاشهر إسلامه وتزوج منها دون ان تعرف نوسة كلمة المانية ودون ان يعرف الهرشموخلر كلمة عربية !

وفيما عدا لغة الحب يصبح التفاهم عسيرا . وعندما اكتشف الكابتن جيمس كوك استراليا مثلا راح يسأل الأهالى - بالانجليزية التى لا يفهمونها - عن اسم الحيوان الذى امسك به . فلما قالوا له كانجارو . فهم خطا ان هذا هو اسم الحيوان بينما عبارة كانجارو بلغة سكان استراليا الأصليين معناها : ماذا تقول ؟ !

وفى المانيا وجدت محلا للهدايا مكتوبا عليه بالانجليزية هنا نتكلم جميع اللغات ، ودخلت المحل لاجد ان اصحابه لم يكذبوا . فجميع الزبائن يتكلمون بكل لغات الارض واصحاب المحل لا يتكلمون إلا الالمانية ولا يفهمون حرفا من الزبائن !

وفى اول زيارة لايطاليا دخت السبع دوخات لاطلب من خادم الغرفة قطعة صابون . فقلت له . صابون . بالانجليزية والفرنسية واليونانية والخنفشارية وكل لغة فلم يفهم . واخيرا اصطحبته الى الحمام وفتحت حنفية الحوض ورحت احرك يدى كما لو كان بينهما قطعة صابون . وهنا صاح قائلا بالعربى : صابونة . ثم تبين انه لا يعرف العربية وان اسم الصابون بالايطالية هو صابونة !

وفى المكسيك تعرضت لمواقف متعبة بسبب عدم القدرة على اختراق حواجز اللغة . ففى المكسيك يكتسب الانسان الاسبانى اللغة خبرة عظيمة فى التفاهم بإشارات الخرس . فبرغم تدفق السياح الأميركيين على المكسيك الا ان اهلها لا يتكلمون الانجليزية عمدا ومع سبق الاصرار ربما بسبب عدم استلطاف تاريخى للعم سام الذى نشل من المكسيك ولايات كاملة مثل أريزونا وتكساس وكاليفورنيا فما من انسان تتعامل معه هناك الا ويبادرك قائلا - وكانه يفتخر - نوانجليش سنيور !

وهو عادة لا يتوقف بعد هذه العبارة التى يعلنك فيها انه لا يعرف الانجليزية ، بل يفترض انك مولود فى نفس الشارع الذى ولد فيه وينطلق فى الكلام بالاسبانية كمدفع رشاش لتقول له فى النهاية : نوسبانيش سنيور !

ويروون فى ذلك حكاية المكسيكى المهذب الذى كان يختار مائدته فى مطعم الفندق بجوار مائدة نزيل يابانى ، وفى اليوم الاول نهض المكسيكى بنصف انحناءة يقول لليابانى : بويناس ابيتيتوس ـ فنهض اليابانى يقدم اليه نفسه : ياساهيرو تاكيشاكى . ولمدة أربعة أيام متوالية كان المكسيكى يعيد تقديم نفسه بويناس ابيتيتوس فيرد عليه اليابانى : ياساهيرو تاكيشاكى ، ثم شرحوا لليابانى أن بويناس ابيتيتوس ليس اسم الرجل وانما هى عبارة معناها : اتمنى لك شهية طيبة ، وما أن جاء المكسيكى الى مائدته حتى بادره اليابانى قائلا فى انحناءة : بويناس ابيتيتوس ، فرد عليه المكسيكى قائلا : ياساهيرو تاكيشاكى .

وإذا كان التفاهم بالاشارة صعبا ، فالحديث فى التليفون مع ادارة الفندق يصبح عقيما ، كذلك النزيل العربى الذى رفع السماعة يطلب مخدة لكل لغات الأرض ، ثم صاح يائسا بالعربى : مخدة الله يتعب قلبكم ، ففهموا على الفور واتضح ان المخدة اسمها موهدة ، وهى ضمن كلمات عربية كثيرة تركها العرب فى اللغة الأسبانية .

لكنى عندما احتجت الى كرسى فى غرفتى لم تفلح مع خادم الفندق كلمة كرسى التى قلتها له بالعربى ، ولا فهمها بالانجليزية أو الفرنسية ، فلجات الى فن البانتوميم ، إذ وقفت امام الخادم تمثيلا صامتا كاننى اجلس على كرسى ، فبان على وجهه الفهم فورا ، وبادب افسح لى الطريق كى اتقدمه ، الى أن وصلنا الى باب الحمام ، فاشار الى الكرسى اياه الذى يعلوه السيفون !



شكر الله سعيكم

أوصيت الأقربين بالا ينشر لى نعى عند وفاتى ، فبينى وبين صفحة الوفيات خصومة شديدة ، فهى فى رايى حقل خصب للنفاق الادارى والاجتماعى والنصب ايضا ، كان يكتب نصاب لا يعرف المتوفى بضعة سطور حزينة ينعى فيها صديقه ورفيق عمره فلان ، ثم يتوجه الى اهله معزيا وهو يذرف الدمع الهتون ، وينجلى الأمر بقوله أن المتوفى مديون له بالف جنيه دين شرف فى لعب البوكر ، وأن الله يرحمه كان شريفا جدا فى لعب الورق وعمره ما غش .

ولقد كانت أول صحيفة مصرية ادخلت هذه البدعة هى جريدة الوقائع المصرية ، إذ نشر بها اول نعى عن وفاة احدى بنات محمد على باشا تحت عنوان : ارتحال بنت أفندينا ولى النعم من دار الفناء الى دار البقاء ، وقال كاتب النعى أن القلم فى يده ، يزفر ويبكى حزنا على حضرة المعصومة والدرة المعدومة فرع الأصل الأصفى ، ويلاحظ أن وفيات جريدة الوقائع اقتصرت على أفراد الأسرة الحاكمة ، وكان النعى مقصورا على نشر الخبر دون أن ينشر بجوار الخبر ذلك البكاء المصطنع من المنافقين والنصابين .

وإذا كانت صفحة الوفيات لم تظهر فى صحافة الغرب ، فإن الغربيين يناجون المتوفى فى لوحات توضع على القبور بدلا من سطور الصحيفة ، وتضم هذه اللوحات أحيانا ما يثير الضحك فى موقف بعيد تماما عن الضحك ، فهذه مثلا لوحة فى بروك فيلد بولاية كونكتيكت أوصى الزوج بكتابتها قبل مماته : « هنا يرقد جون فليبروك وزوجته ظهرا لظهر وحين ينفخ فى الصوريوم القيام ستنهض هى ولكنى لن انهض حتى لا اراها » .

وفى سيلبى بمقاطعة يوركشاير بانجلترا : « هنا ترقد زوجتى وأكون كاذبا لو قلت انى حزين عليها فقد كانت عديمة التربية سليطة اللسان » .

وفى مدينة لينكولن : « هنا يرقد جيردبيتس الذى تعيش أرملته فى شارع ايلم رقم ٦ وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها ولديها كل مقومات الزوجة العظيمة المريحة » .

ولوحة اخرى : « هنا ترقد سينثيا ستيفنز زوجتى ، عاشت ست سنوات فى الهموم والمنازعات وأخيرا استراحت وكذلك انا » .

ويبدو ان أرملة السيد جيمى ويت كانت فى شدة البخل إذ كتبت على قبره فى فولكيرك بانجلترا : « مات ذات صباح فى الساعة التاسعة فوفر بذلك وجبة الغداء ووجبة العشاء يوم وفاته » .

وفى ميدواى لوحة تقول : « هنا يرقد العم دانيلز لأنه للأسف خلع فانلته الشتوية مبكرا قبل حلول الصيف » .

وفى بدفورد بانجلترا : « هنا يرقد مستر دادلى وزوجته التى كانت متفوقة عليه دائما ولكن انظر كيف هزمها الموت » .

ولأن الأمريكيين من هواة التقاليع ، فإن الحانوتية يعرضون على أهل المتوفى أبياتا شعرية ممكنا وضعها على اللوحة حسب الأحوال مثل : « هنا يرقد فلان . كان قويا وعظيما ولكن فرامل السيارة لم تكن كذلك » .

ومن أغرب اللوحات لوحة تقول : « صدق او لا تصدق ، هنا يرقد رجل شريف » .

أما فى صحفنا فقد نشرت زوجته هذه المناجاة فى صورة هذا التهديد : « ياحبيبى ارقد فى سلام وهدوء .. حتى التقى بك » !



النكتــــة .. !

عندما تنطلق حرية التعبير وتوجد صحافة الرأى الآخر تكتب ما تشاء وتنكت كما تريد بالكلمة والكاريكاتير ، فإن النكت السياسية والهمسات الضاحكة تختفى من أفواه الناس لتتخذ مسارها الطبيعى عبر الأعلام العلنى .

وعندما تقال النكتة السياسية عبر الراديو أو الصحيفة أو التليفزيون فإنها تصل الى كل الناس وتصبح قديمة بعد ذلك لا يرددها أحد ، ولكن عندما تكون النكتة فولكلورية مصدرها الشعب فإنها تصبح معمرة وتعيش زمنا طويلا حتى تصل الى الناس فردا فردا عن طريق الهمس والنكت الشعبية تختلف من شعب الى آخر ، فهناك نكتة مثلا تتناول جنون بعض حكام العالم الثالث بالأوسمة والنياشين التى ترصع البدلة العسكرية . وعلى سبيل المثال قيل أن عيدى أمين ملأ بدلته بالنياشين ولم يبق فيها إلا مكان واحد لو وضع فيه نياشين جديدة فسوف يتعذر عليه الجلوس .

وهناك نكت تتناول الشعارات التى ترفع وتبعد عن الواقع تماما ، كتلك النكتة التى تقول أن بريجينيف دعا والدته لزيارة الكرملين فلما رأت العظمة التى يعيش فيها قالت له : انك ياولدى تعيش حياة رائعة حقا ولكن ماذا ستفعل لو عاد الشيوعيون الى الحكم » .

وعن أهل الخبرة وأهل الثقة يقولون أن خروشوف بعد زيارته لباريس فى أوائل الستينات أمر بتكوين فرقة راقصة كفرقة الليدو فلما انتقدوا الفرقة الجديدة قال خروشوف أن الراقصات فيها من أشد عضوات الحزب إخلاصا لأنهن من مؤسسات الحزب سنة ١٩١٧ ..

وعن جنون الطغيان تحكى النكتة عن ستالين الذى اختلف مع أرملة لينين فهددها بتعيين أرملة أخرى للينين !

وهناك نكتة كان بريجينيف يرويها بنفسه نقلا عن الشعب الروسى ، وتقول النكتة أن مواطنا مثل أمام المحكمة بتهمة الهتاف فى الميدان الأحمر قائلا : يسقط بريجينيف الحمار ، فعاقبته المحكمة بسنة سجنا لأنه هتف بسقوط بريجينيف ، وبعشرين سنة سجن لأنه أذاع سرا من أسرار الدولة !

هكذا تعيش النكت الشعبية وتعمر

ولكن النكت المكتوبة علنا يتوقف ترديدها بعد نشرها ، فمثلا كتب الكاتب الأميركى الساخر آرت بوكوالد ينتقد غباء السياسة الأميركية فقال ان الأميركان مكروهون فى كل بلد بسبب تخبط السياسة الخارجية وغباوتها ، لكن هناك بلدا واحدا استوائيا فى أميركا الجنوبية هو « مانجازو » كان سعيدا جدا بالأميركان ، وأصبحت حكومة مانجازو تطلب كل شهر ألوف الخبراء الأميركيين ، ثم تبين أن كل مانجازو ـ شعبا وحكومة ـ من أكلة لحوم البشر ..



تمام يافنـــدم ..

كل انسان ضعيف امام النفاق .

من الذى يرفض ان يقال له انت الأذكى والأقوى والأصوب رأيا والأعظم موهبة ؟؟ ومن هو الانسان الذى يستطيع أن يحتمل الحقيقة السخيفة وإنسان آخر يواجهه بها قائلا :

انت غبى

ولعل أحسن ما قيل فى امر النفاق هو انه يحسن بالانسان ان يتلقى المدح الزائف فيه كما يتلقى زهرة ، يشمها ويحرص على الا يبتلعها .

لكن كبار الموظفين يشمون الأزهار ويعلكونها ثم يبتلعونها ويتصورون ان كلمات المرؤوسين من محترفى النفاق هى حقائق سعيدة !

ولست ادرى كيف يمكن أن يفيق رئيس العمل من اوهامه التى يعذبه بها المنافقون ؟ كيف نرده الى حجمه الطبيعى ؟ هل نخصص مثلا يوما فى الاسبوع اسمه اليوم الادارى المفتوح تزال فيه حواجز السكرتارية وتوقف فيه لوائح الجزاءات والتاديب ليدخل المرؤوس الى رئيس الادارة قائلا :

— السلام عليكم ..

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. تفضل اجلس وقل الحقيقة .

— فلان الفلانى يرأس بقرار منك ادارة ليست مجال تخصصه ـ فهل يمكن ياسيدى ان تعطينا اسبابا وجيهة لتعيينه غير انه ابن أخت المدام ؟

ثم يستقبل رئيس العمل كبير اطباء الشركة ليقول له : لقد اشاعوا صفات ليست فيك ، فإن كنت تحرص ياسيدى على أن تتحلى بهذه الصفات فهذا دواء قد يساعدك على التفكير بذكاء .

والنفاق صفة انسانية تميز بها الانسان عن الحيوان لأن الحيوانات لا تنافق أبدا ، فلا هى مصابة بجنون العظمة كالانسان ، ولا هى عندها نرجسية او مركبات نقص او جنون حب السلطة ، وهى جميعا لوثات عقلية يرضيها النفاق كثيرا ، ويقول المنافقون : لو كان الحمار الوحشى مثلا ـ وهو الطعام المفضل عند الأسد ـ قد تعلم كيف ينافق الأسد لنجا من اظلافه وانيابه ، ويضيف المنافقون : لكن الحمار الوحشى لا يعرف النفاق لأنه حمار !

ولو كانت الحيوانات فى حدائق الحيوان تنافق الاداريين فيها لقرانا فى حركة الترقيات ان القرد قد رقى الى نمر والنمر الى اسد والأرنب الى ذئب ، كما سنرى أن الذين لا يجيدون النفاق من الحيوانات قد لاقوا الجزاء فى حركة الترقيات فنزل الأسد الى درجة بغل استرالى والزرافة الى غزالة والفيل الى شمبانزى والنسر الى دكربط .

ومن حسن حظ تلك الحيوانات انها لا تعرف الصحف حيث يمارس الانسان فى أعمدة المجتمع والوفيات الوانا مستحدثة من النفاق ، ولو عرفته حيوانات الحديقة لظهرت فى أعمدة الصحف هذه الاعلانات :

— مرجان كبير القرود يتقدم بصفته وبالنيابة عن اخوانه القرود بأخلص التهانى للسيد مدير الحديقة بمناسبة تقلده منصبه داعيا لسيادته بدوام التقدم والرفعة .

— حمار الحديقة الوحشى يهنىء السيد المدير الجديد بثقة الوزير .

— ينعى سيد قشطة ببالغ الحزن والأسى السيدة زنوبيا زوجة عم السيد وكيل الحديقة التى اختطفتها يد المنون وهى لاتزال فى ربيعها التاسع والثمانين .

فإذا لاحظ مدير الحديقة أن الأسد مثلا لا يمشى فى موكب المداحين عاقبه بتغيير اللحم الذى يأكله وأمر بان يأكل الأسد اللحمة التى يشتريها الناس من الجمعية ..



الكرسى

زرت صديقا صاحب منصب كبير ، بينما كان يجلس معى فى صالون المكتب اتيح لى ان اتأمل كرسى مكتبه .. كرسى ضخم فخم دوار استأذنته فى استعماله لدقائق حتى اعرف الأعراض التى تظهر على بنى آدم اذا جلس على مثل هذا الكرسى ..

وما أن اتخذت مجلسى ارتسمت على وجهى تكشيرة تعكس وقارا وعظمة . ويبدو ان كبار الموظفين يتسلمون هذه التكشيرة عهدة مع الكرسى ويسلمونها عند رحيلهم عنه . وكذلك لاحظت ان الكرسى واسع جدا ولا استطيع ان املاه . فكانت النتيجة أن تجهمى كان اكبر وإحساسى بالتعالى والعظمة كان أشد .

بعد دقائق قال لى حضرة صاحب الكرسى يكفيك هذا القدر . غير انى شعرت اننى اتشبث بالجلوس على الكرسى واستمرائه ، وبدا لى الكرسى كما لو كان يرسل اشعاعات مسلطة على المخ ، فبدأت احس بالفصام البارانوى او جنون العظمة والشعور بالارتياب وان مؤامرة تدبر لانتزاعى من الكرسى . حاولت النهوض من الكرسى استجابة لالحاح الصديق حضرة صاحب الكرسى ، لكننى فشلت ، ولاح لى الرجل وكأنما قد تحول الى الانسان الأخضر ، اذ انتفخ غضبا وتبدت عليه بوضوح أعراض مرض ، الكرسى فوبيا ، أى جنون الخوف من فقدان الكرسى .

وغريزة البحث عن كرسى لا تقل أهمية عن غريزة البحث عن الطعام . فكما اهتم الانسان بالطعام وتفنن فى الوانه اهتم ايضا بالكرسى وتفنن فى اشكاله . فهذا كرسى لوى كانز . وهذا كرسى كوين آن . وهذا كرسى البرلمان وهذا كرسى الوزارة .

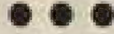
ويقال أن الانسان العبقرى يبدأ يتعلم المشى وعمره ستة شهور . وما أن يبلغ سن الترشيح للبرلمان او للوزارة حتى يكون قد تعب من المشى سنين طويلة وأصبح فى حاجة الى كرسى يجلس عيه ..

والكرسى مشتق من الفعل كرس يكرس تكريسا . فيقال استكرس المرشح الناس أى صعد على اكتافهم الى كرسى العلالى . ويقال رجل متكرس . أى بذل الغالى والنفيس فى سبيل الوصول الى الكرسى ويقال رجل مكراس . أى رجل التصق بالكرسى وهام به عشقا وأصبح من المتعذر انتزاعه منه إلا بعملية جراحية . والمشتقات بعد ذلك كثيرة ومتنوعة : رجل كروس ورجل متكارس على الكرسى ورجل كرسيس .

وقد فكرت ذات يوم أن استكرس (راجع التفسير أعلاه) وكان لابد لذلك من دراسة اجراء الانتخابات فى كل موسم انتخابى . فعرفت أن خطب المرشحين

لا تحتاج منهم الى تفكير . فلا وقت عند هؤلاء المرشحين للتفكير لأن الكلام يستغرق كل وقتهم . كذلك لاحظت أن الانسان عند ترشيحه لنفسه تحل فى كيانه أعظم السجايا فيصبح المحسن الكبير والمواطن الصادق والمخلص والطاهر والنزيه والأمين .

كما يطلقون عليه أحيانا رجل الساعة خصوصا اذا عرف الناخبون انه يوزع ساعات يد ماركة هيروشيكا .



رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٤٩١٤ / ١٩٩٠